بسم اللّه الرحمن الرحيم وصلّى اللّه على نبيه محمد وآله الطاهرين ٠

* (الفصل الخامس نهج البلاغة فى النقود والردود) *

٠ ـ الجامعة البشرية وحقّ الحاكمية ـ

الاجتماع البشرى بدائيا كان ـ كما فى عهوده الاولى ـ ام مثقفا ـ كما فى عهوده المتأخرة ـ بما فى افراده من طغيان شهوى وميل نفسى يحتاج اشدّ الحاجة فى حفظ تعادله الى حكومة عادلة قادرة على ضبطه بدون ذلك تنعدم الحريّات الصحيحة بالمرّة ويجىء الى الوجود اسراف من المقتدرين واجحاف بالضعفاء المعوزين وافراط من الاقوياء وتفريط فى حالة الضعفاء ٠

والحكومة العادلة لا يتهيأ مفهومها قبل تحقق مصداقها الاّ بشرائط خاصة :

(١) تدوين قوانين سالمة قائمة بمراعاة ما يجب للفرد والمجتمع كليهما لاقيمة لأيّة حكومة تفرض بدون القانون العادل ٠

(٢) اسناد اجراء القوانين المذكورة الى علماء بمفاهيمها قادرين على تطبيقها مخلصين اتمّ الأخلاص فى اجرائها نزيهين فى تحمّل اعبائها٠

فمن هو اذن مدوّن القانون ومن يملك صلاحيته ومن هو ذلك العالم بمفاهيمه القادر على تطبيقه المخلص فى اجرائه النزيه فى تحمّل اعبائه ٠

ان مدوّن القانون بالصورة المحررة آنفا لو فرضناه فى الناس فردا

واحدا او اكثر من فرد وجب ان تجتمع فيه عدة شروط ·

(١) ان يكون مهذبا لنفسه رائضا لها قريبا من المثالية بعيدا عن طغيان الحيونة ·

(٢) أن يكون واردا اتمّ الورود بالماهية البشرية فردا ومجتمعا ·

(٣) أن لا يقع تحت نفوذ غيره ·

فانه ان لم يكن من المهذبين الرائضين لأنفسهم القريبين من المثالية البعيدين عن طغيان الحيونة لم تكن قيمة لآرائه لأنها تكون الى التخليط اقرب منها الى الصحة فان الانسان المادىّ لا يعرف للحيثيات أقلّ قيمة وانما يستهدف الميول العارمة والشهوات الضالّة وقد شاهدت البشرية كل هذا فى ألمع ادوارها حين جرى مقننوها محطّمين لكافة القيود القائمة بالمعنويات والحيثيات ففتحوا الطريق امام عربدة السكارى اكثر مما فتحوه امام الناطقين المهذبين وفتحوا للناس ابواب الفساد والانحراف اكثر ممّا تصدروا به لحفظ الحقوق حتى عادت العفة بين الناس من الغرائب وحفظ الوقار من العجائب وملأ الابتذال كل فراغ والاستهتار كل فجوة تتصور فى البيوت ام فى المعابر وقس على ذلك كل انحطاط وتسفّل فى الاخلاق بصورة عامّة لا تعرف الاستثناء بالمرّة وامثال هؤلاء المقننين لا يقلّون فى التخريب عن طغيان چنگيز وهلاكو وتيمور فيه ·

واذا لم يكن واردا أتمّ الورود بالماهية البشرية فردا ومجتمعا امتنع فى حقه ان يكون مقننا لها لأن الجاهل بحقيقة الشىء لا يستطيع ان يتكلم فيه بشىء الاّ تحكما ·

واذا وقع تحت نفوذ غيره فقد صلاحية التقنين بالمرّة وعاد قانونه رأيا خاصا بذلك النافذ وهوى شخصيا له ·

وقد برهنت مجارى البشرية على طولها أن ليس لما ذكرناه مصداق

من طريق عادي ولذلك امتلأت قوانينها بأنواع الهنات وألوان المؤخذات ولم يجرها بين الناس الاّ النفوذ العارم فقط ·

فليت شعري من يملك صلاحية التقنين ــ نعم ــ لا يملك ذلك الاّ اللّه وحده لعدة نواحي ·

(١) انه محض الخير لتجرده عن المادة بحكم أصالته لكل الاصول والمبادئ والعلل ·

(٢) ان علمه وسع كل مافي الوجود لان الوجود ومافيه خلقته والصانع للشيء لا يحاذيه في معرفته غيره كائنا من كان ذلك الغير ·

(٣) انه اقدر القادرين فلا قاهر فوقه حتى يتحكم فيه ·

اذن فصلاحية التقنين له تعالى وحده وكل من سواه فاقد لها بالجملة والتفصيل فان قيل ان الهوية البشرية واحدة في اصل خلقتها فكان من اللازم ان تكون قوانينها متحدة على طول سلاسل الأجيال فعلام نرى الشرائع السماوية المقررة لتوجيه البشرية مختلفة كمّا وكيفا وعلام نرى في الشريعة الواحدة ناسخا ومنسوخا ــ قلنا ــ امّا اتحادها في اصل مادة الخلقة وانّها من طين وان خلقتها استقلالية وليست بكائنة من طريق التحول فصحيح الاّ ان ذلك لا يستلزم تساوي الافراد في نتائج مواهبها المغروزة فيها فان مواهب الكمال في اصل الخلقة موجودة بالاجمال لا بالتفصيل وحلّ هذا المجمل الى التفصيل يحتاج الى معاناة وتدرّب وهذه الدربة ممّا تختلف في الافراد حسب كدّ العقول واجهاد قوى التفكير اختلافا بعيد الشقة كالاختلاف بين عقليات الراعي البسيط والفيلسوف الماهر فان تفصيل مافي الفيلسوف نتيجة كدّه لعقله واجهاد قوى تفكيره واجمال مافي الراعي من مواهب اصل الخلقة ولاعمل له فيه اصلا فالاجيال البدائية باعتبار اجمال عقولها لا تستطيع محاذاة الاجيال

الوسطى فى كيف تفكيرها بحكم ترقى العقول فى الدربة والتفهم وهكذا الاجيال الوسطى بالنسبة الى مابعدها وهلمّ دواليك اذن فمن اللازم اختلاف التشريعات باعتبار تفاوت الطبقات وليس الناسخ والمنسوخ الآمن هذا الباب فان تشريع الاحكام المنسوخة قائم بالمصالح المؤقتة فلا تعود الى جهل فى المشرّع سواء أكان هو الخالق العليم بكل شىء ام من هو دونه فى العلم بمراتب لا تحدّ ولا تعدّ .

وتشريعات اللّه سبحانه فى صالح البشرية ان اختلفت بحسب الاجيال ففى انشعاب القانون وزوائده لا فى اصل موادّه الاساسية القائمة عليها جذور الحياة العامة فقد نادى الانبياء من اوّل حلقاتهم بالدعوة الى اللّه الواحد الخالق لكل شىء والى العدل والاحسان والى التنديد بالصنم وعابده والظلم ومامت اليه وقتل النفوس البريئة والتعدى عليها لأن ذلك كلّه من صميم الحياة .

وامّا انشعاب القانون وزوائده فقد حصل فيه اختلاف على مقدار اختلاف الأمم فى ارتكابها للسيئآت والوان الانحرافات وبذلك امتازت دعوة نوح عن دعوة نبىّ اللّه هود وغيره كما امتازت دعوة هود عن دعوة نبىّ اللّه صالح ولوط عن شعيب وابراهيم عن موسى وموسى عن عيسى وقد عرض اللّه فى القرآن صورا عديدة من باب اعطاء النموذج لدعوة هؤلاء الانبياء العظام كلاّ فى عصره وجيله .

وامّا اسناد اجراء القوانين المذكورة فهو الى اللّه مقنن القانون وخالق العباد وطالب سعادتهم وصلاحهم وهو سبحانه اختصّ من عباده من راض نفسه احياء وخدمة للبشرية جهد حوله وطوله وأيّده بتأييدات تربط على فؤاده فى خوض مشاكل الحياة فكان انبياؤه أبرز مصداق ينطبق عليه ملاك الانسان الفاضل بعيدين عن الهوى النفسى والميل الشخصى

قريبين للحق والمحقّين لا يعرفون فى قبال احقاق الحق نخوة لمتغطرس وجبروتا لجبّار ونفوذا لنافذ وثروة لمتمكن وجاها لذى جاه يقرّبون اليهم الضعيف حتى يقوى ويتباعدون عن الجبّار حتى يذل وكل انبياء اللّه كانوا على هذه الروية ومتزينين بهذه المزيّة وعلى وتيرتهم كان اوصيائهم والنخبة الصالحة من تابعيهم والمترسمين لخطواتهم ولولا وجود هؤلاء الصفوة فى أطباق البشرية لما تحقق لمفهوم الانسان مصداق فى الخارج بالمرّة ·

فلا حكومة بحقّ الاّ حكومة الشرائع السماوية الحقّة على ايدى ممثليها الأماجد وقبل اربعة عشر قرنا ختم اللّه سبحانه نبوّة انبياءه بدعوة الأسلام لما اتخذ فى قانون هذا الدين من برامج تسيل مع البشرية مهما طال وجودها على محدّب الكرة الأرضية ومهما اتسعت افكار افرادها وعقول عقلائها متوخيا فى ذلك الواقع الراهن لانزوات الجهل وهفوات العقل ·

وممّا لا ريب فيه ان الحقيقة متحدة العيار فلا قديم فيها ولاحديث ولا انتهاء لتحققها ولو مرّ على البشرية ما يمرّ من الزمان فالظلم قبيح عند العقول بلا فرق بين قديم البشرية وحديثها والأحسان حسن عندها كذلك وقس على ذلك كافة المفاهيم العقلية المركزة لا القشرية السطحية فقول المتجددين ان الأديان انّما شرّعت لأزمان خاصة وليس بها ان تحكم اجيال البشرية جمعاء غلط لامرية فيه لان الجديد الذى سال مع الرغبات النفسية المنحطة وجرى مع الأهواء ماجرت به قد أعطى شعوره من يده منذ استسلم للشهوات العارمة ولاعقل مع الشهوة كما لاحقّ مع الميل العارم واجدر بهذه الحضارات التى أنكرت العقول الاّ من طريق اكتشافاتها المادية ان لاتعترف للحياة بكيان وراء الشهوة الجافّة ولذلك استرذل الوضع فيها حتى ادّى بها أن تكون كالطفل فى جريه والمصاب بعقله ·

وليست العلوم فيها الاّ صناعات لفظية فاقدة لأثر التربية بالمرة فلا غرابة اذ رأينا الطبيب الماهر يحاضر فى مضرّات الكحول المخدرة والمشروبات المسكرة اياما طوالا بحجج قاهرة وبراهين باهرة ومع ذلك نراه أسبق الناس الى تناولها والعكوف عليها فربّما نراه يعبّ من الخمر اكثر ممّا يتناول من الماء القراح وكذلك الاستاذ فى علم النفس تراه يشقق القول فى محاسن الصفات وذمائمها تشقيقا عاليا مافوقه مزيد ولا يفارق موقفه من ساحة التدريس الاّ وتراه اسوأ حالا من هؤلاء الطرقيين المسيّبين الذين لا يعرفون مفهوما للقبيح ولا معنى للحسن .

ولا بدّ لنا أن نتحدث عن كليات اصول الدين الأسلامى وفروعه وقواعده العامّة وملاكاته الكلية بطور ايجاز حتى يثبت لنا ماادعيناه من أن قانون هذا الدين يسيل مع البشرية على طول جريها مع الحياة .

فنقول مضافا الى ماسلفنا التحديث عنه فى الحلقة الاولى من هذا الشرح من برامج الدين الأسلامى وقوانينه ان الحكم الشرعى يكون أوليا ويكون ثانويا :ويراد بالحكم الأولى هو حكم الموضوع بما له من طبيعة اعتيادية بعيدة عن الطوارئ والعوارض كالحكم على المكلف بوجوب الصوم وبالقيام حالة اداء الصلاة وبالغسل بالماء عند عروض الجنابة ونظير ذلك ويراد بالحكم الثانوى حكم الموضوع باعتبار الطارئ والعارض اللذين لايمكن او يشق معهما اجراء الحكم الأولىّ عليه كتضرر المكلّف بالصوم وتعسر القيام عليه حالة اداء الصلاة وتحرجه بالاغتسال للجنابة فعند طروء هذه الطوارئ ينحجب عنه الحكم الأولىّ بالحكم الثانوى فلايجب على المكلف الصوم ولا القيام حالة اداء الصلاة بل يصلى امّا جالسا اومضطجعا او مستلقيا على قفاه ويتيمم بالتراب بدلا عن الغسل .

ومن طريق هذه الطوارئ قد يجب ماكان مباحا ويباح ماكان واجبا

ويحرم ماكان جائزا ويجوز ارتكاب ماكان حراما وهلمّ د واليك ومع هـــذه البرامج السيّالة لاترى المكلف فى حرج من د ينه اصلا ماجعل عليكم فـــى الد ين من حرج ٠

كما يكون الحكم الشرعى :اقتضائيا :وانشائيا :وفعليا :وتنجيزيـــا :: وواقعيا :وظاهريا ٠

(١) والاقتضاء معناه ان مقتضيات تشريع الحكم موجودة ولكن الوضـع بحسب ملابساته وظروفه واحتفافاته يأبى عن اعمال هذه المقتضيـات لان الملابسات المفروضة لاترى مجالا لذلك ٠

(٢) الأنشاء وهو يكون بعد حصول المقتضى عند مقاربة الوضع الـذى يستشمّ منه سنوح فرصة الوقوع ومعنى الانشاء هو خروج المقتضى بما اقتضاه الى منصة الظهور والتقرر الخارجى نظير تد وين القانون الذى كان صرف خواطر نفسية وارادات قلبية لم تخرج من الخاطر والقلب الى عالم الكتابـة والتحرير ٠

(٣) مرحلة الفعلية وهى تكون بعد مرحلة الانشاء كمن دوّن قانونـــا فيرسله الى الوزارات المربوطة لتبثّه بين اداراتها التابعة ٠

(٤) مرحلة التنجز وهى تكون بعد مرحلة الفعلية كمن أبلغ قانونـــه لعامّة الأدارات فبلّغته للافراد بوسيلة الاعلانات وغيرها وهنا تكـــون المؤاخذة على التمرد والأثابة على الطاعة ٠

(٥) والحكم الواقعى هو الحكم الأصالى الثابت للموضوع على كل حال وان لم يتنجز احيانا ٠

(٦) والحكم الظاهرى هو الحكم الذى تنطق به الامارات معبّرة عـن واقعه فان اتصلت بالواقع نجزته وان لم تتصل به كانت عذرا للمكلف وعلـى مقربة من هذا يقال فى الاصول العملية ٠

والاحكام الشرعية بشتّى صورها الآنفة تكون عبادية وتكون معاملية والأولى تقع فى خط العبد بينه وبين معبوده كالطهارات الشرعية والصلاة والصيام وحجّ بيت اللّه الحرام والثانية تقع فى خط العبد لنفسه وبينه وبين اخيه فى النوع كالبيوع والقروض والهبات والودائع والعوارى والأجارات والوكالات والوصايات والانكحة والطلاقات والكفارات والمطاعم والمشارب والصيود والذباحات والمواريث والأقضية والشهادات والحدود والقصاص والديات وما الى ذلك ممّا يرتبط بكل حركة وسكون للمكلف على صعيد الحياة العامة والخاصة فان اللّه سبحانه لم يترك موضوعا يتصور اويقدر الاّ وقرّر له حكما بعنوان خاص او بملاك عام فالحكم الشرعى واف كاف لتسيير البشرية على اطلاقه فى مجارى الحياة على اطلاقها ومن هنا يتضح للانسان بطلان ماعليه القاديانية والبهائية الفرقتان اللتان تدعيان لأنفسهما رسالة جديدة تتميما للرسالات السابقة عليهما فان فى وفاء برامج الاسلام لكل جيل قطعا لكل دعوى تدّعى وزعم يزعم هذا مضافا الى سقوط هاتين الدعوتين فى انفسهما لانحطاط افق رسالتهما عن مستوى اية شريعة تفرض وتسفّل نزعاتهما لحدود بعيدة انصافا ولاغرابة من اشباه العوام ان تكون رسالاتهم مجموعة اضاليل وخزعبلات .

وما يدعيه هؤلاء والمتجددون معهم من ان تطور الزمان والانسان ممّا يدعو الى تطور الدين والنظام فغلط مفتضح لان الانسان لا يتطور فى عقلياته الصحيحة اصلا وانما يتطور فى عاداته وتقاليده والعادات انّما تحترم اذا لم تخالف الحقائق الراهنة فاذا خالفتها وجبت مبارزتها بكل لون ممكن :مثلا كل العقول متصامدة على حرمة التلصص والسرقة وبذل الرشوة واخذها لأحقاق الباطل وابطال الحق فلو ان جيلا من اجيال البشرية استساغ ذلك لنفسه وعمل به الجميع لم يكن ذلك مبررا للحكم

بأباحة السرقة والرشوة بضرورة العقول :ونظير ذلك الزنا واللواط وشرب المسكرات والتهتك ومامتّ الى ذلك ممّا يوجب انحطاط قدر الأنسان وتعثّره فى الحياة ٠

وكل ما ابدعته الحضارات من موجبات الميوعة والتخنث والانحرافوتفكك الاواصر وترهل الحالة الاجتماعية فى المجتمعات الصغيرة وهى البيوت الكبيرة وهى الشوارع والطرق والنوادى العامّة فهو من الضربات المنهكة لقوى الاجتماع البشرى والمفسدة لأفراده بلا تردد ٠

فأىّ عاقل لا يلعن شاشة السينما والتلفزيون وهى تمثّل المرءة عارية والرجل بادى السوءة امام مئآت الناس واحدهما يغالب الآخر على نفسه بصورة قذرة بشعة فهل فى اشاعة مثل هذه الفحشاء الاّ اثارة للغلمة الكامنة فى نفس كل انسان اثارة لايتصور لها نظير حتى فى الحيوانات الهاملة ولا يعلم الاّ الله ماذا تؤتيه هذه المناظر القذرة من فزع وجزع ومغالبة ومطاردة وفتك وانتهاك

واىّ عاقل ايضا لا يلعن حانة الخمّار التى لا يصدر منها الاّ الهمج الرعاع بالنعيق والصياح المزعج والعربدة المقلقة ان لم تتأت منها ويلات اخرى من ملاحقات ومضاربة وقتال ٠

واىّ عاقل ايضا لا يلعن الهيئآت القضائية التى احتضنت لنفسها كافة شؤن الناس وهى لا تعرف القضاء الاّ بالشفاعات ورضخ الرشوات ومجاوبة الميول والوقوع فى أسر النافذين ٠

وقس على ذلك كل شارة من شارات التجدد التى امتاز بها عن جوامع المتدينين بزعم انّها تطور فى الحركة الحيوية للمجامع البشرية ٠

وما يعتزّ به الجديد من اسالة ماءه ونور كهربائه وتعبيد طرقه وماقرب من ذلك فهو اعتزاز فى محله لكنّه لا يمس بكرامة الشرائع السماوية والحكومات

الدينية بمقدار شعرة اذ لا ربط لهذه المطالب بنظام الحياة من حيث البرامج الحافظة للحياة الفردية والنوعية فان الدين لم يوجب على المكلّف ان يمتطي حدبة البعير دون الجتّ ولا أن يستضيء بالشمع دون البرق بل هو على العكس ممّا فرضناه فقد حبّب الى الانسان النظافة والزينة والجمال وحسن السمت والوقار وكل ماقرب من هذه السمات .

نعم هو يمنع الانسان العاقل ـ أخلاقيا ـ ان يكبّ على المادة وان يجعلها الهدف الأصيل من حياته لأدراك كل عاقل ان الانكباب على الماديات بتوسع ممّا يورث في النفس ضراوة ينسى معها كل خلق فاضل من صلة رحم ومواساة ضعيف واحسان في سبيل برّ وقس على ذلك نظائره مما هو مفقود اليوم بين المكبّين على المادة .

وربما يدعى المتجدد ان النظام الديني المعاملي يستسيغه العقل من ناحية انه يدور على محور الحياة لكننا لانفقه معنى للحكم العبادي من طهارة وصلاة وصيام وحج فاىّ اثر لهذه المطالب في حياة الانسان وجوابه ان كل واحد من هذه المطالب وازع مهمّ عن اقتراف السيئآت ودافع قوىّ لفعل الخير وقد بسطنا الكلام على ذلك في الجزئين الثاني والثالث من هذا الشرح امّا عن الصلاة ففي بحثنا عن المواعظ والزواجر وامّا عن الصوم والحج وسائر الامور العبادية وغيرها ففي بحثنا عن فنون وعلوم نهج البلاغة ولا داعي الى الاعادة .

كما ان المتجدد ينكر شرائع السماء بالمرّة ويرى ان الانبياء افراد نوابغ تميّز كل في عصره وجيله بمؤهلات فاق بها ابناء عصره ومن طريقها أهاب بافكاره وآرائه وانما لم ينسبها الى نفسه تعزيزا لوقعها هي ولموقعه هو بين الناس لان العوام ومن كان على مقربة منهم لا يصيخون لدعوة يقوم بها واحد منهم وان عرفوه بالفضل والتقدم ولكن دعواه هذه باطلة بالحس

الشهودى .

ونحن فى جوابنا الذى نستعرضه يشق بل يتعذر علينا ان نأتى على حياة كل نبىّ نبىّ ومالابسه من احتفافات واقترانات تبرهن على ان دعوته هى دعوة الغيب وماوراء الطبيعة وان الشريعة التى جاء بها هى من لدن اللّه سبحانه وانه هو واسطة ايصال بين العبد والمعبود لااكثر ولكننا نتعرض لحياة نبىّ الاسلام الذى هو خاتم الانبياء ودينه الذى هو آخر الأديان : فنقول .

لا يشك انسان ان محمد بن عبد اللّه بن عبد المطلب نشأ بين بادية الحجاز ونفس مكة وان هذه المناطق كانت بعيدة عن الثقافة بعدا لاتتصور مسافته واكبر برهان على ذلك اغراق بشر ذلك المحيط فى عبادة الاصنام ولم يتجاف عن عبادتها يومذاك الاّ افراد قلائل ادركوا قبح الخضوع لها من دون أن يكون فيهم فضل اوصبابة من علم كورقة بن نوفل وامية بن الصلت بل ممّا يدلّ على قشرية اناس ذاك المحيط على الأطلاق انهم لمزيد اهتمامهم بالمعلقات السبع علقوها على الكعبة احتراما لها وتقديسا لمعانيها وهذه المعلقات السبع فى متناول كل يد وخلاصة المواضيع التى تطرقت اليها عدة امور .

(١) الغزل نظير ــ أفاطم مهلا بعض هذا التدلل ــ ويجب ان يعلم ان القضايا الجنسية والتعبير عنها سواء أكان بمرذول القول ام بشريفه من غرائز النوع الانسانى ولاتحتاج الى درس وتعلّم فكل حيوان به أن ينطق يعرب عن دوافعه الطبيعية من جوع وعطش وشهوة وانما يتفاوت الناس فى حسن التعبير عن ذلك وركّته اذن فليس فى هذه المطالب علم كسبى ومعارف نظرية .

(٢) الحماس والفخر والمكاثرة والمهاترة وهذه الانانيات من نتائج

العامية لا التحصيل والفضيلة فان من يفاخر قبيله بأن سيفه أحدّ وفرسه اجود وماله أوفر ومناله اكثر من أجهل الجهّال فى الحقيقة .

(٣) التجارب والتمارين نظير قول احد اصحاب المعلقات .

ومن لم يذد عن حوضه بسلاحه
يهدم ومن لا يتق الشتم يشتم

ومهما تكن عند امرء من خليقة
وان خالها تخفى على الناس تعلم

وهذه المطالب وان كانت اجلّ من سوابقها الاّ انّها لا تتجاوز التجارب السطحية الحاصلة للانسان باحتكاكه ومعاشرته مع الناس .

هذا احسن كل متاع كان يوجد فى نجد والحجاز وما جاورهما من المناطق نعم ان اليتم والضيق المادىّ اللذين واكبا محمّدا سدّا عليه حتى المنافذ التى كان يسلكها اشراف مكة المؤسرون فى تربية اولادهم بتعليمهم القراءة والكتابة بل الضيق المادى الجأه الى أن يعمل للناس حتى يحفظ رمقه فعمل لخديجة بنت خويلد وسافر من أجل ذلك الى الشام اكثر من مرّة لكن ذلك لم يفده علما نظريا فى المطالب النظرية العلمية لان الكثيرين من اشراف قريش اكثروا من الرواح الى الشام واليمن بأضعاف ما اتفق لمحمد بن عبد اللّه ولم تفدهم هذه الاسفار اقل القليل من العلم على ان الشام واليمن فى يومهما ذاك ماكانتا من حواضر العلم وان فاقتا مكة والمدينة بنوع من الحضارة المادية واىّ ربط بين الحضارة المادية والثقافة العلمية .

فهذا مجال محمد قد عرفته اميّة محضة ومحيط خرافى موهوم وبيئة جاهلة وبلد بعيد عن كل ثقافة فمن اين حصل له النظر الفنّى الفلسفى الذى لا يحصل الاّ للفنانين المتضلعين حتى قال فى التعبير عن ذات واجب الوجود خالق الخلق :لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو

اللطيف الخبير :فان كل كلمة من هاته الكلمات الاربعة (١) لاتدركه الابصار (٢) وهو يدرك الابصار(٣) وهو اللطيف(٤) الخبير :فيها معنى جوهرى عظيم فكلمة لاتدركه الابصار تعطى تجرد الخالق عن المادة ومحيط محمد ابن عبد الله ماكان يعرف للتجرد معنى بالمرّة ولا يجول له مفهوم في اذهان أهله وتعزيزا لهذا المعنى وصفه بانه اللطيف فان اللطافة الواقعية من اوصاف المجردات فقط وكلمة يدرك الابصار تعطى سعة علمه واحاطته بكل شيء وانّه لا يشذّ عن اطلاعه كل موجود يجوز ان يبصر وهذا المعنى كسابقه ممّا لا يعرفه محيط محمد ولا البيئة التى عاش فيها وتوضيحا لهذا المطلب وصفه بانه خبير وأن دركه للابصار لا بآلة وحاسّة لاستحالة ذلك عليه من أجل تجرده بل بسعة علمه واحاطته بالموجودات على سعتها غير القابلة للتحديد .

وهذه آية من مئآت آيات الكتاب العزيز الذى جاء به محمد بن عبد الله :فمن اين جاء بهذا المتاع الذى تحدّى ولا يزال يتحدّى الأمم والملل بلسان مديد غير منقطع ــ فأتو بسورة من مثله ــ طبعا جاء به من مبدأ اعجز الكلّ حتى الذين ادّعوا انه من صنع محمد نفسه على ما يملكون من اقلام مبريّة حبّرت عشرات الكتب الرائجة :فعلام انقطعوا عن مناهضة من يقول بمديد صوته فى كل آن ــ هل من مبارز ــ ان هذا الانقطاع دليل العجز لا محالة .

اذن فعلم محمّد فى قليله وكثيره وحى والهام من الله ما ينطق عن الهوى ان هو الاّ وحى يوحى علّمه شديد القوى :بل ان مدرسة القرآن باشراف محمد عليها وادارته لها أحالت من جيل الجاهلية جيلا آخر يباينه مباينة كلية فى كل شيء فبعد أن كان محيط الجزيرة العربية محيطا منكمشا لنفسه عريقا فى العامية فاقدا للكمال بكافة صوره بعيدا عن الفضل

والفضيلة متجافيا عن قدسية الايمان بالمبادئ الفاضلة مطهّه محمد بايمانه واخلاصه وايمان المخلصين من اصحابه الى ابعد حدود تتصور وجعل له السيادة والحاكمية ونشر فيه من العلم ماملأ الطوامير وكثّر فيه من اهل الفضل والفضيلة ماجعله كانون الفضائل وقرّبه من قدسية الأيمان بالمبادئ الفاضلة حتى انتج منه علىّ ابن ابى طالب وعمّار ابن ياسر واباذر الغفارى وسلمان الفارسى ومن كان على هذا الطراز .

وليست العلة التى ذكرناها فى استيحاء علم محمد عن الغيب بالوحى والألهام منحصرة به بل كافة رسل اللّه كانوا على هذه الطريقة يستمدون علومهم التشريعية وغيرها عن اللّه سبحانه بوحى اوبألهام وهكذا حال اوصيائهم الذين أقاموهم مقامهم لتفضيل ماأجمل فى وقته وتوضيح ماابهم فى حينه .

فان الذى يدرس حال على بن ابى طالب فى العلم و الفضل لا يتخالجه شك فى انه كان من فحول العلماء المنقطعى النظير وكفى هذا المطلب صدقا ان كافة من عاصره من خلفاء وصحابة آخرين وتابعين كانوا فى حاجة الى علمه وانه كان يقول بمديد صوته على صهوات المنابر سلونى قبل أن تفقدونى فلم ينكر عليه احد فى ذلك كما لم يعجزه احد فى هذه الدعوى ونحن اذا فحصنا عن منبع ذلك لم نجد له مرجعا سوى مكتب رسول اللّه (ص) لفقد ايّ مرجع سواه :وحياة رسول اللّه مضبوطة الآنات والدقائق امّا زمانه الذى قضاه قبل الهجرة فقد كان مضايقا فيه اشدّ المضايقة من خصومه المشركين مبلبل الوضع والحالة الى حدود مهمّة على ان هذه الفاصلة كانت فاقدة للتشريفات وتقرير الأحكام وامّا السنون العشر التى عاشها بعد الهجرة فقد كان فيها مناضلا ومقاتلا فى اكثر اوقاته ولم يكن (ص) متخصصا بحياته لعلىّ وحده مقصورا عليه فقط على ان الذين

سبقوا بأسلامهم وما بارحوا النبيّ فى حله ومرتحله ليسوا بقليلين لكن ليس عندهم من فضل علىّ الاّ النتف المحدودة فهذا الخليفة الأول ارتكب فى خلافته اشياء وحكم بأحكام تمنّى عند موته انه لم يرتكبها ولم يحكم بها وهذا الخليفة الثانى طالما اشتبه عليه وجه المطالب ففزع الى ابن عباس فضلا عن على واستفسر عنها وهو القائل لولا على لهلك عمر ولا بقيت لمعضلة ليس لها ابو الحسن ولولاك لافتضحنا يخاطب عليا بذلك .

فلو كان علم علىّ مستفادا من طريق هذه الممارسات لما تفوق على كافة الصحابة تفوقا له رسمه ووسمه كتفوق الاستاذ الشهير النحرير على تلاميذه وقد اعترف له بهذا التفوق كل احد الاّ من أماتت العصبية قلبه وحزّ الحسد الفاضح بنفسه حزّا بليغا :اذن فلابد فى ارجاع علمه الى نقطة غيبية وتسديد ربّانى خاص به نفهم معنى ماورد من قول النبىّ (ص) انا مدينة العلم وعلىّ بابها وقول علىّ (ع) علمنى رسول اللّه ألف باب من العلم ينفتح لى من كل باب ألف باب وبدون ذلك لا يكون لهذه الأقوال معنى مفهوم ولا للعلم الذى كان يملكه علىّ منشأ معلوم .

وهكذا يقال فى حق الصادقين محمد بن على وجعفر بن محمد عليهما السلام فقد ورد عنهما بالطرق الصحيحة والحسنة والموثقة الشىء الكثير من متنوع العلوم والمعارف السمين فى مادته المفقود نظيره عن غيرهما من معاصريهما فقد ثبت بالقطع انهما لم يتلمذا فى مكاتب الاغيار لعدة علل قاطعة (١) ان الاغيار المعاصرين كانوا فى الأعم الاغلب من المنحرفين عن اهل البيت مجاراة لسياسات الوقت وجهلا منهم بمقام آل بيت النبى كما يحق ويليق (٢) ان الأهمّ الأوفر من معلوماتهم كان قشريا سطحيا وهو نقل الحديث بدون توجه لما يلزم التوجه له من فهم الحديث عن طريق الاجتهاد الصادق القائم على دقة النظر والميزان الفنىّ القويم

(٣) ان جملة من مصادر حديثهم كان من امثال عمران بن حطّان المعروفة هوياتهم وكل هذه الهنات كانت مانعة عن اتصال اهل البيت بهـــؤلاء وامثالهم الاّ اتصال مجاملة فى الأحيان الملجئة .

والذى يجده المتنور من اهل الفضيلة من آثار الصادقين فى الكتب المتواترة الصدور عن أهلها والاصول المدونة فى زمانهما اوبعده بشىء قليل يراه سمينا فى مادّته مهمّا فى محتوياته عاليا فى مضامينه بمالانظير له ولاوجود لمثله فى متاع الحسن البصرى وابن سيرين واشباههما ولهما فى الاحتجاجات والمناظرات مع المادّيين والمنحرفين بحوث لها قيمتها وهكذا فى شتّى مراحل العلوم والفنون وتركا بعدهما من التلاميذ من له شأنه المرموق وشأوه البعيد فلولا انّ للغيب فيهما عناية خاصة وراءمجارى الطبيعة الدارجة لأعجزنا الموقف عن فهمه وهذا الملاك موجود فى ائمة اهل البيت جميعا وان كان انفراج الزمان نسبيا أبرز عليا والصادقين اكثر ممّا ابرز غيرهم من الأئمة عليهم السلام .

أسلفنا بالدليل الملزم والبرهان القاطع ان تقنين القانون لنظام البشرية حق للّه سبحانه ولا صلاحية لغيره فيه وهكذا حق الحاكمية مخصوص به تعالى للملاكات التى قيلت فى حق التقنين واللّه عزّوجلّ كما هو موجد لمخلوقاته وحاكم عليها بالتكوين كذلك هو حاكم عليها بالتكليف والفرق بين الحكومتين ان الحكومة الاولى قسرية لااختيار معها والحكومة الثانية حكومة فى ظرف الاختيار بمعنى ان اللّه سبحانه لم يدخل نفوذه وقدرته فى فعل المكلف وتركه نعم هو توعّده على المعصية بالعقاب ووعده على الطاعة بالثواب .

كما جعل الانبياء والاوصياء والعلماء والمجتهدين الثقاة مبلغين لاراداته الى عباده من ناحية ومنفّذين لقوانينه من ناحية ثانية فالحكومة

لاتكون الاّ شرعية والسياسة لاتحق الاّ اذا كانت دينية وكل حكومة سوى ذلك لاتكون الاّ انتهازية عريقة فى الرذائل قائمة بالرموز والدسائس حافلة بالتعديات مكتضة بانواع الظلم والاستئثار والأعنات والاستبداد واذا كانت كذلك فشلت أمامها القوانين اللائقة وانخذلت فى قبالها البرامج العادلة كما هى شارة العصور التى استدبرت الحق واستقبلت الباطل والعصور كلها كانت كذلك الاّ عصرا حكمه نبىّ او وصى اوعالم ربّانى وما اقل ذلك فى سلاسل الأجيال .

ولم يكن نبىّ الأسلام بدعا فى سلاسل الانبياء فكما انهم قاموا بوظيفتهم فى الوصاية قام هو (ص) بذلك قياما جاهرا فى مناسبات عديدة أصحر فيها بان على ابن ابى طالب نظيره فى الولاية :ألست اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى :قال فمن كنت مولاه فعلى مولاه كما قال انت منى بمنزلة هارون من موسى الاّ انه لانبى بعدى :وقال انت اخى ووزيرى ووصى وخليفتى من بعدى :وقال الكثير الوفير من ذلك ونحن قد بسطنا هذه الاقوال وشروحها فى المجلد الرابع من نتائج الفكر بسطا ماعليه مزيد وسوف تقرأ عصارة ذلك فى الفصل الذى نعقده للسقيفة : بعنوان السقيفة بين مقدماتها ونتائجها كما تقرؤها فى المناسبات المتتالية من هذا الجزء ان شاء اللّه تعالى :

وامّا اولئك الذين امتطوا عروش الحاكمية سواء أكانت بصبغة دينية ام دنيوية قبل نبىّ الأسلام وبعده ماسوى الانبياء الأسبقين وخلفائهم المنتجبين والعلماء الربانيين فلم يكونوا الاّ متهجمين ولا يعير المنطق التفاتا الى هاته الحكومات القائمة فى دنيا اليوم باسم الانتداب والانتخاب لما شهدته البصائر والابصار من تزويرات وشعوذات واغارات وانتهازات فالحقّ والحقيقة منذ عهدت البشرية نفسها قليل اهلهما ضعيف تحققهما

وما وجود المثاليين الأعاظم من علىّ وشبيه على الاّ فلتة فى الوجود وأطباق الموجود وهذا أوان الفصل الذى وعدنا به آنفا .

* (السقيفة بين مقدماتها ونتائجها) *

ويتلخص الوقوف على جوهر هذه القضايا فى البحث عن النقاط التالية :

١ــ ماهى الخلافة الدينية الشرعية .

٢ــ ماهو موقف نبىّ الأسلام منها .

٣ــ هل كانت للنفاق ظاهرة مستجلاة فى مسلمى عهد النبىّ (ص) .

٤ــ وهل كان وراء المنافقين بين المسلمين ضعفاء فى دينهم .

٥ــ الانقلاب بخير اوبشر حاصل فى جميع الطبقات وفى عموم الأدوار .

٦ــ من ضمّه محيط السقيفة حين انعقاد ندوته .

٧ــ متى ظهر الانتهاز فى نيل الخلافة .

٨ــ هل كان نيل الشيخين للخلافة عن اعتقاد جازم بها .

٩ــ ماهو الذى ادلى به القوم للحصول على منصة الخلافة .

١٠ــ الهوى النوعى لرؤس المسلمين مع ايّ انسان كان .

١١ــ كيف كانت مغبّة سعد بن عبادة مؤسس ندوة السقيفة .

١٢ــ هل كان للمصانعات ذاك اليوم مفعول فى تركيز الخطة .

١٣ــ وهل أطاح الانقلاب بحيثية اهل الكرامات .

١٤ــ كم هى التموّجات الناتجة عن يوم السقيفة .

١٥ــ كيف ترى يكون مصير التاريخ لو تسلّم على الخلافة مباشرة بعد النبىّ (ص) وكيف كان منطقه فى استحقاقه الولاية الشرعية مباشرة وماالذى منعه عن مناهضة الوضع فى اول اوقاته واصولا ماالذى دعاه الى مواصلة

تجهيز النبيّ وعدم الحضور في مجتمع السقيفة .

ونحن نبحث عن هذه النقاط الخمسة عشر بحثا متعرضا للنكات الرئيسية من دون أن نعرف لسوى المنطق قيمة او أهمية بعون الله .

* (١ــ الخلافة الدينية الشرعية) *

قد نعرب عن حقيقة واضحة اذا قلنا ان اهمال سروح الحيوان فضلا عن جامعة بني الانسان ممّا يؤدي بها الى الانهيار المحتّم ولذلك نرى دنيا بني آدم من اقدم عهود البشرية فيها قد قامت على هذه الركيزة حيوانا وانسانا الاّ انها عالجت هذا المشكل بما هو اشدّ اشكالا منه فكانت تخوض عبابا من الدم الحرام لتركيز أهوائها لا لتحكيم الأمن والعدل بين افرادها ومن هذه المعالجات الدامية ترى العالم من شرقه الى غربه يعجّ بالويلات التي لا تمضغ ولا تهضم سواء في ذلك العهد الحجري والعصر الذهبي فقد نظم الجميع سلك واحد هو الاستئثار بالحكم لمصلحة شخص واحد وبطانته لا اكثر اذن فمحذور الأهمال المؤدي الى الأنهيار بهذه الغاية السقيمة لم يزل سيّالا في كافة الحكومات على تسلسل الاوقات.

والمجامع البشرية على طول جريها مع الزمان لم تزل ولا تزال تنقده وتلعنه وتتمنّى الحكم العادل الذي يقوم بالمصلحة العامة وعلى حساب هذه العقيدة الراهنة نرى اجيال البشرية لا تفتر عن التحدث بفضل العبد الصالح والحاكم العادل والعالم العامل وترى ذكره بالمعروف من فريضة الوجدان وموجبات الأيمان وفي عرض ذلك نراها تلعن المتفرعن المتهجم من كل قلوبها ومهما تلاحقت الاجيال على فناءه وهذه الغريزة تصحر بوضوح على ان لا حكومة لسوى اللاهوت أساس الشرائع الحقة والبذرة الاولى لسياسة الناس ولمّ شملهم .

وقد اطبق الجميع على ان الفرص التى تشرفت بسيطرة الانبياء عليها من أحسن الملابسات التاريخية فى مجامع بنى آدم فكان الايثار مكان الاستئثار والانصاف بدل الأجحاف والصدق والرفق والنزاهة والامانة عوض الكذب والأعنات والدجل والخيانة وجملة كان الحقّ مكان الباطل والحسن بدل السيء والاستقامة عوض الانحراف ولهذا لاتقف على رواية فى التاريخ على انشعاث رواياته بحسب انشعاث عقائد رواته تشير من طرف خفى اوجلى الى انّ على بن ابى طالب دلّس فى حكومته ايّام خلافته او انحرف ولم ينصف او استأثر ولم يعط الحق من نفسه وما الى ذلك لان العيان أشخصه الى الوجود مثال الفضيلة العالية واللاهوت الأسمى ويستحيل على من تربعت فى حنايا صدره هذه الروح ان يصدر عنه غير الحق ويترشح منه غير الصدق ويأتى عنه مافيه ادنى شوب لباطل ومنبع الحصول على مثل هذه الروح هو الفناء فى الفضائل بكمال المكاشفة وذوب روح الطغيان الحيوانى بالمرّة وهذا مالا يتأتى الاّ لخريج مدرسة اللّه فالخلافة الدينية الشرعية من صميم ملاك النبوة الربانية وكلتاهما لاتكونان الاّ بالتنصيص من اللّه المحور الذى تدور عليه العوالم والمتشبع وجوده بكل كمال على ارقى مقياس .

* (٢ ــ ماهو موقف نبىّ الأسلام منها) *

ومنذ اظهار الدعوة رصد نبىّ الأسلام لهذه المهمّة فجمع (ص) على اثر نزول قوله تعالى وانذر عشيرتك الاقربين بنى عبد المطلب وقال لهم انى واللّه مااعلم شابا فى العرب جاء قومه بافضل ممّا جئتكم به قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرنى اللّه ان ادعوكم اليه فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على ان يكون اخى ووصى وخليفتى فيكم فأحجم القوم عنها

جميعا وقال على انا يانبيّ اللّه اكون وزيرك عليه فأخذ برقبته وقال ان هذا اخي ووصي وخليفتي عليكم فاسمعوا له وأطيعوا :وقد ذكر هذه المادة أهل الحديث والتفسير والتاريخ وحاول بعض الناس التشكيك فيها بأن المخاطبين كانوا حينذاك مشركين الآ عليا فكيف جاز خطابهم بقوله فأيكم يؤازرني على هذا الأمر وبعد احجامهم عن الاجابة كيف يسوغ خطابهم ايضا بقوله فاسمعوا له وأطيعوا ولكن ذلك من توافه الأشكالات :امّا الخطاب الأول فهو من رديف القضايا الفرضية كما تقول لعدوّك استنزالا له ان دخلت في جبهتي اخصص لك نصيبا من هذا الأمر الذي أسعى له وامّا الخطاب الثاني فهو كخطاب اللّه بيا ايّها الناس لعامة الأفراد وفيهم من يلحد به ولا يعترف بالخالق اصلا وهو صحيح في نفسه فان الكافر بالوظيفة لا يخرج بكفره عن ربقة التكليف الآخذة بعنقه وعنق كل انسان يصح وقوع التكليف عليه فخطاب اللّه والرسول للملحدين والموحدين في عرض واحد ناتج عن توجه التكليف الى الجميع وتمرّد المتمرد لا يشذّ به عن هذا المستوى العام .

واستمرّ رسول اللّه (ص) يلاحق النصّ على تنزيل على بن ابى طالب من نفسه هو (ص) في عالم التشريع منزلة الوصي والخليفة والوزير والأخ بل منزلة النفس وانه وايّاه مندرجان تحت ملاك واحد وهو الاولوية بالمكلفين من انفسهم وذلك بمدرك التواتر القطعي من قوله انت اخي في الدنيا والآخرة والذي بعثني بالحق ما اخرتك الآ لنفسي وانت مني بمنزلة هارون من موسى وانه احد الخمسة الذين نزلت في حقهم آية التطهير من الأرجاس والأدناس وهو ملاك العصمة بلا ريب وآية المباهلة وعدّه فيها عديلا للنفس النبوية وقوله له في وقعة خيبر بعد مافرّ الأكابر عن مناجزة القوم لأعطينّ الراية غدا الى رجل يحبّ اللّه ورسوله ويحبّه اللّه ورسوله

كرّار غير فرّار وقوله له فى غزوة تبوك أفلا ترضى ياعلىّ ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى الاّ انه لانبىّ بعدى وهذا الأثر من انصع البيانات فى اعطاء المطلوب العظيم من المقدمات القصيرة وقوله له فى توجيه سورة براءة معه واخذها من ابى بكر لا يؤدى عنى الاّ انا اورجل منّى وقوله فى حقّه ألست أولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فهذا علىّ مولاه وقوله انى تارك فيكم خليفتين كتاب اللّه واهل بيتى وانهما لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض وانى تارك فيكم ثقلين كتاب اللّه واهل بيتى :ومثل اهل بيتى مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق :فأىّ بيان اوفى وأصرح فى ايفاء معنى الخلافة الشرعية والزعامة الدينية من هذه البيانات العامرة بالأفصاح عن اداء المقصود بأجمع وجه وأوفاه مضافا الى أن المقول فيه آية من آيات الملكوت الأعلا لم يحتضن له العيان بنظير فى كل شىء من اشياء الانسانية المطلقة بمعاييرها الأوفى فهو العالم المتبحر والمثالىّ الذى أعجز كافة الناس أن يلحقوا شيئا من شأوه واللسن الذى ينحدر عنه بليغ القول كما ينحدر السيل عن الصخرة الملساء والشجاع الذى خافته المنايا قبل البرايا والسخىّ الوفىّ الحيىّ العابد الزاهد الورع التقىّ افضل خلق اللّه بعد نبيّه فى كل سجاياه ومزاياه بالعيان الذى مافيه شك ولا تدليس ولقد كان فى عالم البشرية على طوله وعرضه منقطع النظير والذى يتشكك فى ذلك يهضم نفسه ووجدانه وكفى عليا انه آمن بقدسيته من لم يؤمن بانسان سواه على الاطلاق وامّا ايقاع الموازنة بينه وبين عيره فهو كما قيل ٠

كم بين من شكّ فى عقيدته وبين من قيل انّه اللّه

راجع للنقول الآنفة مابسطناه فى كتابنا نتائج الفكر ٠

* (٣ ــ هل كانت للنفاق ظاهرة مستجلاة فى مسلمى عهد النبىّ) *

لا بدع اذا تشتت الآراء فى هوية الأنسان فرآه بعض انه جوهر ثمين ورآه البعض الآخر انه قرد مهين فان مدرك الاول على ما يراه قابلية هذا الموجود بمواهبه الكامنة فيه الى ان يجئ بنفسه اعجوبة العالم فى انتاجاته العلمية وقد تحققت هذه القابليات فى مصاديق كثيرة طفح بها العيان من دون تدليس او ريب ومدرك الثانى على رأيه هو ما اعطته سلاسل الاجيال من نفسها فى كل آن من تخريب وتدمير وتشويش وتغيير وهياج وازعاج وويلات تقشعرّ لها الأبدان وتجب لها القلوب من قليل وكثير فى كافة مجارى الحياة البشرية الكلية والجزئية بما يستحيل جمعه فى أطار واشخاصه للوجود الجاهر لتراه كل عين حتّى صحّ للبعض على يقين جازم منه ان يعبّر عن الانسان انه اجنى جناة الوجود وانه أضر على الحياة من الصواعق المحرقة والزلازل الهدّامة والبراكين المستعرة والطوافين الجارفة والسيول المدمرة والأعاصير العابثة والاوبئة المتلفة والمجاعات المبيدة وما الى ذلك من مواليد هياج الطبيعة وطغيان الكون معتقدا ان هذه الانحرافات الطبيعية تحصل فى آن دون آخر وفى صقع دون صقع وامّا الأنسان فتخريبه ليس محدودا بفاصلة زمان اومكان او بعنصر دون عنصر فهو على طول الدهر وعرضه وفى جميع اماكنه وعناصر موجوداته وعلى جميع حالاته من كونه حاكما اومحكوما غنيا اوفقيرا قويا او ضعيفا عزيزا او ذليلا كبيرا او صغيرا عالما او جاهلا متحيز الى رمز ومنتهز لفرصة ومحرّك لا يقرّ به قرار ومافتح ابن انثى عينيه فى هذا الوجود وزمّ منه الاّ وباطنه مثقل بالهنات وعواطفه مثخنة بالجراحات .

هذان رأيان فى هوية الانسان وكلاهما مصيب فى حدود ما اعرب عنه

والذى يجمع بينهما هو لزوم الاعتراف بان هذا الموجود قابل من طسرق مواهبه الكامنة فيه لأن يكون من اعاجيب العالم فى انتاجاته العلميـــة والعملية وان هذه القابلية قد تحققت فعلا فى مصاديق خارجية لاتدليس فيها ولاريب الاّ ان هذه النخبة فى قبال هاته الكثرات التى طفح بهـــا الوجود لاتجىء بنسبة قياس ولذلك لم تستطع ان تغيّر مجرى الحيـاة الاّ فى فواصل محدودة من الزمان وفى اصقاع محدودة من الارض وعليه فيجوز لنا ان نعتبر استمرار الدهر بهناته وتلاحقه بجناياته واتصال اوصاله بمـا هى عليه من العلل والامراض مقياساً فى الحياة .

ومع التعرف على هذه المقدمة يجب الاعتراف بان الأصل فى الأنسان هو الانحراف ولذلك كانت روح النفاق روحا رائجة فى اطباق البشريـــة كالارواح الخبيثة الاخرى فنبىّ الاسلام وان استطاع ان يصون وجـــوده ويفرض دعوته على الخارج فى هجرته الى المدينة من طريق جملة مـــن المخلصين له فى موسعة المهاجرين والانصار الا انه كان محفوفا بمنافقين فى نفس دار هجرته ان لم يزيدوا على المخلصين فانهم لا ينقصون عنهـم قطعا وكل من قرأ السيرة النبوية عرف ذلك بجلاء .

فقال ابن اسحاق ــ فى كلامه على غزوة تبوك ــ حدثنى عاصم بن عمر ابن قتادة عن محمود بن لبيد عن رجال من بنى عبد الأشهل قال قلـت لمحمود هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم قال نعم واللّه كان الرجـل ليعرفه من اخيه ومن ابيه ومن عمه وفى عشيرته ثم يلبس بعضهم بعضا على ذلك :وجاء فى السيرة ان النبىّ (ص) خرج الى تبوك بثلاثين الفا مـــن الناس وان ابن ابىّ عسكر على ثنيّة الوداع بما لا ينقص عن ثلاثين الفا ايضا فلما سار رسول اللّه تخلف ابن ابىّ بمن كان معه تشتيتا لمعسكر النبـــىّ ومع ذلك فقد كان فى الجيش الذى سار مع النبىّ (ص) منافقون كثيـــرون

فقد جاء فی حدیث محمود بن لبید الآنف انه قال فلقد اخبرنی رجال من قومی عن رجل من المنافقین معروف نفاقه کان یسیر مع رسول اللّه حیث سار فلمّا کان من امر الناس بالحجر من جهة فقد ان الماء ودعا رسول اللّه حین دعا فأرسل اللّه السحابة فأمطرت حتی ارتوی الناس اقبلنا علیه نقول ویحك هل بعد هذا شیء قال سحابة مارّة ثم کان رسول اللّه ببعض الطریق فضلّت ناقته فخرج اصحابه فی طلبها وعند رسول اللّه رجل من اصحابه یقال له عمارة بن حزم وکان عقبیا بدریا وکان فی رحله انسان منافق یدعی زیدا فقال هذا المنافق أالیس محمد یزعم انّه نبیّ ویخبرکم عن خبر السماء وهو لا یدری أین ناقته فقال رسول اللّه :من غیر ان تبلغه مقالة هذا المنافق وکان عمارة بن حزم کما اسلفنا عنده ولم یکن فی رحله ان رجلا قال هذا محمد یخبرکم انه نبیّ ویزعم انه یخبرکم بأمر السماء وهو لا یدری این ناقته وانی واللّه ماأعلم الاّ ماعلمنی اللّه وقد دلّنی اللّه علیها وهی فی هذا الوادی فی شعب کذاوکذا وقد حبستها شجرة بزمامها فانطلقوا حتی تأتونی بها فذهبوا فجاؤا بها فرجع عمارة بن حزم الی رحله فقال واللّه لعجب من شیء حدثناه رسول اللّه (ص) آنفا عن مقالة قائل اخبره اللّه عنه بکذا وکذا للذی قال ذلك المنافق الذی کان فی رحله فقال رجل ممن کان فی رحل عمارة وسمع مقالة المنافق ولم یکن عند رسول اللّه زید واللّه قال هذه المقالة قبل ان تأتی فأقبل عمارة علی زید یجأ فی عنقه ویقول الیّ عباد اللّه ان فی رحلی لداهیة وما أشعر اخرج ای عدو اللّه من رحلی فلا تصحبنی ــ وما ذکرناه مثال من امثلة ولا داعی للأطالة .

* (٤ ـ هل كان بين المسلمين ضعفاء دين) *

ليس التلقى وحسن الالتفات الى تفهّم العقائد الصحيحة بهيّن على كل انسان فانه ممّا يحتاج الى حضور نفس واستقبال قلب وانشراح صدر وفوق كل ذلك ان تفهّم العقيدة لاوزن له اذا لم يشفع بعمل الجوارح على طبقه لأجل هذا وذاك لم نر فى مجموعة المسلمين المعاصرين للنبى الآخذين لتعاليمه يدا بيد من ابرزهم العيان اخيارا كما ينبغى لمثلهم بل كان اكثرهم من سقط المتاع خصوصا مسلمة الفتح الذين التجأوا الى الأسلام حيث لابدّ من الألتجاء اليه والاستسلام له بل لا يجوز حسابهم على الاسلام الاّ بحساب المؤلفة قلوبهم عليه كيف وفصول السيرة عن فتح مكة وهوازن والطائف تجهر بوضوح عن مثل هذه الروحيات فقد قال رسول اللّه لأبى سفيان عندما استأمن له العباس فأمّنه ويحك يا ابا سفيان ألم يأن لك ان تعلم ان لا اله الاّ اللّه قال بلى بأبى انت وامى لو كان مع اللّه غيره لقد اغنى عنّى شيئا فقال ويحك ألم يأن لك ان تعلم انى رسول اللّه فقال بأبى انت وامّى امّا هذه ففى النفس منها شىء قال العباس فقلت له ويحك اشهد شهادة الحق قبل ان تضرب عنقك قال فتشهد وقال رسول اللّه للعباس اذهب فاحبس ابا سفيان عند خطم الجبل بمضيق الوادى حتّى تمرّ عليه جنود اللّه قال العباس فخرجت به فحبسته عند خطم الجبل فمرّت عليه القبائل فيقول من هؤلاء فأقول أسلم فيقول مالى ولأسلم ويقول من هؤلاء فأقول جهينة فيقول مالى ولجهينة حتى مرّ رسول اللّه فى كتيبته الخضراء مع المهاجرين والانصار فقال مالأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة لقد اصبح ملك ابن اخيك عظيما فقلت ويحك انّها النبوّة :وقال ابن اسحاق فى حديثه عن هوازن ولما انهزم الناس عن رسول اللّه ورأى

من كان معه من جفاة اهل مكة الهزيمة تكلّم رجال منهم بما فى أنفسهم من الضغن فقال ابو سفيان بن حرب لا تنتهى هزيمتهم دون البحر وان الأزلام لمعه فى كنانته ـ الى آخر ماقال ـ والحديث فى مثل هذا كثير طويل الذيل ٠

* (٦ ـ الانقلاب بخير اوبشر حاصل فى جميع الطبقات وفى عموم الأدوار) *

لانّ الأنسان نوعا ابن اهواءه وآرائه فهو مع الحياة يتبع نزواته وشهواته لاعقلياته المتركزة وأفكاره المتأصلة ولذلك تراه يقبل على الشىء تارة ويدبر عنه اخرى للميول المجردة والآراء الخاطفة ولو انّه أمعن النظر فى اشياءه لما تذبذب فى الحياة فكان متلونا متقلبا ولا يستطيع الباحث ان يحصى ماطلعت به افراد البشرية من انقلابات بخير او بشر الاّ اذا استطاع ان يبحث عن كل انسان طلع به الوجود ويسرد تاريخ حياته وذلك من المستحيل ولكن للاستشهاد نذكر امثلة منها ان الزبير بن العوّام تفانى دون على فى قضايا السقيفة ونراه فى فترة اخرى يشاغب عليه ويهيّج حتّى شنّ عليه حرب الجمل لالداع معقول فان عليا فى اوّله هو على فى آخره ان لم يزدد نضجا ونبوغا فى هذه الفاصلة وهذا زهير بن القين رحمه اللّه فقد كان قبل وقعة الطف عثمانيا خالصا واذا به يصير علويا حسينيا محضا وكذلك الحرّ بن يزيد الرياحى وكما اسلفنا لامجال للتطويل فى هذا المقام ٠

*(٦ــ من ضمّه محيط السقيفة حين انعقاد ندوتــه) *

السقيفة هى كما نراه اليوم بين رؤساء القبائل والعشائر فسحة مــن الأرض يسقّف جانب منها امّا بجريد النخل او القصب او الخشب ويتــرك الجانب الآخر منها شاغرا لتكون نادياً للرئيس يجتمع فيها قومه لمبادلــة الامور اللازمة وينزل ضيفه لأقامة مدة الضيافة فهى اذن مكان محدود فــى الاغلب لا يسع اكثر من اجتماع مأة او مأتى انسان وليست امثال هــــذه الاماكن بمعسكرات حتى تسع آحاد الألوف وعشراتها :هذه هى السقيفة .

وامّا حضّارها فقد اتفقت كلمة المؤرخين على ان اجتماع الانصار يــوم وفاة رسول اللّه فى سقيفة بنى ساعدة كان ليؤمروا عليهم سعد بن عبــادة والذى يظهر ان فى الحضّار الجملة الوافرة من محترمى الانصار لكنّ هــذا الاجتماع قد تعمّت علينا بواعثه من عدة جهات امّا احتمال ان هذه النيّة كانت متبطنة فى نفوس القوم من حين مرض النبىّ فينافيه اننّا لانحسّ لهــا رائحة ولذلك استغرب الشيخان سماع حديث هذا الاجتماع عندما أخبــرا به كما استغرب بنو هاشم هذا الخبر عندما وصل اليهم وهم فى تجهيــز رسول اللّه وامّا انّها آنيّة وقتية انقدحت فى نفس سعد فعلا او كانت فــى كمينه فأبرزها فى هذه المناسبة وجمع لها قومه فأمر له وجه ولكن يأتى الينا الاشكال اننا لانرى فى هذا المجتمع الانصارى من تعرض لذكر علىّ علــى ان غالب الانصار كان هواهم معه وقلوبهم منعقدة على حبّه كما سنذكــره فى فصل مقبل وهل أنستهم مصالح انفسهم كل انسان سواهم حتى رسول اللّه الذى تركه الجميع لخاصة بنى هاشم فأذن اين مكان الحقيقة مــن قلوب هؤلاء الناس نعم هذه مشكلة منغمسة فى الأبهام وطلسم لا يحلّ .

وامّا حضّارها من المهاجرين بعد ان اوصل خبرها للشيخين عويــم

ابن ساعدة ومعن بن عدى فلم يزيدوا على الشيخين وابى عبيدة بن الجرّاح كما يعرف ذلك من يستقرأ التاريخ فى هذا المجال وامّا الأضافات الاخرى فحصلت بعد ذلك لاحينه ٠

* (٧ ــ متى ظهر الانتهاز فى نيل الخلافة) *

ان من يستجلى فصول التاريخ زمن حياة النبى لا يقف منها على ظاهرة تعرب عن تحيّز الشيخين الى جانب خاص يفيد أن القوم قد انطووا على روح تحاول القيام على الوضع متى ما احاطت بالنبىّ الطوائح كما لم تعرف لهم جامعة او نظر خاص نعم ظهرت امارات ذلك بجلاء فى قضية جيش اسامة واحضار الصحيفة ويوم السقيفة ٠

* (جيش اسامة) *

(١) قال ابن الاثير (ج٢ص٢١٥ من تاريخه) تحت عنوان ذكر أحداث سنة احدى عشرة فى المحرم من هذه السنة بعث النبىّ بعثا الى الشام واميرهم اسامة بن زيد مولاه وأمره ان يوطئ الخيل تخوم البلقاء والداروم من ارض فلسطين وأوعب مع اسامة المهاجرون الاولون منهم ابو بكر وعمر: وقال اليعقوبى (ج٢ص٩٣من تاريخه) وكان فى الجيش ابو بكر وعمر: وقال ابن سعد فى الطبقات (ج٤ص٦٦) راويا عن نافع عن ابن عمر ان النبى بعث سرية فيهم ابو بكر وعمر واستعمل عليهم اسامة بن زيد: وقال ابن ابى الحديد (ج٢ص٢٠ ومابعدها من شرحه) انّ رسول اللّه فى مرض موته أمرّ اسامة بن زيد على جيش فيه جلّة المهاجرين والانصار منهم ابو بكر وعمر وابو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وطلحة والزبير وجعل رسول اللّه فى مرضه يثقل ويخف ويؤكد القول فى تنفيذ ذلك البعث حتى قال له اسامة بأبى انت وامّى اتأذن لى ان امكث اياما حتى يشفيك اللّه تعالى فقال اخرج

وسر على بركة اللّه قال اسامة ان انا خرجت وانت على هذه الحال خرجت وفى قلبى قرحة منك فقال سر على النصر والعافية فقال يارسول اللّه انى اكره أن أسأل عنك الركبان فقال انفذ لما امرتك به ثم اغمى على رسول اللّه وقام اسامة فتجهز للخروج فلما افاق رسول اللّه سأل عن اسامة والبعث فأخبر انّهم يتجهزون فجعل يقول انفذوا بعث اسامة لعن اللّه من تخلف عنه وكرّر ذلك :وذكر نظير هذه المادة فى(ج١ص٥٣) وقال هيكل فى كتابه حياة محمد ص٤٧٨ من جملة كلام له وأمر النبىّ بتجهيز جيش عرم الى الشام جعل فيه المهاجرين الأولين ومنهم ابو بكر وعمر وامّر على الجيش اسامة بن زيد :وأطبق على ذكر هذه المادة كافة المؤرخين ومن سكت منهم عن ذكر ابى بكر فيهم فانما هو ارصاد لأهداف اخرى .

لكن القوم استشعروا بوضوح انّ فى تأمير اسامة عليهم وهو غلام والاصرار من النبىّ (ص) على نفوذ هذا الجيش الى تخوم البلقاء من ارض الشام ولعن من تخلف عنه هدفا له (ص) فأخذوا يماطلون الاوقات بالتثاقل حتى يروا مغبّة ما النبىّ فيه من مرض فأن عوفى كان له (ص) شأنه وان مات انتهز الفرصة منتهزها وممّا لاشبهة فيه ان هذا الجيش بأميره ومأموره ورئيسه ومرؤسه خالفوه وقد قال سبحانه(الآية ٣٦ من سورة الأحزاب) وما كان لمؤمن ولا مؤمنة اذا قضى اللّه ورسوله امرا ان يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص اللّه ورسوله فقد ضلّ ضلالا مبينا :وقال عزّ من قائل (سورة الحشر آية ٧) وما آتاكم الرسول فخذوه ومانهاكم عنه فانتهوا .

* (حديث الصحيفة) *

ذكر ابن ابى الحديد (ج٢ص٢٠ من شرحه) عن ابى بكر الجوهرى بطريقه الى ابن عباس قال لمّا حضرت رسول اللّه (ص) الوفاة وفى البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال رسول اللّه ائتونى بدواة وصحيفة اكتب

لكم كتابا لا تضلّون بعدى فقال عمر كلمة معناها ان الوجع قد غلب على رسول اللّه ثم قال عندنا القرآن حسبنا كتاب اللّه فاختلف من فى البيت واختصموا فمن قائل يقول القول ماقال رسول اللّه ومن قائل يقول القول ماقال عمر فلما اكثروا اللغط واللغو والاختلاف غضب رسول اللّه فقال قوموا انه لا ينبغى لنبىّ ان يختلف عنده هكذا .

قال ابن ابى الحديد قلت هذا الحديث قد خرجّه الشيخان واتفق المحدثون كافة على روايته :واقول رواه ابن سعد فى الطبقات عن سعيد بن جبير عن ابن عباس وفيه انه قال اشتدّ بالنبىّ وجعه فقال ائتونى بدواة وصحيفة اكتب لكم كتابا لا تضلّون بعده ابدا فقال بعض من كان عنده ان النبىّ ليهجر :وفى رواية اخرى له :فتنازعوا ولا ينبغى عند نبىّ تنازع فقالوا ماشأنه أهجر استفهموه فذهبوا يعيدون عليه فقال دعونى فالذى انا فيه خير ممّا تدعوننى اليه :وفى اخرى :فكان فى البيت لغط وكلام وتكلّم عمر بن الخطاب فرفضه النبىّ (ص) :وفى اخرى :فقالوا انّما يهجر رسول اللّه :وفى اخرى :فقال عمر ان رسول اللّه قد غلبه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب اللّه :وفى اخرى :ائتونى بدواة وصحيفة اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا فقال عمر بن الخطاب من لفلانة وفلانة مدائن الروم ان رسول اللّه ليس بميت حتى نفتتحها ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى فقالت زينب زوج النبى (ص) الا تسمعون النبىّ (ص) يعهد اليكم فلغطوا فقال قوموا عنى :وذكر الطبرى فى (ج٣ص ١٩٣ من تاريخه) ثلاثة احاديث من طراز ماسقناه فلا نعيد وهكذا روى مسلم فى صحيحه (ج٥ص ٧٥ من طبعته المشكولة بمصر) طرقا عديدة من طراز ماسلف وهكذا البخارى فى صحيحه (ج١ص ٢١ و ج٤ص ٥ و ج٢ص ١١٥ فلا نطيل : ويستنتج بوضوح ممّا سلف النتائج التالية :

(١) ان قوله ائتونى صيغة امر تفيد الوجوب فان الأمر المطلق يفيد ذلك قطعا مضافا الى ما احتفّ بالمقام من قرائن تعطى قطعية الوجوب ـ منها ـ ان المكتوب الذى اراد ان يكتبه ممّا يحصّنهم عن الضلال الأبدى ـ منها ـ شدة تأثره من خلافهم عليه بقوله قوموا عنّى ودعونى فالذى انا فيه خير مما تدعوننى اليه .

(٢) يستفاد بصراحة من قوله (ص) اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا ان ما يريد تحريره فى آخر ساعات حياته من الامور الجسام التى لها وقع مهمّ فى حفظ جامعة المسلمين بحيث تكون هذه الامور محصّنة لهم من الضلال الأبدى وما يحفظ من الضلال الأبدى له من الخطورة والاهمية ماليس لأمر آخر اصلا .

(٣) ان حديث الواقعة يدلّ على ان الحضّار فيهم من العجرفة مالا يوجد الاّ فى اعراب البوادى الغارقين فى تيّار من الجهل لا يسبر قعره وذلك بنسبتهم الهجر لرسول اللّه الذى صرّح الكتاب فى حقّه انه لا ينطق عن الهوى ان هو الاّ وحى يوحى .

(٤) ان قول الهجر هو بعينه التكلم عن غلبة الوجع ومعناهما التكلم الصادر لاعن شعور :والذى صدر من القائل هو انه يهجر :وامّا كلمة قد غلبه الوجع فتلطيف من اهل الحديث وقد جاء التصريح بذلك فيما اسلفناه عن ابى بكر الجوهرى :فقال عمر كلمة معناها ان الوجع قد غلب على رسول اللّه :وناسب الهذيان الى الرسول(ص) هو عمر من بين الحضّار لاغيره وكل سياقات الحديث ناصّة عليه وتحوير كلمات هذه المادة كان من الرواة امّا تعصبا وامّا تأدبا .

(٥) جهل الحضّار بمقام النبوّة اوعدم اعترافهم بها لمحمد (ص) و الاّ فما معنى ان يقول قائل القول ماقال عمر وقائل القول ماقال رسول اللّه

وايّ معادلة بين مكلف من سائر المكلفين ومصدر تشريع حجة على الناس في افعاله واقواله .

(٦) ان كتاب اللّه وحده ليس بحسب المكلف بالضرورة القاطعة من الدين فان التكاليف الملقاة على عواتق المكلفين كثيرة منها مالم يتعرض له الكتاب رأسا وكثير منها تعرض له بأجمال غير قابل للامتثال فهل يستطيع مكلف ان يمتثل وظيفة أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة من نفس هاتين الكلمتين على أن قائل هذا القول ـ حسبنا كتاب اللّه ـ قد اشتبه في محكماته ونصوصه اشتباهات جمّة نبّهه عليها آحاد المكلفين كما سنتعرض لذلك .

(٧) لا يتوهمنّ متوهم انّ ماأراد (ص) ان يكتبه لهم ممّا يحصّنهم عن الضلال الابدي هو ماذكره بعض اهل الحديث بادعاء انه(ص) قال في هذا المحضر اخرجوا المشركين من جزيرة العرب وأجيزوا الوفد بنحو ماكنت اجيزهم به فان ذلك ان صحّ عنه فقد صدر منه في وقت آخر وهو في نفسه مالا ربط له بما يحصّن عن الضلال الأبدي وهكذا مايروى انه أوصى في هذا المحضر بالصلاة والزكاة وما ملكت ايمانكم وأمر بشهادة أن لا اله الاّ اللّه وان محمدا عبده ورسوله فان هذه المطالب من كثير ماجرى عليها القرآن والسنة النبوية والعمل الخارجي من النبي وسائر المسلمين في عهده غنية عن التأكيد فضلا عن التأسيس على ان هذه المدعيات تنافي صريح احاديث الباب كلها بأن القوم لمّا اختلفوا عليه ولغطوا عنده قال قوموا عني فلمّا قاموا قبض النبيّ مكانه :غايته ان القاء هذه التشويشات مما اريد به اثارة غبرة على الواقعة حتى تتعمّى ولكنها محاولة فاشلة فقد جاء في بعض احاديث الباب فيما رواه ابن سعد في الطبقات(ج٤ص٦١) عن عكرمة عن ابن عباس ان النبيّ قال في مرضه الذي مات فيه ائتوني بدواة وصحيفة اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده ابدا فقال عمر بن الخطاب من

لفلانة وفلانة مدائن الروم ان رسول اللّه ليس بميت حتى نفتتحها ولو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى فقالت زينب زوج النبى (ص) الا تسمعون النبى يعهد اليكم فلغطوا فقال قوموا عنى فلمّا قاموا قبض النبى مكانه :فاىّ ربط ياترى بين قول النبىّ اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده وبين قول عمر من لفلانة وفلانة مدائن الروم وهل خفى على عمر ان النبى يموت كما يموت سائر الناس بعد ان صرّح القرآن بذلك انّك ميّت وانهم ميتون ٠

(٨) جسارة الخليفة الثانى على عيال رسول اللّه وحرمه فى حضوره فقد روى ابن سعد فى الطبقات (ج٤ص ٦٠) كما رواه غيره عن زيد بن اسلم عن ابيه عن عمر بن الخطاب قال كنّا عند النبىّ (ص) وبيننا وبين النساء حجاب فقال رسول اللّه (ص) غسلونى بسبع قرب واتونى بصحيفةود واة اكتب لكم كتابا لن تضلّوا بعده ابدا فقال النسوة ائتوا النبىّ بحاجته قال عمر فقلت اسكتن فانكن صواحبه اذا مرض عصرتن اعينكن واذا صحّ اخذتن بعنقه فقال رسول اللّه هنّ خير منكم ٠٠

وهكذا استشعر القوم بوضوح ان فسح المجال للنبى فى آخر ساعة من حياته بأيتاءه الصحيفة والدواة ممّا قد يقطعهم غدا ولذلك أثاروا الغبرة وضيّعوا مجرى القضية بما لا يحتمل فيه اقلّ ضرر يتوجه فيما بعد عليهم أو يهدم منويّاتهم ٠

وممّا لاريب فيه انه كان للنبىّ فى بعث جيش اسامة وتأميره وهو غلام على الشيوخ فى السنّ وايعابه معه بمثل ابى بكر وعمر وابى عبيدة وطلحة والزبير وعبد الرحمن بن عوف ومن الى هؤلاء واصراره على حركة الجيش الساعة قبل اختها وهكذا فى استحضاره للصحيفة والدواة لتسجيل مايحصّنهم عن الضلال الأبدى مقاصد مهمّة فى امر الخلافة بعده وان يختم حياته فى علىّ بما بدأها به من حين اظهار الدعوة وهلّم دواليك

الى قضية غدير خم امّا القوم فلم يكونوا يستطيعون اقلّ مخالفة فى زمن نشاط النبىّ (ص) وصحته وقيامه بالمطالب كافة بذات يده اذلا موضوعية للمخالفة حينذاك من كل الجهات اما الآن وهو فى طريقه الى الموت والوقت وقت استثمار تلك المقدمات فالسكوت لامجال له والسكون ممّا يضيع الهدف المرصود .

* (السقيفة والحديث معها) *

لااعتقد ان الشيخين حين وفاة النبى (ص) وقبل تجهيزه ودفنه كانا يحدثان انفسهما بمفاتحة الكلام حول الخلافة اذلامظنة فى هذه الساعات الخطيرة لذلك فبالطبع اذا كانا جزء المنتظرين لتمام تجهيز النبىّ (ص) حتى يصلى عليه ويدفن وبعد ذلك قطعا ينفتح الباب للمناجزة على منصة الخلافة لكن الانصار على خلاف المترقب لم ينتظروا فى أمرهم تصرّم هذه الساعات فعقدوا مؤتمرهم والنبىّ بعد على دكة المغتسل واهله مشغولون به قد قطعهم هذا العمل ومفاجئة الفاجعة بمتوفاهم عن خطور امثال هذه المطالب فضلا عن الترصد لها والسعى ورائها لكن الصدف المؤاتية فتحت امام الغير طريقا واسعا حين اغذ بخبر السقيفة معن بن عدى وعويم ابن ساعدة فوجد ان الفرصة قد حانت تماما بانشغال بنى هاشم جميعا بتجهيز النبى :وعدم التفات الباقين من كبار الصحابة فى هذا الحين الى مانواه الانصار لعقدهم لندوة السقيفة وان الانصار وحدهم لا يستطيعون ان يشيدوا خلافة عامة على كافة المسلمين والمهاجرون بعيدون عن ذلك .

لهذا خفّ من خفّ من دون ادنى تأمل الى حضور مؤتمر السقيفة وأثار على الانصار غبرة هيّجت كوامن القلوب من بعضهم على بعض فكان الخلاف بين الخزرج انفسهم من ناحية وبين الاوس وبينهم من ناحية

ثانية ممّا فتح بابا واسعا امام الشيخين ونالا بهذه الملابسات أهمّ مقاصدهما :وامّا تكليفهما مع الباقى ممّا يترصد انه من حدوث حوادث وقيام مخالفات فله وسائل اخرى ٠

(٨ ــ هل كان نيل الخلافة للشيخين عن اعتقاد جازم بها)

لم يعتقد ايّ محاول يفرض بانه سيوفق لمرامه قطعا نعم كل ما يملك من نفسه مغالبته للحوادث ما استطاع الى ذلك سبيلا وقد قرأت ان آثار المحاولة بدت جلية فى قضايا بعث اسامة وحديث الصحيفة وندوة السقيفة وهكذا استمرّت هذه الآثار تمشى مغذّة وكل هذه المقدمات لم تكن عن مؤاتاه مصنوعة ولا مترصدة ولا اعمل فيها نظام خاص بل انفرجت الصدف عنها انفراجا غير محتسب فلم تطل بالنبى الحياة حتى يسير جيش اسامة نحو مقصده ولا امهلت العلل المستمرة رسول اللّه حتى يجدّد موقفه من تحرير الصحيفة ولا كان حضّار السقيفة من الانصار اناسا يعتدّ بثباتهم عند مرامهم فسرعان ماألقوا انفسهم فى احضان الغير بغيا من بعضهم على بعض بأخراج الامور عن انفسهم من دون تأمل ولا مشورة مع الباقين ولو كانوا يملكون اقلّ رأى لأحالوا نتيجة هذا الاجتماع الى اجتماع يتبادلون فيه الرأى ويقفون منه على النتائج الحاسمة وعن هذه الحلقات المتفككة قال من قال كانت بيعة ابى بكر فلتة وقى اللّه شرّها ولا بدع فكم من سعى صحيح اخفق وصاحب بادرة من طريقها توفق والدهر كل حوادثه لا تقاس بمقياس ٠

* (٩ ـ ماهو المنطق الذى ادلى به القوم للحصول على منصة الخلافة) *

الخلافة الدينية الشرعية لها منطق والنظام الدنيوى العادل لمنطق آخر وما سواهما فبطبيعته لامنطق له سوى تثبيت نفسه ويختلف النظام الدينى الشرعى عن النظام الدنيوى العادل ان النظام الأول فيه وراء القوانين الاجتماعية الأقتصادية السياسية نظام العبادات الرابط للعبد بمعبوده من طريق التعبد المحض امّا النظام الثانى فلا شيء فيه من هذه الأضافات والطرفان يشتركان فى كمّ القوانين الاجتماعية الاقتصادية السياسية وكيفها ويفترق الخليفة الدينى الشرعى عن الناظم الدنيوى العادل ان الأول يجب ان يكون موظفا من صاحب الشريعة لان الدين بأسره امر توقيفى لامساغ فيه لآراء الافراد وامّا الثانى فلايجب ان يكون كذلك نعم يجب فى شخص الطرفين ان يكون اكمل الافراد واحفلهم بالمحاسن وأبعدهم عن أدنى موجبات الأنحراف حتى يستطيع افراد المجتمع والحقوق الاجتماعية والفردية والنظام الجماعى العام ان تسير كلها مع الحياة سيرا لا يعرف العثرة والطفرة ولا الانحراف والاجحاف بالمرّة ولم تعدم الحياة على طولها وعرضها من فيه هذه الكفاآت الاّ انها لم تتحقق فى الخارج حاكمة الاّ آنات طفيفة سنحت للكملّ من المثاليين فطبقوا الحقيقة على الخارج جهد مستطاعهم .

لكن سلاسل الزمان على طولها مابرحت ترافق الأنتهازيين فى كل أشيائها وفى جميع سماتها ولم يزل الحق مفهوما لامحققّ له والعدالة عنوانا عاريا عن المعنون والنظام والقانون وسياسة الامور كلمات فارغة لاتشفّ عن جوهر راهن فيها .

وامّا منطق حضّار السقيفة من مهاجرين وانصار فقد دوّنه كافة المؤرخين ونحن ننتقل عبارة ابن الأثير فى ذلك: قال (ج٢ص٢٢٢ من تاريخه) لمّا قبض النبىّ اجتمعت الانصار فى سقيفة بنى ساعدة واخرجوا سعد بن عبادة ليولوه الأمر وكان مريضا فقال بعد أن حمد اللّه يامعشر الانصار لكم سابقة فى الدين وفضيلة فى الاسلام ليست لأحد من العرب ان محمدا (ص) لبث فى قومه بضع عشرة سنة يدعوهم الى عبادة الرحمن وخلع الأنداد والأوثان فما آمن به الاّ القليل وماكانوا يقدرون على منعه ولا على اعزاز دينه ولا على دفع ضيم عنه حتى اذا اراد اللّه بكم الفضيلة ساق اليكم الكرامة وخصّكم بالنعمة ورزقكم الأيمان به وبرسوله والمنع له ولاصحابه والاعزاز له ولدينه والجهاد لاعدائه فكنتم اشدّ الناس على عدوّه حتى استقامت العرب لأمر اللّه طوعا وكرها واعطى البعيد المقادة صاغرا فدانت لرسوله بأسيافكم العرب وتوفاه اللّه وهو عنكم راض وبكم قرير عين فاستبدوا بهذا الأمر دون الناس فانه لكم دونهم فأجابوه بأجمعهم أن قد وفقت واصبت الرأى ونحن نولّيك هذا الأمر فانك مقنع ورضا للمؤمنين ثم انّهم ترادّوا الكلام بينهم فقالوا فأن ابى المهاجرون من قريش وقالوا نحن المهاجرون وأصحابه الأولون وعشيرته واولياؤه فعلام تنازعوننا هذا الأمر بعده فقالت طائفة منهم فأنّا نقول منّا امير ومنكم امير ولن نرضى بدون هذا ابدا فقال سعد هذا اول الوهن وسمع عمر الخبر فأتى منزل رسول اللّه وابو بكر فيه فأرسل اليه أن اخرج الىّ فأرسل اليه انى مشتغل فقال عمر قد حدث امر لابدّ لك من حضوره فخرج اليه فأعلمه الخبر فمضيا مسرعين نحوهم ومعهما ابو عبيدة قال عمر فأتيناهم وقد كنت زورت كلاما اقوله لهم فلما دنوت اقول اسكتنى ابو بكر وتكلم بكل ماارد ت ان اقول فحمد اللّه وقال ان اللّه بعث فينا رسولا الى خلقه شهيدا على امّته

ليعبدوه ويوحدوه وهم يعبدون من دونه آلهة شتّى من حجر وخشب فعظم على العرب ان يتركوا دين آبائهم فخصّ اللّه المهاجرين الأولين من قومه بتصديقه والايمان به والمواساة له والصبر معه على شدّة اذى قومهم وتكذيبهم اياه وكل الناس لهم مخالف زأر عليهم فلم يستوحشوا لقلة عددهم وشنف(١) الناس لهم فهم اوّل من عبد اللّه فى هذه الأرض وآمن باللّه وبالرسول وهم اولياؤه وعشيرته واحقّ الناس بهذا الأمر من بعده لا ينازعهم الاّ ظالم وانتم يامعشر الانصار من لا ينكر فضلهم فى الدين ولا سابقتهم فى الاسلام رضيكم اللّه انصارا لدينه ورسوله وجعل اليكم هجرته وفيكم جلّة ازواجه وأصحابه فليس بعد المهاجرين الأولين عندنا بمنزلتكم فنحن الأمراء وانتم الوزراء لاتفاتون بمشورة ولا تقضى دونكم الأمور فقام الحباب بن المنذر بن الجموح فقال يامعشر الانصار املكوا عليكم أمركم فان الناس فى ظلكم ولن يجترأ مجترء على خلافكم ولا يصدر الناس الاّ عن رأيكم انتم اهل العزّ والثروة واولوا العدد والنجدة وانما ينظر الناس الى ماتصنعون ولاتختلفوا فيفسد عليكم رأيكم وينتقض عليكم امركم فان أبى هؤلاء الاّ ماسمعتم فمنّا امير ومنهم امير فقال عمر هيهات لايجتمع اثنان فى قرن واللّه لاترضى العرب ان تؤمركم ونبيّها من غيركم ولا تمتنع العرب ان تولى أمرها من كانت النبوّة فيهم ولنا بذلك الحجة الظاهرة من ينازعنا سلطان محمد ونحن اولياؤه وعشيرته فقال الحباب بن المنذر يامعشر الانصار املكوا على ايديكم ولا تسمعوا مقالة هذا واصحابه فيذهبوا بنصيبكم من هذا الأمر فان أبوا عليكم ماسألتموه فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور فانتم واللّه احقّ بهذا الأمر منهم فانه باسيافكم دان الناس لهذا الدين انا جذيلها المحكّك وعذيقها المرجب انا ابو

(١) الشنف : البغض والتنكر .

شبل فى عرينة الأسد واللّه لئن شئتم لنعيدنّها جذعة فقال عمر اذا يقتلك اللّه فقال بل ايّاك يقتل فقال ابو عبيدة يامعشر الانصار انكم اوّل من نصر وآزر فلا تكونوا اوّل من بدّل وغيّر فقام بشير بن سعد فقال يامعشرالانصار انّا واللّه وان كنّا اولى فضيلة فى جهاد المشركين وسابقة فى هذا الدين ماارد نابهالآرضا ربّنا وطاعة نبينا والكدح لأنفسنا فما ينبغى ان نستطيل على الناس بذلك ولا نبتغى به من الدنيا عوضا الا ان محمدا من قريش وقومه أولى به وأيم اللّه لا يرانى اللّه أنازعهم هذا الأمر ابدا فاتقوا اللّه ولا تخالفوهم ولا تنازعوهم فقال ابو بكر هذا عمر وهذا ابو عبيدة فايّهما شئتم فبايعوا .

هذا مجموع ما ادلى به القوم من انصارى ومهاجرى فى هذه الندوة والجميع لم يأتوا بشئ .

(١) امّا الخلافة الدينية الشرعية فهى بمعزل عمّا نطق به القوم جميعا فانها لا تتبع نصرة الناصر بسيفه كما انها ليست حطاما حتى تورث للعشيرة والاقرباء مضافا الى انّ ندوة السقيفة لم تضم قريبا لمحمد رأسا وامّا عنوان القرشية فواسع بسعة قريش فى بلاد اللّه كما لا تتبع الهجرة فأنها وظيفة على المؤمن ان يفرّ بدينه اذا ضويق عليه وما اكثر المهاجرين الأولين فى الصحابة .

(٢) وامّا محاولة السلطة الزمنية على النظام العادل الصحيح فجميع الراصدين لها فى مجتمع السقيفة ورائهم من له شأنه فليس سعد بأفضل الانصار وأكملهم ولا الشيخان وابو عبيدة بأفضل المهاجرين واكملهم على ان السلطة الزمنية من طريق النظام العادل الصحيح لا يجوز اقتناصها والاّ عادت جريمة كبرى بل يجب انتخاب رئيسها امّا بالرأى العام وامّا من طريق اهل الكفاآت وكلا الأمرين لم يتهيأ فى السقيفة لغيبة افاضل

الصحابة عنهـا .

(٣) وامّا محاولة السلطة من ايّ طريق حصلت فهو الانتهاز الـذى يحرّمه العقل قبل الدين السماوى ولتخلف الملاكات الصحيحة عن الجميع اخذ كلامهم يتذبذب فقائل يقول منّا امير ومنهم امير وهى كلمة ساقطـة الوزن وداعية الى الانهيار وآخر يقول من ينازعنا سلطان محمد ونحـن اولياؤه وعشيرته جاعلانبوّة السماء سلطانا وحقا يورث وكيف يكون هؤلاء اوليائه و اولياؤه موجودون قريبون لا بعيدون قد جمعوا اطراف الكمال ومحاسـن الخصال شهد لهم بذلك الوحى السماوى ومن اوحى اليه به وأصحر عنـه العيان ملموسا باليد لكنه الانتهاز الذى لم يتفهم الانصار اساليبـه وان قصدوه ولا رصد له آل النبى وذووه فكان حصة آخرين رصدوه فاستغلوها امّا سعى معن بن عدى وعويم بن ساعدة ومقال بشر بن سعد واسيد بـن حضير فكلّ ذلك من الشناشن الأخزمية التى طالما اضرّت بأهلها وافادت الأغيار مجانا وبلا عوض .

* (١٠ ـ الهوى النوعى لرؤس المسلمين
مع ايّ انسـان كـان) *

أطبقت اقلام المؤرخين على ذكر هذه النبذ فقال اليعقوبى (ج٢ص١٠٣ من تاريخه) وتخلف عن بيعة ابى بكر جملة من المهاجرين والانصار ومالـوا مع على بن ابى طالب منهم العباس بن عبد المطلب والفضل بن العباس والزبير بن العوّام وخالد بن سعيد والمقداد بن عمرو وسلمان الفارسـى وابو ذر الغفارى وعمّار بن ياسر والبراء بن عازب وابىّ بن كعب : وفى عبارة اخرى له (ج٢ص١٠٢ فى تحدثه عن السقيفة) وقام المنذر بن الأرقم فقال ماندفع فضل من ذكرت وان فيهم لرجلا لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيـه

احد ـ يعنى على بن ابى طالب ـ الى أن يقول وكان المهاجرون والانصار لا يشكون فى علىّ :وقال الزبير بن بكار(الشرح الحديدى ج٢ص٨) راويا عن محمد بن اسحاق وكان عامة المهاجرين وجلّ الانصار لا يشكون ان عليا هو صاحب الأمر بعد رسول اللّه وستأتى تتمة هذه الكلمة فى آخر الفصول :وفى تاريخ ابن الأثير (ج٢ص ٢٢٠) فى حديثه عن السقيفة فقالت الانصار او بعض الانصار لانبايع الاّ عليا :وفى الامامة والسياسة لابن قتيبة (ج١ص١١)عند استعراضه لبعض من كلمات على بعد السقيفة قال بشير بن سعد الانصارى لو كان هذا الكلام سمعته الانصار منك ياعلى قبل بيعتها لأبى بكر مااختلف عليك :قال :وخرج علىّ يحمل فاطمة بنت رسول اللّه على دابة ليلا فى مجالس الانصار تسألهم النصرة فكانوا يقولون يابنت رسول اللّه قد مضت بيعتنا لهذا الرجل ولو ان زوجك وابن عمك سبق الينا قبل ابى بكر ماعدلنا به فيقول علىّ أفكنت ادع رسول اللّه فى بيته لم ادفنه واخرج انازع الناس :وفى الشرح الحديدى (ج٢ص٨) عن الزبير بن بكار قال لمّا بويع ابو بكر أقبلت الجماعة التى بايعته تزفّه زفّا الى مسجد رسول اللّه (ص) فلما كان آخر النهار وافترقوا الى منازلهم اجتمع قوم من الانصار وقوم من المهاجرين فتعاتبوا فيما بينهم فقال عبد الرحمن بن عوف يامعشر الانصار انكم وان كنتم اولى فضل ونصر وسابقة ولكن ليس فيكم مثل ابى بكر ولا عمر ولا على ولا ابى عبيدة فقال زيد ابن أرقم ـ فيما قال ـ وانا لنعلم انّ ممنّ سميت من قريش من لو طلب هذا الأمر لم ينازعه فيه احد ـ وهو على بن ابى طالب ـ وفى عبارة اخرى للزبير بن بكار(الشرح الحديدى ج٢ ص٩) ولأنّ الانصار كانت تعظم عليا وتهتف باسمه :وفى الشرح الحديدى ج١ص١٣١) فى حديث لابى بكر الجوهرى ينهيه الى ابى سعيد الخدرى قال سمعت البراء بن عازب

يقول لم أزل لبنى هاشم محبّا فلما قبض رسول اللّه تخوفت ان يتمالأ قريش على اخراج هذا الأمر من بنى هاشم فأخذنى ما يأخذ الواله العجول ـ الى ان يقول ـ فلما كان الليل خرجت الى المسجد فلما صرت فيه تذكرت انى كنت اسمع همهمة رسول اللّه بالقرآن فامتنعت من مكانى فخرجت الى الفضاء فضاء بنى بياضة وأجد نفرا يتناجون فلما دنوت منهم سكتوا فانصرفت عنهم فعرفونى وما اعرفهم فدعونى اليهم فأتيتهم فأجد المقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وسلمان الفارسى وابا ذر وحذيفة وابا الهيثم بن التيهان واذا حذيفة يقول لهم ليكوننّ ما اخبرتكم به واللّه ماكذبت واذا القوم يريدون ان يعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين :وفى الشرح الحديدى (ج٤ص٥٠٦) وقالت الانصار لولا على بن ابى طالب فى المهاجرين لأنفنا لأنفسنا ان يذكر المهاجرون معنا او ان يقرنوا بنا ولكن ربّ واحد كألف بل كألوف .

ولا ريب ان المقدسين من المهاجرين ونوع الانصار لا يرون بعلى بد يلا من كل انسان لفضائله النفسية التى لا تنزف وللكثير الوارد فى حقه عن رسول اللّه ولا بدع ان عليا لو كان حاضر السقيفة من بدء انعقادها لما فاته الأمر وان نازعه الشيخان فانه لا يعود لنزاعهما اثر وان اوعب معهما مسلمة الفتح الموتورون ببنى هاشم خاصة وبالانصار عامة :نعم نحن لا ننكر ان ندوة السقيفة فى اصل انعقادها لم ينو بها الانصار الحاضرون غير انفسهم ولم يكونوا حينذاك بفكر علىّ ولا غير على ولكنّ هذا الاتجاه لم يكن مقبولا لكافة الحاضرين من اوس وخزرج فى واقع الأمر فكان حضور الشيخين ممّا نفّس على بشير بن سعد وهواته واسيد بن حضير وقومه لا لهوى منهم بهؤلاء الوارد ين ولكن للترفيه عن انفسهم بأن لا يليها سعد والخزرج الذ ين ينافسهم الاوس من ناحية وبشير بن سعد وهواته من

ناحية ثانية ولهذه الفرصة المؤمّنة لروح بشير بن سعد هذا نراه القى بنفسه قبل كل احد من الناس فى احضان ابى بكر مبايعا فناداه الحباب ابن المنذر عققت عقاق ما احوجك الى ماصنعت أنفست على ابن عمّك الأمارة :وبشير فى هذه الساعة لو صادف ضبّا لمسح على يده خلاصا من مؤاخذة حسده وترفيها على نفسه وهذه الروح موجودة فى اكثر الناس ومنهم الأوس برمّتهم حينذاك وبشير بن سعد وجماعته .

* (١١ ــ كيف كانت مغبة سعد بن عبادة مؤسس ندوة السقيفة) *

امّا سعد المسكين ففضلا عن انّه فاته ماحاول وكان مصداقا للمثل المعروف انعمى امّ خالد ربّ ساع لقاعد فانه لم يقر به القرار فقد زوحم على نفسه كما زوحم علىّ وغير على من كل متريث متوقف عن البيعة فلم يجد بدّا من النزوح عن الحجاز كلّها الى الشام لكن ذلك لم يرق لحكومة الوقت فدسّت له من قتله هناك وأظهر للناس بعد قتله ان الجنّ قتلته لانه بال قائما فى الصحراء ليلا وما ادرى ماالذى صرف بالجنّ عن الناس الذين يبولون طول اعمارهم قائمين ليلا ونهارا فى الصحارى والمدن لكنّ عفريت سعد كان عفريتا هائجا ولذلك لم يبق عليه .

يقولون سعد شكّت الجن قلبه
الا ربّما صححت دينك بالغدر
وما ذنب سعد انه بال قائما
ولكنّ سعدا لم يبايع ابا بكر
لقد صبرت عن لذة العيش انفس
وما صبرت عن لذّة النهى والأمر

* (١٢ ــ هل كان للمصانعة ذاك اليوم مفعول فى تركيز الخطّة) *

لما بلغ الشيخين ان جماعة من اكابر المهاجرين والانصار تجمعوا ليعيدوا الأمر شورى بين المهاجرين قلقا لهذا الحادث فأرسلا الى ابى عبيدة والمغيرة بن شعبة فسألاهما عن الرأى فقال المغيرة الرأى ان تلقوا العباس فتجعلوا له ولولده فى هذه الأمرة نصيبا ليقطعوا بذلك ناحية على بن ابى طالب فانطلق ابو بكر وعمر وابو عبيدة والمغيرة حتى دخلوا على العباس وذلك فى الليلة الثانية من وفاة رسول اللّه (ص) فحمد ابو بكر اللّه واثنى عليه وقال ان اللّه ابتعث لكم محمدا نبيا وللمؤمنين وليّا فمنّ اللّه عليهم بكونه بين ظهرانيهم حتى اختار له ماعنده فخلّى على الناس امورهم ليختاروا لأنفسهم متفقين فاختارونى عليهم واليا ولأمورهم راعيا فتوليت ذلك وما اخاف بعون اللّه وتسديده وهنا ولا حيرة ولاجبنا وما توفيقى الاّ باللّه عليه توكلت واليه انيب وما انفكّ يبلغنى عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين يتخذكم لجئا فتكونوا حصنه المنيع وخطبه البديع فامّا دخلتم فيما دخل فيه الناس او صرفتموهم عمّا مالوا اليه وقد جئناك ونحن نريد ان تجعل لك فى هذا الأمر نصيبا ولمن بعدك من عقبك اذ كنت عمّ رسول اللّه وان كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول اللّه ومكان اهلك ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم وعلى رسلكم بنى هاشم فان رسول اللّه منّا ومنكم فاعترض كلامه عمر وخرج الى مذهبه فى الخشونة والوعيد واتيان الأمر من اصعب جهاته فقال اى واللّه واخرى انّا لم نأتكم حاجة اليكم ولكن كرهنا ان يكون الطعن فيما اجتمع عليه المسلمون منكم فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم ولعامّتهم ثم سكت فتكلم العبّاس

فحمد اللّه واثنى عليه ثم قال ان اللّه ابتعث محمدا نبيا كما وصفت ووليا للمؤمنين فمنّ اللّه به على امته حتى اختار له ماعنده فخلّى الناس على امرهم ليختاروا لانفسهم مصيبين للحق مائلين عن زيغ الهوى فان كنت برسول اللّه طلبت فحقنا اخذت وان كنت بالمؤمنين فنحن منهم ماتقدمنا فى امركم فرطا ولاحللنا وسطا ولا نزحنا شحطا فان كان هذا الأمر يجب لك بالمؤمنين فما وجب اذ كنّا كارهين وما أبعد قولك انهم طعنوا من قولك انهم مالوا اليك وامّا مابذلت لنا فان يكن حقك اعطيتناه فأمسكه عليك وان يكن حق المؤمنين فليس لك ان تحكم فيه وان يكن حقنا لم نرض لك ببعضه دون بعض وما اقول هذا اروم صرفك عمّا دخلت فيه ولكن للحجة نصيبها من البيان وامّا قولك ان رسول اللّه منّا ومنكم فان رسول اللّه من شجرة نحن اغصانها وانتم جيرانها وامّا قولك ياعمر انك تخاف الناس علينا فهذا الذى قد متموه اوّل ذلك وباللّه المستعان (الشرح الحديدى ج١ ص ٧٤) وقد وطأ المؤرخون على هذا العقب من هذا الحديث .

امّا الرشوة فهى عريقة فى تاريخ البشر ومن اهمّ الأدوات التى يستغلها السياسيون فى تركيز خططهم وهى مع ذلك كله ممّا اطبق على تحريمه شرائع الارض والسماء ولم يأت القوم ببدع فى هذا المجال حيث رضخوا الرشا والجعالات لتمهيد المقصد الذى يحاولون لكنّ المهمّ انهم يريدن تسويغ ذلك من طريق اسلامى محض وذلك ممّا سبقهم عليه الاسلام بالتحريم وفضلا عن هذه البدعة فان جميع ماأدليا به باطل زائف قد نبّه على خطأه العباس بن عبد المطلب فى جوابه .

ونحن نتعرض لما فى هذا الحوار من مؤخذات بطور موجز مخافة طول الشقة بالبسط والخروج عن الموضوع بالتوسع فنقول امّا قول الرجل فخلّى

على الناس امورهم ليختاروا لا نفسهم فهو زعم لا اصل له فان من الفرض على النبى ان يعيّن ويبيّن اهمّ الوظائف اللازمة للمسلمين فى دينهم ودنياهم جميعا فان الخلافة الدينية الشرعية تلو النبوّة واختها فى الملاك وتأثيرها فى المجتمع الدينى لا يقلّ عن تأثير اصل شريعة السماء فى ذلك ومن ادلّ الأدلة عليه انّا وجدنا هؤلاء الاشياخ قد اسسوا من انفسهم اوليات لا ربط لها بالتوظيف الشرعى السماوى وجملة منها مخالفة بالصراحة لما جاء فى صريح الكتاب ومتأصل السنة النبوية ومع ذلك نرى آرائهم هى المتأصلة بين اتباعهم وما خالفها من صريح الكتاب ومتأصل السنة منبوذ لا قيمة له كما سنشير الى عدة مواضع ممّا اومأنا اليه فى بحثنا عن نتائج السقيفة فكيف يصح مع هذا اهمال هذه الوظيفة العظمى القائمة بمصالح المسلمين فى كافة ادوارهم وأعصارهم على ان النبىّ (ص) لم يهمل هذا الواجب بما اسلفناه من موقف النبى منه وما سيجىء فى آخر الفصول من هذا الموضوع .

وذكر العباس كلمة الشيخين ــ فخلّى على الناس امورهم ليختاروا لانفسهم ــ فى كلام نفسه لا يريد به تقرير اصل الموضوع ولكن ليوطد منها قاعدة لمؤاخذة القوم على اعمالهم التى فعلوها حتى مع الاعتراف بالكلمة المزبورة بان اختيار المسلمين لانفسهم يجب ان يكون مصيبا للحق مائلا عن زيغ الهوى وكلا الأمرين لم يحصل لانه لم يكن للمسلمين فى هذه القضية اختيار صحيح لا فى محاولة الانصار بمفرد هم الأمرة لانفسهم ولا فى طلب الشيخين بمفرد هما نظير ذلك وقد اسلفنا بيان طرق الانتخاب الصحيح المتخلفة كلها فى قضية السقيفة بواضح العيان .

وامّا قوله وما انفكّ يبلغنى عن طاعن يقول بخلاف قول عامة المسلمين فهو عليه لا له لان الطاعنين من قرأت اسمائهم من علىّ وكافة بنى هاشم

والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت وسلمان الفارسي وابي ذر وحذيفة وابي الهيثم بن التيهان وعمار بن ياسر وابي بن كعب وخالد بن سعيد بن العاص والزبير بن العوام وعشرات سواهم من معاريف الصحابة واعاظمهم .

وامّا السواد المنجرف مع كل موج فلا قيمة له اذ لا يعرف من بيعته لمن بايع هدفا سوى الأصاخة لحكومة الحاكم وايّا كان :وامّا قوله نحن نريد ان نجعل لك في هذا الأمر نصيبا ولمن بعدك من عقبك :فهو منه اوّل تعزيق لدين اللّه ولأمرة المسلمين من دون ان يملك منهما شيئا لنفسه فضلا عن ان يبيحهما لغيره وكيف يلتئم هذا الاقطاع السياسي المتسلسل في الاعقاب مع الحاكمية الانتخابية :وان يكن تألف النبيّ (ص) اناسا من المشركين باموال غنمها المسلمون فذاك لأجل ان يسلم المشرك ويعتزّ به الاسلام لا لأن يترأس عليه محمد بن عبد اللّه :والعباس بن عبد المطلب هو وعقبه الموجودون زمان هذه الحادثة كانوا مسلمين بأتمّ عيار فهم ليسوا من مظان التألف ولا الذي بذله الرجل لهم من سنخ ماتألف به النبيّ مشركي عصره فان النبيّ انما بذل المال ولم يرضخ بأمرة المسلمين لأيّ احد وكان النبيّ يريد عزة الأسلام والمسلمين بهؤلاء الوارد ين امّا الرجل فانما حاول ان يقطع العباس وآله عن جانب عليّ ليضعف امره ويقلّ عزمه .

وامّا قوله وان كان المسلمون قد رأوا مكانك من رسول اللّه (ص) ومكان اهلك ثم عدلوا بهذا الأمر عنكم :فهو من خلاف الواقع وقد سيق بلونه هذا تعمية للحق فقد استفاض عن المؤرخين ان النبيّ (ص) توفي يوم الأثنين حين زاغت الشمس وان كل ماجرى في ندوة السقيفة وخارجها حين أغذّ الشيخان وهواتهما يزفّون في الازقة الى المسجد مجتحزين الازر الصنعانية لا يمرّون بأحد الاّ تناوشوه واخذوا بيده فمسحوها على يد ابي

بكر شاء ذلك ام ابى لم يستغرق اكثر من بضع ساعات وان بنى هاشم بأسرهم لم يدروا بأصل القضية حتى اخبروا بها بعد تمامها فأخذهم من العجب مالم يأخذهم مثله فى كافة الحوادث ونظير بنى هاشم فى ذلك اكثر الناس وان هذه الحادثة لمّا انبسط خبرها الى الليل استنكرها من استنكرها وعزم المرموقون من الصحابة مهاجرون وانصار على اعادة الأمر شورى بين المهاجرين وقد اسلفنا بعضا من القول عن ذلك ويأتى البعض الآخر فيما سيجىء فخيار المسلمين واهل المكانة والدين منهم لم يعدلوا بعلى ولا بآل النبى احدا ولم يبايع احد منهم الرجل راضيا على الاطلاق وسيوافيك ما يؤيد هذا المطلب ٠

وامّا قول عمر انّا لم نأتكم حاجة اليكم :فهو عار عن الحقيقة فانه لم يدعه الى المجىء للعباس ورضخ الرضائح له الاّ حاجته اليه وهى قطعه عن جانب على تحقيقا لما اشار به المغيرة بن شعبة :وقد اصاب العباس محزّ الواقع بقوله فان كنت برسول الله طلبت الخلافة لنفسك فذلك حقّنا المختص بنا دون كافة الناس وان كنت طلبت ذلك بالمؤمنين فنحن حدّ الأقل من أعرف حلقات سلاسلهم فمتى خايرتنا واحرزت رضانا فى استخلافك وامّا مابذلت لنا فان كان من حقوقك المختصة فنحن فى غنى عنه وان كان حق المؤمنين فكيف جاز لك ان تتصرف فى امانتهم التى ائتمنوك عليها وان كان حقنا فما توسطك فيه فضلا عن أن تعطينا منه بعضا وتمنع بعضا ٠

وقد ألقمه حجرا بقوله ان رسول الله (ص) من شجرة نحن اغصانها وانتم جيرانها اى انتم اجانب عنها بالمرّة غايته انكم مجاورون لها ونحن منها فى الصميم فمتى صحّ ان يقاس بين الجزء الجوهرى والجار الأجنبى٠

وهكذا ماأصلب قوله لعمر وامّا قولك ياعمر انك تخاف الناس علينا فهذا الذى قدمتموه اول ذلك فان نفس هذا الحوار الذى اريد به جلب

رضا العباس كم فيه من وعيد وتهديد وجفاء فضلا عمّا سبقه من جفائهم لبنى هاشم بالمرّة وما لحقه من الهجوم على بيت فاطمة حتى اخذ هذا الجفاء يزداد شعلة ولهيبا حين كان جفاة الاعراب يفتخرون على رؤوس الأشهاد بسبّ على والغضّ من مقامه تزلفا لمن استمدّ خلافته من خلافة هؤلاء المتحدث عنهم .

ولا ريب ان العباس لا يريد بحواره هذا واجوبته القاطعة تيك صرف القوم عن نيّتهم بعد مافعلوا فى طريقها الأفاعيل حينذاك وبعده بما هو اشدّ وانكى : هذا ماكان من ارشاء العباس بن عبد المطلب .

وامّا من سواه فقد روى ابن عبد ربّه فى العقد الفريد (ج٢ص ٢٠٤) عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال توفى رسول اللّه (ص) وابوسفيان غائب فى مسعاة اخرجه فيها رسول اللّه (ص) فلما انصرف لقى رجلا فى بعض طريقه مقبلا من المدينة فقال له مات محمد قال نعم قال فمن قام مقامه قال ابو بكر قال ابو سفيان فما فعل المستضعفان علىّ والعباس قال جالسين قال اما واللّه لئن بقيت لأرفعنّ من اعقابهما ثم قال انى ارى غبرة لا يطفئها الآ دم فلما قدم المدينة جعل يطوف فى ازقتها ويقول :

بنى هاشم لا يطمع الناس فيكم
ولا سيّما تيم بن مرة او عدى
فما الأمر الآ فيكم واليكم
وليس لها الآ ابو حسن علىّ

فقال عمر لأبى بكر ان هذا قد قدم وهو فاعل شرّا وقد كان النبى (ص) يتألفه على الاسلام فدع له مابيده من الصدقة ففعل فرضى ابوسفيان وبايع .

وقد اسلفنا ان تألف النبىّ لهذا وامثاله كان على الأسلام لا لأن

يترأس عليه والرجل انما فعل ذلك بمال المسلمين ليشيد رئاسته ويحكم امر حكومته فما قياس ذاك بهذا على ان النبيّ (ص) حجّة فى نفسه وسائر افراد المكلفين محكومون بالشريعة ليس لأى احد منهم التصرف فيها بميله ورغبته .

وذكر ابن ابى الحديد (ج١ص٣٣١من شرحه) ان الناس لمّا اجتمعوا على ابى بكر قسّم قسما بين نساء المهاجرين والانصار فبعث الى امرأة من بنى عدى بن النجّار قسمها مع زيد بن ثابت فقالت ماهذا قال قسم قسمه ابو بكر للنساء قالت اتراشوننى عن دينى واللّه لاأقبل منه شيئا وردّته عليه وليس بوسعنا استقصاء هذه الموارد .

* (١٣ ــ هل أطاحت هذه الأنقلابات
بحيثيات اهل الكرامات) *

تطابقت الفصول التاريخية على ماذكره تلوا ففى (الشرح الحديدى ج١ص٧٣) قال البراء بن عازب لم ازل لبنى هاشم محبا فلما قبض رسول اللّه خفت أن تتمالأ قريش على اخراج هذا الأمر عنهم فأخذنى مايأخذ الواله العجول مع مافى نفسى من الحزن لوفاة رسول اللّه (ص) فكنت اتردد الى بنى هاشم وهم عند النبيّ (ص) فى الحجرة واتفقد وجوه قريش فانى لكذلك اذ فقدت ابا بكر وعمر واذا قائل يقول القوم فى سقيفة بنى ساعدة واذا قائل آخر يقول قد بويع ابو بكر فلم ألبث واذا انا بأبى بكر قد أقبل ومعه عمر وابو عبيدة وجماعة من اصحاب السقيفة وهم محتجزون بالأزر الصنعانية لايمرّون بأحد الاّ خبطوه وقدموه فمدّوا يده فمسحوها على يد ابى بكر يبايعه شاء ذلك ام ابى فانكرت عقلى .

وفى(ج٢ص٢٠٥من العقد الفريد) ان الذين تخلفوا عن بيعة ابى

بكر علىّ والعباس والزبير وسعد بن عبادة فامّا علىّ والعباس والزبير فقعدوا فى بيت فاطمة حتى بعث اليهم ابو بكر عمر بن الخطاب ليخرجهم منه وقال له ان أبوا فقاتلهم فأقبل بقبس من نار على ان يضرم عليهم الدار .

وفى (ج١ ص ١٢ من الامامة والسياسة) ان ابا بكر تفقد قوما تخلفوا عن بيعته عند على فبعث اليهم عمر فجاء فناداهم وهم فى دار علىّ فأبوا أن يخرجوا فدعا بالحطب وقال والذى نفس عمر بيده لتخرجنّ او لأحرقنّها على من فيها فقيل ان فيها فاطمة فقال وان فوقفت فاطمة على بابها فقالت لاعهد لى بقوم حضروا أسوأ محضر منكم تركتم رسول اللّه جنازة بين ايدينا وقطعتم امركم بينكم لم تستأمرونا ولم تردّوا لنا حقّنا ـ الى ان يقول ـ ثم قام عمر فمشى معه جماعة حتى اتوا بيت فاطمة فدقّوا الباب فلما سمعت اصواتهم نادت بأعلا صوتها يا ابت يارسول اللّه ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن ابى قحافة .وفى تاريخ اليعقوبى (ج٢ ص ١٠٥) ودخلوا الدار فخرجت فاطمة فقالت واللّه لتخرجنّ او لأكشفن شعرى ولأعجنّ الى اللّه :وفى (ج١ ص ١٣١ من الشرح الحديدى) لمّا اكثر فى تخلف علىّ (ع) عن بيعة ابى بكر واشتداد ابى بكر وعمر عليه فى ذلك خرجت ام مسطح بن اثاثة فوقفت عند القبر وقالت .

كانت امور وانباء وهنبثة

لو كنتَ شاهدها لم تكثر الخطب

وفى الشرح الحديدى ايضا (ج٢ ص ١٨) عن ليث ابن سعد قال تخلف علىّ عن بيعة ابى بكر فأخرج ملببا يمضى به ركضا :وفيه ايضا (ج٢ ص ٥٩ قال غضب رجال من المهاجرين فى بيعة ابى بكر بغير مشورة وغضب على والزبير فدخلا بيت فاطمة ـ الى ان يقول ـ فأخرجهما عمر يسوقهما حتى بايعا

وفى اثر آخر :ثم اخرجهم بتلابيبهم يساقون سوقا عنيفا حتى بايعوا ابا بكر :وفى آخر عن الشعبى :قال قال ابو بكر ياعمر اين خالد بن الوليد قال هو هذا فقال انطلقا اليهما يعنى عليا والزبير فاتيانى بهما فانطلقا فدخل عمر ووقف خالد على الباب من خارج فقال عمر للزبير ماهذا السيف قال أعددته لأبايع عليا قال وكان فى البيت ناس كثير منهم المقداد بن الاسود وجمهور الهاشميين فاخترط عمر السيف فضرب به صخرة فى البيت فكسره ثم اخذ بيد الزبير فأقامه ثم دفعه فأخرجه وقال ياخالد دونك هذا فأمسكه خالد وكان فى خارج البيت مع خالد جمع كثير من الناس ارسلهم ابو بكر ردءا لهما ثم دخل عمر فقال لعلى قم فبايع فتلكأ واحتبس فأخذ بيده فقال قم فأبى أن يقوم فحمله ودفعه كما دفع الزبير حتى امسكهما خالد وساقهما عمر ومن معه سوقا عنيفا واجتمع الناس ينظرون وامتلأت شوارع المدينة بالرجال ورأت فاطمة ماصنع عمر فصرخت وولولت واجتمع معها نساء كثير من الهاشميات وغيرهن فخرجت الى باب حجرتها ونادت يا ابا بكر ما أسرع ما أغرتم على اهل بيت رسول الله :والحديث فى مثل هذا عريض طويل .

وقال عليه السلام عند دفنه لسيدة النساء فاطمة كالمناجى به رسول الله (ص) عند قبره :

السلام عليك يارسول الله عنى وعن ابنتك النازلة فى جوارك السريعة اللحاق بك قلّ يارسول الله عن صفيتك صبرى ورقّ عنها تجلدى الاّ انلى فى التأسى بعظيم فرقتك وفادح مصيبتك موضع تعزّ فلقد وسدّتك فى ملحودة قبرك وفاضت بين نحرى وصدرى نفسك فانّا لله وانّا اليه راجعون فلقد استرجعت الوديعة واخذت الرهينة امّا حزنى فسرمد وامّا ليلى فمسهّد الى ان يختار لى دارك التى انت بها مقيم وستنبأك ابنتك بتضافر

امتك على هضمها فاحفها السؤال واستخبرها الحال هذا ولم يطـــل العهد ولم يخلق منك الذكر ٠

وفى هذه الكلمات من تأثير هذه الحوادث فى قلبه وقلب حليلته فاطمة مالا يعلمه الاّ اللّه ولو لم يكن من المتانة بمكان عظيم لشرح واوضح كـــل مازواه التاريخ من اطراف هذه القضايا السود وان كانت الضرورة التاريخية لم تستطع كتمانها بل ابرزت من نيرانها المتأججة ما التهبت به الآفـــاق وقليل مما اسلفناه برهان عليه ٠

نعم ان حوادث السقيفة انزلت كافة القيم عن قمّتها وأحاطت بأعاظـم الاصحاب وحقوقهم وعبثت بكافة الكرامات والمقدسات ونبذت رسول اللّـــه واقواله والواقع الراهن فى الشريعة وكل من طلع به وراء الظهر وأعـــادت الجاهلية بكل صورها الشوهاء وبعد هذا فكيف يستغرب ماكان يرتكبـــه معاوية ويزيد وعبيد اللّه بن زياد والحجاج بن يوسف ويوسف بن عمـــر وچنگيز وهلاكو وكافة مخربى العالم والمجلبين على بنى آدم : هذا ما كان من امر علىّ والهاشميين والمهاجرين المستنكرين : وامّا ماواجهه الأنصـار من طريق سقيفتهم المشؤمة عليهم وعلى غيرهم فقد جاء فى قصة السقيفة ان الحباب بن المنذر قال للانصار عندما سبق بشير بن سعد ولفيفه والأوس وجماعتهم الى بيعة ابى بكر فعلتموها يامعشر الانصار اما واللّه لكأنـــى بأبنائكم على ابواب ابنائهم قد وقفوا يسألونهم بأكفّهم ولا يسقون الماء قال ابو بكر أمنّا تخاف ياحباب قال ليس منك اخاف لكن ممّن يجىء بعدك قال ابو بكر فاذا كان ذلك كذلك فالأمر اليك والى اصحابك ليس لنا عليكـــم طاعة قال الحباب هيهات ياابا بكر اذا ذهبت انا وانت جاءنا بعدك من يسومنا الضيـــم ٠

ولقد صدقت كل فراسة الحباب ولكنّها أبعدت فى الهدف ولم تـــدر

ان ارجاف القوم بالانصار حاضر عتيد فانّ الأنصار ما انفصلت ايديهم من يد ابى بكر فى البيعة وشعروا بسوء مافعلوا الاّ واخذتهم الكلمات الموجعة من هواة ابى بكر بل من اعداء الاسلام فى الواقع وانهالت عليهم التهديدات والتوهينات الخارجة عن الحد :واماّ قول ابى بكر فالأمر اليك والى اصحابك حينئذ فهو تسكين موقت وكيف يستطيع هؤلاء المساكين حراكا وقبضة الامور بيد اعدائهم وها هم لمّا ندموا على بيعة ابى بكر والقضايا بعد على اوّلها جائهم العنف يغتّهم من كلّ مكان وهكذا استمروا حتى شهد جملة منهم وقعة الحرّة وقول يزيد فيها ٠

ليت اشياخى ببدر شهدوا

جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلّوا واستهلّوا فرحا

ولقالوا يا يزيد لاتشل

وطبيعيا كان ماوقع بهم وبالها شمبين من قريش فان اكثر بطون قريش موتور للفريقين فهم يتحينون الفرصة المؤاتية وقد حصلت بصرف الخلافة الزمنية عن كلا الطرفين الى بطون قرشية يعرفون من طريقها كيف يتوصلون الى مقاصدهم كما توصلوا وفعلوا الافاعيل ٠

ودونك الحديث عن اولى هذه الضربات الموجعة فروى الزبير بن بكارّ (ج٢ص٩وما بعدها من الشرح الحديدى) عن رجاله قال لمّا بويع ابو بكر واستقرّ امره ندم قوم كثير من الانصار على بيعته ولام بعضهم بعضا وذكروا علىّ بن ابى طالب وهتفوا باسمه وانه فى داره لم يخرج اليهم وجزع لذلك المهاجرون وكثر فى ذلك الكلام وكان اشدّ قريش على الانصار نفر منهم وهم سهيل بن عمرو والحارث بن هشام وعكرمة بن ابى جهل وهؤلاء اشراف قريش الذين حاربوا النبىّ (ص) ثم دخلوا فى الاسلام وكلهم موتور قد وتره

الانصار فلما اعتزلت الانصار تجمع هؤلاء فقام سهيل بن عمرو وقال يامعشر قريش ان هؤلاء القوم قد سمّاهم اللّه الانصار واثنى عليهم فى القرآن فلهم بذلك حظ عظيم وشأن غالب وقد دعوا الى انفسهم والى على بن أبى طالب وعلى فى بيته لو شاء لردّهم فادعوهم الى صاحبكم والى تجديد بيعته فان اجابوكم والاّ فقاتلوهم :وقد وطأ عكرمة بن ابى جهل اثره وقال فيما قال اعذروا الى القوم فان ابوا فقاتلوهم :وحضر ابو سفيان بن حرب فقال فى جملة مقاله وايم اللّه لئن بطروا المعيشة وكفروا النعمة لنضربنّهم على الاسلام كما ضربونا عليه :وقدم عمرو بن العاص من سفر له فقال ضمن ماقال لقد قاتلونا امس فغلوبنا على البدء ولو قاتلناهم اليوم لغلبناهم على العاقبة :والحديث فى مثل هذا طويل جدا لاتسعه هذه الرسالة ومن احبّ التوسع فليراجع المدارك التى أشرنا اليها ولا بدع اذا أصابهم ذلك واضعاف مثله وأقسى منه فقد صحّ فى الامثال ربّ حافر على حتفه بظلفه وما قامت السقيفة الا بأهلها وما اهلها الاّ الانصار الذين تهافتوا على بيعة من بايعوا تهافت الفراش على ذبلة السراج بغيا وحسدا فكان نصيبهم منها نصيب الفراش من النار المحرقة .

* (١٤ــ كم هى التموّجات الناتجة عن يوم السقيفة) *

نحن اذا اردنا ان نقارن بين مانتج عن السقيفة بالمباشرة اوالتسبيب من اقوال وافعال واحكام واوضاع وسياسات ومعاملات وبين ماكان فى عهد النبى (ص) من كل شئ يعود الى دين الناس ودنياهم وجدنا من الفروق الواضحة مايعسر عدّه واستقصاؤه فى حال ان حلال محمّد حلال الى يوم القيامة وحرامه حرام الى يوم القيامة ولا ناسخ لما كان فى عهده بعد موته وان افعاله واقواله من الحجج الشرعية المنجّزة على المكلّف وان

الأمّة الاسلامية بجميع طبقاتها لا يجوز لها ان تتخطى حدوده ولا أن تحدث من نفسها شيئا قلّ ام كثر شرف ام سخف والمصالح الواقعية القائمة بها الشرائع المحكمة غير قابلة للتبديل والتغيير وان تبدل الناس في آرائهم واتخاذاتهم :والمجتهد من بذل وسعه في أطار الشريعة لاستفادة الحكم من مدركه الشرعي بعد أن تتوفر عنده مقدمات الأجتهاد وليس كل مرتئى رأى بمجتهد والاّ فجميع الظلمة والمخربين والعابثين والمفسدين مجتهدون :ومع تصحيح مثل هذه الاجتهادات لا يكون مجال للدين ولا للشرائع السماوية بالمرّة وهو هدم لعامّة الاديان والشرائع وبعثة الرسل والكتب المنزلة اذن فكلّ زعيم ديني وظيفته حفظ الشريعة والقيام بتنفيذها على احوط الوجوه وأكملها وليس له من الأمر شيء سوى ذلك وهذه الخطة غير قابلة للتخطّي مادامت الاديان توظيفية من عند الله وما دام الزعيم الديني في حدوده الدائرة عليه .

والخروج عن هذه الموازين بدعة وضلالة بل معارضة للدين بدين آخر مبتدع:ونحن لا نستطيع في هذه الرسالة أن نستطرد مانجم عن السقيفة من انحراف واضح وانّما نستطيع ان نلمّ بنقاط محدودة من ذلك فحسب .

(١) فأوّل ما استلزمه انعقاد ندوة السقيفة هو الغاء موضوع النصّ في الخلافة الاسلامية ونحن نتسائل فنقول ماذا ترى ليت شعري قصد النبيّ (ص) باقواله في حق عليّ من اول اظهار الدعوة الى قضية غدير خم وهي فاصلة لا تقلّ عن عشرين سنة من نبوته بما تواتر مجموعه من حيث المجموع وجملة من ابعاضه بالخصوص كحديث المنزلة انت منّي بمنزلة هارون من موسى الا انّه لا نبيّ بعدي وحديث الغدير ألست اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى قال فمن كنت مولاه فهذا عليّ مولاه وما

معنى هذه الجمل والتراكيب أفتراها سيقت الفاظا فارغة فحاشا النبيّ (ص) عن الهجر والهذيان ما ينطق عن الهوى ان هو الاّ وحى يوحى او انّها سيقت لتدلّ الفاظها المكشوفة على معانيها المعروفة ولا أعرف من عموم التنزيل فى على بالنسبة الى النبيّ (ص) كتنزيل هارون من موسى وبما أن هارون كان فى نفسه نبيا ولا نبوّة بعد محمّد لذلك استثناها النبيّ من علىّ لئلا يكون قال فى حقه ما يثبت له النبوّة وراء كافة المزايا الأخر التى كانت لهارون من موسى .

كما لاأعرف من كون النبى فى عالم التشريع اولى بكل مكلّف من نفسه وان المكلّف لاخيرة له منها فى قبال ارادة النبى (ص) بها ايّة ارادة تفرض وهو (ص) جعل عليا بعين هذه المنزلة وهذا البيان من اوفى البيانات عن الخلافة الدينية الشرعية .

وكم قال قائل سطحى الفكرة لو ان الخلافة لاتكون الاّ بالتنصيص فلم اغفلها القرآن وان آية واحدة فى هذا الشأن تثبت المطلوب بصراحة وتقطع لجاج من يلج فيه لكنه لو أمعن النظر لوجد أصل اشكاله قشريا اذ ليست كل موارد الشريعة ممّا تكفلتها نصوص القرآن بل حتّى الأهمّ الذى تعرض له جاء ذكره فيه بطور اجمالى لاتستفاد منه الوظيفة اللازمة الامتثال فان قوله ـ اقيموا الصلاة ـ فرض محتم وبدون شرح السنة له لا يقبل الامتثال اصلا هذا ولا شىء أصرح فى المحاورات العربية من مثل قوله تعالى واولوا الارحام بعضهم اولى ببعض ولا ريب ان الأولى هو الأقرب والاّ لم يكن معنى للاولوية بين القريب والبعيد من اولى الأرحام ولامیز لأحدهما عن الآخر ومع هذا نجد القوم قاطبة تبعا لفعل عمر يقولون بالتعصيب فيورثون الابعد مع وجود الأقرب ويورثون الاخت مع وجود البنت مع ان توريثها مشروط فى صريح الكتاب بعدم الولد للميت وسيجىء

التعرض لذلك في محلّه أفترى ان القرآن لو أنزل فى هذا الشان ثم خولف ماذا يكون الأثر من مخالفته وكم خولف صريح القرآن بفعل آحاد الناس واقوالهم فانقطع القرآن حاسرا وتقدّم قول الغير مغذّا وستقرأ فى هذا الفصل كثيرا من ذلك اذن لا أهمية لحكم القرآن وانّما الحكم لمن غلب .

فالذين عقدوا السقيفة من الانصار كمن انتهزها سواسية فى ترصد الأمرة من ايّ طريق حصلت وفى نفس السقيفة كم جرّت اللحى ودبس المرضى وكم قائل قال اقتلوا سعدا قتله اللّه وآخر انحدر بحرارة عن قوله فان أبوا عليكم ما سألتموهم فأجلوهم عن هذه البلاد وتولوا عليهم هذه الأمور ولو كان فى البين حساب ومنطق مركز لما طلعت الخلافة الاسلامية بهذا المطلع المتجهم السمج كما انه لو كان فى البين دين راسخ لما آل بأهله الى هذا المآل الشائن وامثال هذه الانقلابات والتمرد على الحقيقة اكثر من كل كثير فى دنيا البشرية لذلك لم تعد بدعا ولا مستغربة دع عنك أمسك الماضى فانه كم نبز بالوحشية والاستغلال ولكن هلّم الخطب فى دور العلوم والصناعات والثقافات والحضارات فانظر الى منشور حقوق البشر الذى دوّن بأشراف عقلاء جامعة الدنيا البالغ عددها قرابة ثلاثة آلاف مليون نسمة وضمن فرضه على الوجود كافة الدول الداخلة فى جامعة الملل وفيها كافة الدول الكبرى ذات الحول والطول ولكن هل ترى افراد الدول الضعيفة فى القارات الثلاث آسية وافريقية واستراليا غير الأستعمار الشائن والاستعباد القاهر وامتصاص دماء الضعفاء من طريق هؤلاء الأقوياء والتطويح بكرامة الافراد عقائديا واقتصاديا وسياسيا وفى كل شئ اذن فالانسان بذاته كما يراه فلاسفة الغرب فى هذه القرون حيوان شأن الحيوانات الأخر ولا يستكثر على الحيوان ومهما تحسّن وضعه المادّى

قيامه بمزايا الوحشية فى كافة المجـالات .

(٢) الغاء الأنتخاب الصحيح القائم بالرأى العام او بممثّلـى الأمـة الواقعيين من اخيارها وابرارها ومقدسيها واهل الورع فيها امّا الـرأى العام فانه لم يحصل وحتى من حاضرى المدينة يومذاك وانما حصل مـن الأوس وبعض الخزرج وافراد قليلين جدّا من المهاجرين وامّا ممثّلوا الأمة الواقعيّون فالذين يجوز ان ينطبق عليهم شبح من هذا العنوان وأمضـوا بيعة السقيفة ولم يستنكروها افراد قلائل والأهم الأعم ماكان يشك فـى خلافة علىّ واستنكر السقيفة جدّ الاستنكار لمّا بلغه حديثها وحـاول ان يعيد الأمر شورى بين المهاجرين ابطالا لكل ماجرى فى السقيفـة مـن اقتضاب وانتهاب ولكنه ووجه باثارة فتنة عظيمة لم يرض بها قبل كل الناس علىّ بن ابى طالب وفيما اسلفناه من المدارك التاريخية بلاغ على ماذكرناه هنا ويأتى فى آخر الفصول ما يؤكد ذلك .

(٣) تسويغ الخلافة الدينية الشرعية بالانقلابات وولاية العهد والشورى بوضع محدود ولون مرموز امّا حديث السقيفة فقد قرأت فى الفصول الآنفة ماتضمنه واحتوى عليه وان يكن الرجل قد حصل الولاية على المسلميـن بانتخابهم له فأىّ حق له فى تسليم الخلافة للثانى من بعده فان الأنسان الانتخابى لا يملك هذه الصلاحية ولا طرفا منها لاحالة استكمال نشاطه ولا عند مقاربة وفاته وامّا الشورى فهى اسوأ حالا من ولاية العهد الـى انسان معيّن فان كان الرجل اعتمد الشورى فى اهل الكفآآت والصلاحيات فكان من لازمه ان يدعو اليها كلّ ذى فضيلة فى المهاجرين والأنصار ومـا اكثر عددهم يومذاك وأعرفهم عنده ويأخذ اصواتهم فى جلسة واحدة اواكثر ليتسنم عرش الزعامة من يفوز باكثر الاصوات : وامّا تخصيص الشورى فى ستة افراد وابداء الطعن فى كل واحد واحد منهم مع تمام اختياره فـى

انتخابهم ثم الحكم بقتلهم ان تجاوز تجمعهم من دون نتيجة على ثلاثة ايام وبقتل الواحد والأثنين اذا حصل تمرّد فى البين مع اتفاق الخمسة من الستة او الاربعة منهم على ترشيح احدهم للخلافة وبقتل الثلاثة الذين ليس فيهم عبد الرحمن بن عوف ان خالفوا وترجيح الثلاثة الذين فيهم هذا الانسان فهو عيث وعبث وخبط وضلالة تترفع عنه معارف الصبيان فضلا عن الشيوخ ولم يكن الرجل ليجهله ولكنه استهدف به ابن عفّان من هذا الطريق وبهذا حقّق انه تحمّل مسوءلية الخلافة مباشرة وتسبيبا حيا وميتا وان كان تنصل بلسانه عن هذا التحمل وأضاف الى ذلك انه هيّج بهذا العمل روحيات اناس اخذوا يعيشون بعد ذلك على تهيأة الحوادث ليستفيدوا من طريقها ما منّاهم به الرجل من صلاحيتهم للخلافة الأسلامية وقد حصل كل ذلك وفقا لطبيعة مجرى هذه القضايا ولو انّه عهد الى الثالث مباشرة لكان عمله اقلّ سوء .

(٤) تطوير الاحكام القرآنية والسنة النبوية الثابتة بالميول والأهواء والاجتهادات الزائفة : فمن ذلك انحصار رواية نحن معاشر الانبياء لا نورث ماتركناه صدقة بالأول قصدا لتذليل فاطمة وبعلها وتضعيف جانبهم كما كان مشيه للعباس بن عبد المطلب واقطاعه شيئا من امارة المسلمين لغاية ان يقطعه عن جانب علىّ حتّى يهن امره ويضعف قدره ولم يدع رواية هذا الأثر باعتراف كافّة المحدثين غير الأول كما اشعرنا وهو فى هذه القضايا متهم عليه قطعا ولو كان له اقل اصل لكان اوّل عالم به اهل بيته هو (ص) من فاطمة وعلىّ لامن باب ان اهل البيت ادرى بالذى فيه فقط بل من باب ان القضية تخصّهم ولا تشمل سواهم فليس من المعقول ان يفضى به النبىّ الى خصوص الرجل ولا يطلع عليه من يرثه واهمّهم فى ذلك فاطمة بنت محمد بضعته وحبيبته وموضع لطفه وعطفه واكثر

ورثته سهما فان جميع ازواج النبى يجتمعن فى الثمن والبنت وحدها لها النصف بالفرض :وقد جاء فى صريح عمومات الكتاب (الآية ٦ من سورة النساء) للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب ممّا ترك الوالدان والاقربون ممّا قلّ منه او كثر نصيبا مفروضا :وفى خصوص الأنبياء (الآية ١٦ من سورة النمل) وورث سليمان داود :ولا ارث فى غير الأموال وامّا الامور الكسبية من علم وفهم وفضيلة فهى ان حصلت فى الفرع كما هى موجودة فى الأصل فليس ذلك ارثا لان طريق حصوله للفرع امّا بأفاضة من اللّه فهو تفضل ابتدائى وامّا بتعلم ودراسة فهو كسبى تحصيلى والطرفان فى معزل عن الأرث .

ـ ومن ذلك ـ التهجم باقسى انواعه على اهل بيت رسول اللّه الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيرا واهل آية المباهلة والذين يطعمون الطعام على حبّه مسكينا ويتيما واسيرا وأعدال كتاب اللّه وباب حطة الذى من دخله كان آمنا والمنزلين بمنزلة سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق والذين يؤذى رسول اللّه ما يؤذيهم ويسوءه ما يسوءهم وان حبّهم ومودتهم من اجر رسالة الرسول (ص) وهذا البيت كم جمّع عليه القوم الحطب ليحرقوه على من فيه وان فيه فاطمة بنت محمد وكم هجموا عليه من غير استئذان واخرجوا من فيه ملببين يمضى بهم ركضا ويدفع بهم دفعا ليبايعوا مرغمين حتى امتلأت الطرق بالرجال والنساء للفرجة على هذه المناظر السمجة والافعال البشعة وفاطمة تولول وتعجّ وليس لها من حام حتّى حركت هذه الفجائع احدى نساء الانصار ففزعت الى قبر النبىّ تناديه :

كانت امور وانباء وهنبثة

لو كنت شاهدها لم تكثر الخطب

فكان هذا الهجوم والتلاعب بهذه الحيثيات اوّل باب فتح للجور والظلم باهل البيت واذا كان الافراد المرموقون يفعلون هذا الفعل الشنيع باهل رسول اللّه الذى لم يمرّ على موته الاّ ساعات معدودات فأحر بيزيد بن معاوية بعد مرور خمسين سنة على وفاة النبىّ ان يضحّى بالحسين وآله واصحابه فى بضع ساعات على صعيد واحد وان يجرى الخيل على صدر ابى عبد اللّه رائحة وغادية وان يتركهم اشلاء ممزقة بالعراء من غير دفن وأن يسبى نسائه من بلد الى بلد يتفرج عليهن العابر والمستطرق وأحر بكافّة الحكومات الأسلامية على طول الخطّ ان تجعل اوّل مهمتها هتك حيثية الرسول وآله والأطاحة بهم بأقسى الصور وأوجعها .

ـ ومن ذلك ـ الأفتاء بالرأى المجرّد : روى المتقى الهندى فى كتابه منتخب كنز العمّال (ج٤ ص٢٢٩) عن الشعبى قال سئل ابو بكر عن الكلالة فقال انى اقول فيها برأيى فان كان صوابا فمن اللّه وحده لا شريك له وان كان خطئا فمنّى ومن الشيطان واللّه برئ منه أراه ماخلا الوالد والولد : وما اجتهد فيه الشيخ ليس مظنّة للاجتهاد الذى يصدر فيه الرأى فان ما اجتهد فيه لفظ يحاول الوقوف على معناه الموضوع له وانه ماهو وهذا مظانّه اهل اللغة او الشرع ان كانت له حقيقة شرعية منعقدة ثم لابدّ لكل ابداء رأى ان لا يكون مقتضبا جزافيا والاّ جاز لكل انسان ان يرتئى كل شئ بالتخرّص المحض والرجل فى رأيه هذا لم يشعرنا بما جوّز له ان يستأنس من لفظ الكلالة انه كل وارث ماسوى الوالد ونظير هذا التخرص ماساقه فى منتخب كنز العمّال (ج٤ ص٢٢٢) عن عبيدة السلمانى قال كان ابو بكر يعطى الجدّ مع الاخوة الثلث وكان عمر يعطيه السدس فكتب عمر الى عبد اللّه انّا نخاف ان نكون قد اجحفنا بالجدّ فاعطه الثلث : نحن

لانعلم ان هذا التشهى عن ايّة ذائقة علميّة كان وهل مثل هذا التلاعب ممّا يصح ان يقال له اجتهاد ونظيره ماذكره المتقى الهندى ايضا (ج ٤ ص ٢٢٩) عن الشعبى قال سئل ابو بكر عن الكلالة فقال انى اقول فيها برأيى فان كان صوابا فمن اللّه وحده لا شريك له وان كان خطئا فمنّى ومن الشيطان واللّه منه برئ اراه ماخلا الوالد والولد فلما استخلف عمر قال الكلالة ماعدا الولد وفى لفظ آخر من لاولد له فلما طعن عمر قال انى لأستحيى ان أخالف ابا بكر ارى انّ الكلالة ماعدا الوالد والولد ومع هذه الفتيا سابقا ولاحقا نراه يقول لأن اكون اعلم الكلالة احبّ الىّ من ان يكون لى مثل قصور الشام (منتخب كنز العمال ج٤ ص ٢٣٠) وكل ذى شعور يدرك الغلط فى قوله انى لأستحيى ان اخالف ابا بكر فان ابداء الحكم الشرعى مع بذل الوسع فى استنباطه من مدركه لاحياء فيه وغضّ النظر عنه لهذه العلة من فعل الحرام ثم من هو الرجل فى الشريعة حتى يستحيى ان يخالفه .

هذا وان من يستعرض كتاب اللّه يجد ان لفظ الكلالة فيه لم يطلق الاّ على اخوة الميت فقد قال سبحانه وان كان رجل يورث كلالة او امرأة وله اخ او اخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا اكثر من ذلك فهم شركاء فى الثلث: وقال سبحانه ايضا : يستفتونك قل اللّه يفتيكم فى الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك: الخ :فاقتران الاخوة فى كلتا الآيتين بلفظ الكلالة دون من سواهم من الورّاث الذين تعرّض لهم القرآن من اولاد وآباء وازواج ان لم يفدنا يقينا ان المراد به هم الاخوة فقط فانه يشعرنا اشعارا واضحا بذلك وان قوله تعالى وله اخ او اخت بيان لقوله يورث كلالة وهكذا قوله وله اخت بيان لقوله يفتيكم فى الكلالة فان الآيتين انّما تعرضتا لبيان ارث الأخوة والأخوات فقط

ولا تعرض فيهما لما سوى طبقة الاخوة من الطبقات .

هذا وما اكثر استعجال الاشياخ بأصدار الفتاوى المجردة وابداع الأوليات والتناقض فى الاحكام ممّا يظهر منه جهارا ان الدين عندهما من المطالب التى تقوم بالمشتهيات الوقتية وليس منوطا بكتاب ولا سنّة فى حال ان الأشياخ كغيرهم من سائر المكلفين يجب عليهم التعبد بالشرع الوارد عليهم من صاحبه وانه ليس لهم من التشريع شيء وامّا اطلاق الأجتهاد على هذه الاقتضابات والابداعات والاوليات فهو اطلاق لا مقيل له من الضحة وليس من وادى الاجتهاد فى الشرائع بمغدى ولا مراح والاّ لكان الناس بأسرهم مجتهدين ولما كان للدين وزن ولا فى الشريعة الزام اصلا ونحن نشير فيما يلى الى اشتات من ذلك .

قال ابن ابى الحديد (ج ١ ص ٦٠ وما بعدها من شرحه على النهج) عند تعرضه لسياسة عمر من جملة كلام له وكان عمر يفتى كثيرا بالحكم ثم ينقضه ويفتى بضدّه وخلافه قضى فى الجد مع الاخوة قضايا كثيرة مختلفة ثم خاف من الحكم فى هذه المسألة فقال من اراد ان يقتحم جراثيم جهنم فليقل فى الجدّ برأيه :وقال مرّة لا يبلغنى ان امرءة تجاوز صداقها صداق نساء النبىّ الاّ ارتجعت ذلك منها فقالت له امرءة ماجعل اللّه لك ذلك انه تعالى قال وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا فقال كل الناس افقه من عمر حتى ربّات الحجال الا تعجبون من امام اخطأ وامرءة أصابت فاضلت امامكم ففضلته :ومرّ يوما بشباب من فتيان الانصار وهو ظمئان فاستسقاه فخلط له ماء بعسل فلم يشربه وقال ان اللّه تعالى يقول اذهبتم طيباتكم فى حياتكم الدنيا فقال له الفتى ياامير المؤمنين انها ليست لك ولا لأحد من اهل هذه القبلة اقرأ ماقبلها ويوم يعرض الذين كفروا على النار اذهبتم طيّباتكم فى حياتكم الدنيا فقال عمر كل الناس أفقه من عمر

وروى الحاكم فى المستدرك (ج١ص٢٥٨) عن ابن عباس قال مرّ على ابن ابى طالب بمجنونة بنى فلان وقد زنت وأمر عمر بن الخطاب برجمها فردّها على وقال لعمر أترجم هذه قال نعم قال او ماتذكر ان رسول اللّه قال رفع القلم عن ثلاث عن المجنون المغلوب على عقله وعن النائم حتى يستيقظ وعن الصبى حتى يحتلم قال صدقت فخلّى عنها .

وروى الحاكم فى المستدرك (ج٤ص٣٣٩) عن معمر عن الزهرى عن ابى سلمة قال جاء ابن عباس رجل فقال رجل توفى وترك بنته واخته لأبيه وامّه فقال لابنته النصف وليس لاخته شىء قال الرجل فان عمر قضى بغير ذلك وجعل للأبنة النصف وللأخت النصف قال ابن عباس انتم أعلم ام اللّه فلم أدر ماوجه هذا حتى لقيت ابن طاووس فذكرت له حديث الزهرى فقال اخبرنى ابى انه سمع ابن عباس يقول قال اللّه عزّوجلّ ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ماترك قال ابن عباس فقلتم انتم لها النصف وان كان له ولد .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وروى ابو الفرج فى الاغانى (ج١٢ص٣٣٠) عند تعرضه لاخبار ابى محجن الثقفى عن العمرى عن العتبى قال أتى عمر بن الخطاب بجماعة فيهم ابو محجن الثقفى وقد شربوا الخمر فقال أشربتم الخمر بعد ان حرّمها اللّه ورسوله فقالوا ماحرّمها اللّه ولا رسوله ان اللّه يقول ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات فقال عمر لأصحابه ماترون فيهم فاختلفوا فبعث الى علىّ بن ابى طالب فشاوره فقال علىّ ان كانت هذه الآية كما يقولون فينبغى ان يستحلوا الميتة والدم ولحم الخنزير فسكتوا فقال عمر لعلى ماترى فيهم قال ارى ان كانوا شربوها مستحلين لها ان يقتلوا وان كانوا شربوها وهم يؤمنون انّها حرام ان يحدّوا فسألهم فقالوا واللّه ماشككنا فى انها حرام

ولكنا قدرنا انّ لنا نجاة فيما قلناه فجعل يحدّهم رجلا رجلا وهم يخرجون حتى انتهى الى ابى محجن فلما جلده أنشأ يقول :

وانى لـذو صبر وقـد مات اخوتـــى
ولست عـن الصهباء يومـا بصابر
رماهـا امير المؤمنيـن بحتفهـا
فخـلاّ نـها يبكون حـول المعاصر

فلمّا سمع عمر قوله ولست عن الصهباء يوما بصابر قال قد أبديت مافى نفسك ولأزيدنّك عقوبة لأصرارك على شرب الخمر فقال له على ماذلك لـك وما يجوز أن تعاقب رجلا قال لأفعلنّ وهو لم يفعل .

وروى البخارى فى صحيحه (ج١ص٢٢٤ باب صلاة التراويح) بطريقين عـن ابى هريرة ان رسول اللّه (ص) قال من قام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ماتقدم من ذنبه قال ابن شهاب فتوفى رسول اللّه (ص) على ذلك ثم كان الأمر على ذلك فى خلافة ابى بكر وصدرا من خلافة عمر :وعن ابن شهـاب عن عروة بن الزبير عن عبد الرحمن انه قال خرجت مع عمر بن الخطاب ليلة من رمضان الى المسجد فاذا الناس اوزاع متفرقون يصلى الرجل لنفسـه ويصلى الرجل فيصلى بصلاته الرهط فقال عمر انّى ارى لو جمعت هـؤلاء على قارئ واحد لكان أمثل ثم عزم فجمعهم على ابىّ بن كعب ثم خرجـت معه ليلة اخرى والناس يصلّون بصلاة قارئهم قال عمر نعم البدعة هذه ـ اهـ ملخصا :وقال السيوطى فى تاريخ الخلفاء (ص٥٢ باب اوليات عمر)واوّل من سنّ قيام شهر رمضان .

وفى صحيح مسلم (ج٤ص٤٦ وما بعدها باب متعة الحج) قال عمران ابن حصين نزلت آية المتعة فى كتاب اللّه(يعنى متعة الحج) وامرنا بهـا رسول اللّه ثم لم تنزل آية تنسخ آية متعة الحج ولم ينه عنها رسول اللّـه

حتى مات قال رجل برأيه بعد ماشاء :وفى اسناد آخر ارتأى رجل برأيه ماشاء يعنى عمر :وسرد كثيرا من امثال هذه الأحاديث:وفى مسند احمد (ج١ص٤٩)عن ابى موسى ان عمر قال هى سنة رسول اللّه (ص) يعنى المتعة ولكنى أخشى ان يعرسوا بهنّ تحت الأراك ثم يروحوا بهنّ حجاجا الى غير ذلك مما سرده كافة اهل الحديث .

وساق البيهقى(ج٧ص٢٠٦ من سننه) بسنده الى ابى نضرة قال كنت عند جابر بن عبد اللّه فأتاه آت فقال ابن عباس وابن الزبير اختلفا فى المتعتين فقال جابر فعلناهما مع رسول اللّه ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما :وعن ابى نضرة عن جابر قال قلت ان ابن الزبير ينهى عن المتعة وان ابن عباس يأمر بها قال على يدى جرى الحديث تمتعنا مع رسول اللّه ومع ابى بكر فلما ولى عمر خطب الناس فقال ان رسول اللّه هذا الرسول وان هذا القرآن هذا القرآن وانهما كانتا متعتان على عهد رسول اللّه وانا انهى عنهما واعاقب عليهما احداهما متعة النساء ولااقدر على رجل تزوج امرأة الى أجل الاّ غيّبته بالحجارة والاخرى متعة الحج افصلوا حجكم من عمرتكم فانه اتمّ لحجّكم وأتم لعمرتكم :وفى صحيح مسلم باب نكاح المتعة (ج٤ص١٣٠)عن عطاء قال قدم جابر بن عبد اللّه معتمرا فجئناه فى منزله فسأله القوم عن اشياء ثم ذكروا المتعة فقال نعم استمتعنا على عهد رسول اللّه وابى بكر وعمر :وعن ابى الزبير قال سمعت جابر بن عبد اللّه يقول كنّا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الايام على عهد رسول اللّه(ص) وابى بكر حتى نهى عنه عمر فى شأن عمرو بن حريث: وعن ابى نضرة قال كنت عند جابر بن عبد اللّه فأتاه آت فقال ابن عباس وابن الزبير اختلفا فى المتعتين فقال جابر فعلناهما مع رسول اللّه ثم نهانا عنهما عمر فلم نعد لهما :وفى منتخب كنز العمال (ج٦ص٤٠٥)عن على

قال لولا ما سبق من رأى عمر بن الخطاب لأمرت بالمتعة ثم مازنى الاّ شقى وما اكثر الحديث من نظير هذا فيما نحن فيه :وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى قال العسكرى واوّل من حرّم المتعة عمر :وهو صريح فى أنّ من قبله لم يكن يحرّمها .

وساق البيهقى فى سننه(ج٦ص٢٥٣)عن الزهرى عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود قال دخلت انا وزفر بن أوس بن الحدثان على ابن عباس بعد ما ذهب بصره فتذاكرنا فرائض الميراث فقال تترون الذى احصى رمل عالج عددا لم يحص فى مال نصفا ونصفا وثلثا اذا ذهب نصف ونصف فأين موضع الثلث فقال له زفر يا ابن عباس من اوّل من أعال الفرائض قال عمر بن الخطاب قال ولم قال لمّا تدافعت عليه وركب بعضها بعضا قال والله ما ادرى كيف أصنع بكم والله ما أدرى ايكم قدّم الله ولا ايّكم أخّر وما اجد فى هذا المال شيئا احسن من أن اقسّمه عليكم بالحصص ثم قال ابن عباس وايم الله لو قدّم من قدّم الله وأخّر من أخّر الله ماعالت فريضة فقال له زفر وايّهم قدّم وايّهم فقال كل فريضة لا تزول الاّ الى فريضة فتلك التى قدّم الله وتلك فريضة الزوج له النصف فان زال فألى الربع لا ينقص منه والمرأة لها الربع فان زالت عنه صارت الى الثمن لا تنقص منه :الى ان يقول :فلو اعطى من قدّم الله ثم قسم ما يبقى بين من أخّر الله بالحصص ماعالت فريضة .

وفى صحيح مسلم (ج٤ص١٨٣ وما بعدها) باب طلاق الثلاث عن ابن عباس قال كان الطلاق على عهد رسول الله وابى بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة فقال عمر بن الخطاب ان الناس قد استعجلوا فى امر قد كانت لهم فيه أناة فلو امضيناه عليهم فأمضاه عليهم .

ولو شئنا أن نتعرض لأمثال هذه الأوليات والأنحرافات بتوسع

لاحتجنا الى مباحث مبسوطة حيث لا مجال : ويجمع الجميع ما ذكرناه وما لم نذكره ان القوم كغيرهم من كافة المكلفين رؤساء دول وحكومات كانوا ام افرادا عاديين من اهل التحصيل والفضيلة كانوا ام اناسا بعيدين عن التحصيل ليس لهم من امر الدين شيء امّا المجتهد فيجب ان تتوفر عنده مدارك الأحكام التي يفتي بها عن طريق تلك المدارك ولا يجوز له ان يفتي بشيء لا يعرف مدركه فانه ليس مشرعا وممّا يسقط زعمه للاجتهاد عن درجة الاعتبار ويلحقه بالمبدعين افتاؤه في قبال نصوص الكتاب والسنة التي هي عبارة عن اقوال صاحب الشريعة وافعاله وتقريراته : وامّا المقلد فلا يجوز له ان يعمل بفتوى مجتهد او ينقلها قبل أن يتفهمها ويقف على قرارها ونحن نرى هؤلاء الخلفاء في كثير ماجاء عنهم وسار عليه اتباعهم لحدّ الآن خارجين عن ملاك كل من المجتهد والمقلد يؤسسون ما الشريعة القائمة حاكمة بضده ويقضون بما لا يعرفون ويبرمون ثم ينقضون في المورد الواحد مع اعترافهم بالجهل في جملة من موارد فتاواهم وبالتحير في كثير ممّا أبرموه وبالأبداع في موارد اقدموا عليها مبدعين وبالمعارضة التامة لما اعترفوا به انّ خلافه كان على عهد الرسول .

وليس الدين بآراء سياسية حتى نجوّز للحاكم السياسي اللاحق ان ينقض ما أبرمه السابق لمصلحة رآها وانما هو مجموعة أحكام سماويّة ربّانية قد تعبّد اللّه بها قاطبة المكلفين على طول الأجيال فلا يجوز تحويرها ولا تغييرها ولا العبث بها وكلّ واقعة اعوزتها النصوص الخاصة فلابدّ من تصامد العقول حولها وتطبيق ملاك قريب من روح الشريعة عليها : وليت أن هؤلاء الذين صححوا للقوم رياستهم لم ينجرفوا ورائهم في هذه البدع التي لم تأب ان تعارض الشريعة بصلافة وجه ولكن كما جاء في الحكمة ــ ان حبّك الشيء يعمي ويصمّ ــ نعوذ باللّه من مضلّات الفتن .

ومن نتائج السقيفة ايضا خلق الفتن بين الناس كما فعلته الشورى بين أفرادها على ان الهدف منها مرصود فى الثالث الذى سبّبت حياته ومماته فتنا شعواء وحروبا حمراء على لا شئ يعود له فى الحقيقة اولعامة المسلمين ومن طريق خلافته واستيلائبنى أمية عليه تدهورت امارة المسلمين اشدّ تدهور واصبحت العوبة كالكرة يتداولها كل جلف سخيف وعلج عنيف وجاء المسلمون يرون ولاتهم وائمة جماعتهم يصلون بهم سكارى ويوقعون بأخيارهم يقاعا مرّا فيهجهج بأبى ذر من مكان الى مكان كما يهجهج بقطاع الطرق وتكسّر اضلاع عمّار بن ياسر وتهتك حيثية عبد اللّه بن مسعود وهلمّ دواليك وهذه صفحة جديدة لم يعهدها المسلمون فى ادوارهم ثم اتت الدواهى كالسيل المنحدر تتسرب الى الدين وجامعة المسلمين من آل ابى سفيان وآل الحكم وولاتهم وعمّالهم بما لا يستطيع أن يتحدث عنه مسلم وبذلك طويت صحائف الاخيار والبررة الأطهار واصبحت منصّات الحكم وكافة امور السياسة يعتورها الساقطون فى كل اشيائهم لدرجة الصفر كيزيد بن معاوية ويزيد بن عبد الملك والوليد بن يزيد وعبيد اللّه بن زياد والحجاج بن يوسف ويوسف بن عمر والوف من هذا الطراز واستحال الدين الاسلامى الى دين كفر وزندقة وعبث بالأحرار وهتك للاخيار بصورة توجب الاشمئزاز من اعماق الروح واذا بالدين الاسلامى القائم على الصلاح والاخلاق الفاضلة والمثل الراقية قد عاد الى بربرية وحكومات فردية واخلاق وحشية واذا باولئك الذين شيدوه بأسيافهم وسقوه بدمائهم وشادوا كيانه بنزاهتهم وصراحتهم جاؤا يضربهم الأهمال والتسيّب من ناحية والطرد والتشريد والأرهاق والأعنات من ناحية ثانية واذا بزحمات محمّد بن عبد اللّه وعلى بن ابى طالب جاءت يستغلّها عبيد اللّه بن زياد والحجاج بن يوسف فيالك من قرحة لا ترقى ابد الدهور .

* (١٥ ـ كيف ترى يكون مصير التاريخ لو
تسلّم على خلافة المسلمين مباشرة
بعد النبىّ (ص) وما هو منطقه
فى استحقاقه الولاية الشرعية
بالمباشرة وما الذى منعه عن
مناهضة الوضع فى اوّل اوقاته
واصولا ما الذى دعاه الى مواصلة
تجهيز النبىّ وعدم الحضور فى
مجتمع السقيفة) *

لا ريب ان مسير الزمان منوط بروحية السلطان فاذا تبطن روحية طاهرة وعقلا فاضلا طهر الزمان وفضل اهله واذا انطوى على روح متنزية وفكر ساقطة تدهور الزمان وسقط اهله وهذا المعنى قد جسّمه العيان لبنى الانسان على طول ادوارهم مع الحياة منذ بدء الخلقة الى يومهم الحاضر ذلك لان وضع القانون واجراءه وتعيين هيئة الدولة ولون مجاريها فى العمل واختيار الولاة والعمّال الى السلطان ورغبته :ورغباته انّما تنبعث عن روحياته وروحياته منوطة بالتربية التى عليها نشأ وتأصل وجوده ومستحيل على المعتدل فى روحه ان يعوّج فى حركاته وعلى المنحرف فى تربيته الساقط فى روحيته ان يعتدل فى مشيه فان النتائج لا تأتى عن جزاف ولا بدّ لها من مقدمات مطبوعة او مصنوعة حتى تتمخض عنها وتلدها الى العيان المكشوف والظاهرة التى عبرنا عنها من أجلا غرائز الطبيعة فعبثا يحاول الانسان فعل الجميل فى الاجتماع وتحقيق العدالة الأجتماعية من امثال عبيد اللّه بن زياد والحجاج بن يوسف اذ ليس ذلك

من رشيح انائهما الذى عبّا فيه طول حياتهما كما انه من المعقول بل اللازم ان لا ينتظر الانسان هجوم الاجحاف والعدوان عليه من امثال ابى ذر الغفارى وعمّار بن ياسر اذ لا منفذ فى حياة هؤلاء للرذائل بعد ما عمروها بالمحاسن والفضائل وعلى قد صابح وماسى فى تربيته طلعة محمد المشرقة وروحه العالية وصفاته الغرّ واخلاقه الفاضلة ونزاهته الرامية الى أبعد حدّ وحلمه الواسع الجميل وصبره على المكاره وثورته على الباطل واحقاقه للحق وحبّه لتركيز الفضيلة من كل قلبه وايمانه بدعوته وصدقه فى مبارزته واعراضه عن المادة بجميع ألوانها حيث مات عن لا شىء وعاش وهو يعدّ حجر المجاعة لبطنه ازمان قدرته ونفوذه وعلّو كلمته وانتصاراته المتوالية فى حروبه :ودرج فى هذه المدرسة منذ نعومة اظفاره فقرأ الفلسفة النظرية والعملية فى هذه الجامعة الرائعة حتى اعترف له بالفوز النهائى محمد نفسه والأطايب الاخيار الافاضل من اصحابه وشهدت له بذلك أعماله الغرّ وصفاته التى بذّ بها كافة الناس هديا وتقى وصبرا واحتمالا وتفانيا دون المبدء الصحيح وايمانا بالمثل المقدسة وزهدا بالمادة وعبادة لمبدأ القداسة وعلما واسعا عن دربة وخبرة وفصاحة وبلاغة ولسانا ماله حدّ وبطولة وشجاعة هابتهما المنايا قبل البرايا وانسانية ومثالية قد عجزت عن تحديدهما صفحة العيان وأسلات الأقلام وكلّت عن ايفائهما ماتستحقان عضلات اللسان وكل ذلك عن حق راهن لا تذب باهت ونحن نسرد بعض الشواهد على ذلك تنبيها للأذهان واراءة لبعض صفحات الواقع .

(١) تقواه ودينه وعبادته :علىّ فى هذه المرحلة من نوابغ الدهور وعجائب الخلقة ومن مضارب الامثال التى ركّزها الواقع واطالة سرد الشواهد فى ذلك تطويل بلا طائل روى ابن عبد البر فى ترجمة علىّ من

الاستيعاب بسنده عن العكلى عن الحرمازى قال قال معاوية لضرار الصدائى ياضرار صف لى عليا قال اعفنى ياامير المؤمنين قال لتصفنّه قال امّا اذ لابدّ من وصفه فكان والله بعيد المدى شديد القوى يقول فصلا ويحكم عدلا يتفجر العلم من جوانبه وتنطق الحكمة من نواحيه يستوحش من الدنيا وزهرتها ويستأنس بالليل ووحشته وكان غزير العبرة طويل الفكرة يعجبه من اللباس ماقصر ومن الطعام ماخشن كان فينا كأحدنا يجيبنا اذا سألناه وينبئنا اذا استنبئناه ونحن والله مع تقريبه ايّانا وقربه منّا لانكاد نكلّمه هيبة له يعظم اهل الدين ويقرب المساكين لا يطمع القوىّ فى باطله ولا ييأس الضعيف من عدله وأشهد لقد رأيته فى بعض مواقفه وقد ارخى الليل سدوله وغارت نجومه قابضا على لحيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين ويقول ياد نيا غرّى غيرى ألى تعرضت ام الىّ تشوقت هيهات هيهات قد بائنتك ثلاثا لا رجعة فيها فعمرك قصير وخطرك حقير آه من قلّة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق فبكى معاوية وقال رحم الله ابا الحسن كان والله كذلك فكيف حزنك عليه ياضرار قال حزن من ذبح ولدها وهو فى حجرها .

(٢) حلمه وصفاء نفسه وكرمه وشهامته :علىّ فى هذه المرحلة كرسول الله لا يعرف حقدا ولاحسدا ولا بخلا ولا لؤما فكم تمكن من ألدّ اعدائه واشدّ خصومه فلم يحرك لهما ساكنا بل آواهما من حلمه وصفحه الى ظلّ ظليل وكنف كريم وموقفه من اعدائه بعد فتح الجمل كموقف رسول الله من مشركى قريش عام الفتح ولقد احترم موقف عائشة بعد سقوطها وهى من هى احتراما قلّ نظيره ولو فعلت بعض فعلاتها مع علىّ ايام عمر بن الخطاب لمزّقها اشلاء وتركها بالعراء وقس عليها غيرها من مؤازريها فى هذه القضايا السود وفى غيرها على طول خط علىّ مع الحياة ولقد عاشر منافقين

لا يقلّون فى التخريب عليه عمّا كان يفعله منافقوا المدينة مع رسول اللّه ومع ذلك سدل عليهم ثوب كرمه وشهامته وامّا سخاؤه وجوده فيكفيه انه كان يطوى ويؤثر على نفسه وما كان للمال عنده اقلّ وقع ولا لحطام الدنيا اقلّ اهمية وهذه الظاهرة من أبرز صفاته وروح متشعشعة من روحياته قد انقطع الناس قاطبة عن ادنى حدّ من حدودها .

(٣) علمه وفهمه وفضيلته :علىّ أنبغ خريج لامع من مدرسة محمد (ص) والمعغرّة بين قاطبة المسلمين لم يحتج معلمه الى ايّ انسان بعد الرسول واحتاج اليه كل انسان ماعدا رسول اللّه وفضيلته فى كل الشؤن العلمية محرزة وآثاره فيها مدونة واستعراض بتوأدة لما فى محتويات نهج البلاغة فى كافة المجالات يكفى المستطلع فضلا عن حلوله القيّمة للمشكلات واقضيته المهمّة فى مبهم الخصومات وفتاواه اللامعة فى شتات المقامات: وجاء فى فصل من فصول الاستيعاب لابن عبد البر عند تعرضه لترجمة علىّ(ع) وزوّجه رسول اللّه (ص) ابنته فاطمة سيدة نساء اهل الجنّة ماخلا مريم بنت عمران وقال لها زوّجتك سيدا فى الدنيا والآخرة وانه لأوّل اصحابى اسلاما واكثرهم علما واعظمهم حلما وبعثه رسول اللّه (ص) الى اليمن وهو شاب يقضى بينهم فقال يارسول اللّه انّى لاادرى ماالقضاء فضرب رسول اللّه بيده صدره وقال اللهمّ اهد قلبه وسدّد لسانه قال علىّ فواللّه ماشككت بعدها فى قضاء بين اثنين وروى عن النبىّ انه قال انا مدينة العلم وعلىّ بابها فمن أراد العلم فليأته من بابه وقال (ص) فى اصحابه اقضاهم علىّ بن ابى طالب وقال عمر بن الخطاب علىّ اقضانا وكان عمر يتعوذ باللّه من معضلة ليس لها ابو الحسن وقال فى المجنونة التى امر برجمها وفى التى وضعت لستّة اشهر فأراد عمر رجمها فقال له على ان اللّه تعالى يقول وحمله وفصاله ثلاثون شهرا الحديث وقال له ان اللّه رفع

القلم عن المجنون الحديث فكان عمر يقول لولا على لهلك عمر وعن سعيد ابن المسيب قال ماكان احد من الناس يقول سلونى غير على بن ابى طالب وعن عبد الملك بن ابى سليمان قال قلت لعطاء أكان فى أصحاب محمّد (ص) احد أعلم من على قال لا واللّه ماأعلمه وقالت عائشة علىّ اعلم الناس بالسنة وعن ابن عباس قال كنّا اذا اتانا الثبت عن علىّ لم نعدل به وعنه ايضا قال واللّه لقد اعطى علىّ بن ابى طالب تسعة أعشار العلم وايم اللّه لقد شاركم فى العشر العاشر :فهذه كلمة من آلاف الكلمات فى فضله .

(٤) فصاحته وبلاغته وحسن بيانه :وهو عليه السلام فى هذه المرحلة بذّ الاولين والآخرين بلا مدافعة وكان لخطابته روعة تستوقف أقحاح العرب وتملك أسماع من حضره وكان الكلام الحرّ يتدافع على لسانه تدافع الماء من شواهق الصخور الملساء وهذا قرآن بلاغته نهج البلاغة ممّا تناولته الأجيال يدا عن يد حتى أصبح من أهمّ الدروس اللسانيّة فى هذه العصور .

(٥) أيده وبطولته وشجاعته :وعلىّ فى هذه المرحلة ناف فيها على توضيح الواضحات وللنموذج نذكر ماقاله ابن ابى الحديد فى مقدمة شرحه على النهج وامّا شجاعته فانه أنسى الناس فيها ذكر من كان قبله ومحا اسم من يأتى بعده ومقاماته فى الحرب مشهورة يضرب بها الامثال الى يوم القيامة وهو الشجاع الذى مافرّ قط ولا ارتاع من كتيبة ولا بارز احدا الاّ قتله ولا ضرب ضربة قط فاحتاجت الأولى الى ثانية وفى الحديث كانت ضرباته وترا وكانت العرب تفتخر بوقوفها فى الحرب فى مقابلته :الى آخر ماقال وماذكره غيره اكثر واوفر .

(٦) شرفه العصامى والعظامى :امّا بيته النسبى فمن أشرف بيوت

بنى آدم معم مخول كريم النسبين وامّا عصاميته فليس فى العناصر كلّها من جدّ جدّه وأمتع بالفضائل نفسه وأكسب ذاته شهرة عالمية بحقّ لا شوب فيه : هذا وعلىّ فى كل صفات الخير المطلق ابن بجدتها ورافع لوائها والمبرز بين ابنائها فحقا انه الرجل الوحيد المنقطع النظير .

اذن فلابدع اذا حكم الاجتماع مثل هذا الانسان ان يشيد فى الكون اول حكومة عادلة وان يبنى للدنيا مدينتها الفاضلة وان لا يعمل لـــه الآ العالم العامل والانسان الفاضل وان لا تتسرب منه الولاية الآ الى مثقف من طرازه قد درس فى مدرسته ونشأ على روحيته وقطعا لو أن عليا تسلّم زعامة النبىّ الدينية بعد وفاته بالمباشرة واستمرّ على عرش الزعامة طيلـــة ماكتب له من بقاء لكانت الدنيا على وضع لا يتصوره الحاكم كيف وعلىّ فيه من كل كفاءة ماقرأت طرفا منه ولتسلمها من بعده من يقع من نفسه كل الوقوع ومهما حاول الانسان ان يظن سوءً فى مجارى التاريخ وتحاملات الزمـان فانه لابدّ من القطع بانّ هزيعا مهمّا من الزمان يمرّ علـــى الأســـلام والمسلمين بما لا يحلم به التاريخ نفسه على طول مشيه مع الزمان ولا ريـــب ان المزاج القوى لا ينهار بسرعة ولو بدأت تدبّ فيه العلل ولربما غالـــب الحوادث ازمانا طويلة وهذا كله ضرورى من طريق الطبيعة .

امّا على والدور المتفسخ الذى واجهه فى زعامته فقد ابدى فيه مـــن البطولة واحقاق الحق فى نصابه حيث لاحقّ فى ذلك اليوم ولا من يصيـخ الى الحق بعدما احتضن الدين مروان بن الحكم والوليد بـــن عقبـــة ونظائرهما ماألفت انظار كافة الناس ولو ان الرجل الثانى واجهت خلافته هذا الدور لانهزم من الميدان فى اوّل ازمانه بلا شبهة .

وامّا منطقه فى استحقاقه الولاية الشرعية فهو ماقام به فى حقه النبـــىّ من اوّل اظهاره الدعوة الى ساعة وفاته من صنوف الافعال والاقوال المميّزة

له عمّن سواه المنزّلة له منزلة النبىّ فى امّته المبعوث اليها وقد اسلفنا طرفا من ذلك آنفا هذا من ناحية ومن ناحية اخرى كفاآته الدينية الطبيعية التى لم يدانه فيها احد من كافة المسلمين وامّا ماحاكه المحدثون للقوم من ملابس تعريف وتشريف فانما هو وشاح على دمية لامكان له من العيان وعلى فرض الاعتراف به :فانّى بالطود يقاس الذر: ثم دعنا من هذا وذاك فان عليا الغصن المتأصل من شجرة محمد والقوم غاية ما أدلوا به فى السقيفة انهم عشيرة محمد واولياؤه أفتكون العشيرة فى المقياس اقرب من الغصن المندلع من صميم الشجرة ثم ليت شعرىهل كانت قضايا السقيفة قائمة على منطق معقول او استدلال موزون أمن الانصار الذين عقدوا ندوتها لأنفسهم ولم يحسبوا فيها حساب المهاجرين بالمرّة ام من الاشياخ الذين حضروها واخذوهامن القوم من طريق الاختلافات الناجمة بينهم ثم اشتدّوا بأسرع وقت يزاحمون الناس على أنفسهم فى اخذ البيعة منهم بالانتهاب ولو كان علىّ بعدما التفت الى المجارى على مثل روحياتهم لخاضها بنفسه وذويه وبالجملة الوافرة من المهاجرين والانصار وأشعلها حروبا حمراء تتمّ بنجاح او اخفاق كما يفعل كل ثائر ولكنه علىّ الذى قال للعباس وابى سفيان لما ارادا أن يبايعاه بالخلافة خلال تلك الأحداث :ايّها الناس شقّوا امواج الفتن بسفن النجاة وعرّجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة أفلح من نهض بجناح او استسلم فأراح هذا ماء آجن ولقمة يغصّ بها آكلها ومجتنى الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير أرضه فأن أقل يقولوا حرص على الملك وان أسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيّا والتى واللّه لابن ابى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى امّه بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية فى الطوى البعيدة (النهج

الحديدى ج١ ص ٧١) .

ام كيف يتجافى على عن النبىّ وهو جنازة مطروحا لنفسه ويغذّ بافراده للمناضلة والمقابلة والمكاثرة والمنافرة ولا يعلم ماتأتى به هذه المحاولات والى اىّ مدى تتجه هذه الخصومات: ولم يكن للنبى بين كافة المسلمين كعلىّ فى الذود عنه والانتصار له والذب عن دعوته والتفانى فى حبّه وهذه فصول نهج البلاغة وما اكثرها توقفك على ماكان يكنّه الوصىّ للنبىّ من احترام واكرام وتجليل وتبجيل يليق بقدس النبوّة وعظمة الرسالة ومن هنا يعرف الوفاء من علىّ له (ص) وجفاء الباقين له فى أحرج الساعات هذا وبعد أن تدرس المقدمات الآنفة بتدبر تعود مشبع الروح بحقيقة السقيفة بين مقدماتها ونتائجها .

وانت بعد أن استوعبت ابواب هذا الفصل بدقّة وعرفت مافيه من مضامين عالية وبحوث ضافية تعود مستغنيا فى بحث الأمامة عن مراجعة اىّ كتاب يفرض اذن فهلّم بنا الى دراسة نقود علىّ وردوده التى بها أحقّ الحقّ وأبطل الباطل فمن ذلك قوله عليه السلام (من خطبة تعرف بالشقشقية :ج١ ص ٢٤٩ من نهج ابن ميثم) أما واللّه لقد تقمّصها فلان وانّه ليعلم انّ محلّى منها محلّ القطب من الرحى ينحدر عنّى السيل ولا يرقى الىّ الطير فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا وطفقت ارتئى بين أن اصول بيد جذّاء او أصبر على طخية عمياء يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه فرأيت ان الصبر على هاتا أحجى فصبرت وفى العين قذى وفى الحلق شجا ارى تراثى نهبا حتى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها الى فلان بعده :ثم تمثّل بقول الاعشى :

شتّان ما يومى على كورها ويوم حيّان اخى جابر

فياعجبا بينا هو يستقيلها فى حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاته لشدّ ماتشطّرا ضرعيها فصيّرها فى حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسّها ويكثر العثار فيها والاعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحم فمنى الناس لعمر اللّه بخبط وشماس وتلوّن واعتراض فصبرت على طول المدّة وشدة المحنة حتى اذا مضى لسبيله جعلها فى جماعة زعم انى احدهم فياللّه وللشورى متى اعترض الريب فىّ مع الأول منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر لكنّى اسففت اذ أسفّوا وطرت اذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن الى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه يخضمون مال اللّه خضمة الأبل نبتة الربيع الى أن انتكث فتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته فما راعنى الاّ والناس كعرف الضبع الىّ ينثالون علىّ من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشق عطفاى مجتمعين حولى كربيضة الغنم فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت اخرى وقسط آخرون كأنهم لم يسمعوا كلام اللّه حيث يقول (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين) بلى واللّه لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا فى أعينهم وراقهم زبرجها اما والذى فلق الحبّة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما اخذ اللّه على العلماء ان لا يقارّوا على كظّة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس اوّلها ولألفيتم دنياكم هذه ازهد عندى من عفطة عنز .

ـ مفردات هذا الفصل ـ تقمص الشئ اذا اتخذه كالقميص :وقطب الرحى محورها الذى تدور عليه :وسدل الحجاب اذا أرخاه :والكشح الخاصرة :وطفق اخذ وشرع:ارتئى اذا فكّر فى امره ليرى رأيه فيه

والصولة هى الحملة بقوة :والجذّ هو القطع :والطخية هى الظلمة :والهرم تعالى السنّ :والكدح هو العمل المتعب :وتا اسم اشارة للمؤنث وهـــا للتنبيه :أحجى أولى :القذى ما يؤذى العين من عور وتراب ونظيرهمـــا : والشجى ما ينشب فى الحلق :والتراث اسم لما يورث :ادلى بالشـــىء اذا القى به امام الطرف :والشتات التفرق والتباعد وكور الناقة رحلها :الأقالة حلّ العقد والاستقالة طلب الأقالة :تشطّر الشىء تبعّضه :الحوزة الناحية والكلم بفتح الكاف الجرح :والعثار هو تعثّر الرجل بحجر ونحوه :والناقـة الصعبة هى التى لم تذلل بركوب ونحوه :وشنق الناقة بالزمام هو جـــرّ الراكب بالزمام لنفسه ليمسك مركبه عن الحركة العنيفة او عن الحركة نفسها والخرم الشقّ :أسلس لها اذا ارخى :التقحم هو السلوك فى الشىء بقهر وقوّة :منى بالشىء اذا ابتلى به :والخبط هو السير على غير ميزان :والشماس التنفر والحيدان :التلوّن هو الطلوع بمظاهر شتّى :والأعتراض هو المشى فى عرض الطريق لا بتوازن :والشورى هى مداورة الآراء :أسفّ الطائر اذا دنا فى طيرانه من الارض :صفا مال والضغن الحقد والصهر هو القريب السببىّ :والهن كلمة يكنّ بها عن الشىء القبيح :وأحضان الانسان جوانبه ما بين آباطه وخواصره :والنفج بالجيم قريب من النفخ بالخاء :والنثيـــل الروث :والمعتلف هو المكان الذى يوضع فيه العلف :والخضم هو الأكـــل بجميع الفم :والنبتة واحدة النبات :والنكث النقض :أجهز على الجريح اذا اسرع الى اتلافه :كبا الفرس سقط لوجهه :والبطنة شدّة الامتلاء :راعنـــى افزعنى :انثال الشىء اذا تتابعت أبعاضه :وعطفا الانسان جانبـــاه : والربيضة هى الغنم الرابضة فى مراحها :مروق السهم خروجه من الرمية : الرائق هو المعجب :والزبرج بكسر الزاء هو الزينة :والنسمة هى الانسان لانه يتنسم الهواء :المقارّة هى التبانى والتراضى على الشىء والكظّـــة

البطنة :والغارب اعلا اكتاف الناقة :والعفطة فى العنز كالعطاس فى الانسان :والشقشقة فى البعير شبيه الزبد الذى يخرجه عند تأثره وهياجه .

فى هذه الخطبة ابدى عليه السلام جملة من كوامن قلبه فكان ماأبداه نسخة طبق الأصل لا يتشكك فى حقيقتها العيان وقد لازم الأدب فى تعبيره كما لا يزال فى دهره مؤدبا وهذه الخطبة وماكان على منوالهما هما اللذان أثارا من حفيظة ابناء التسنن المتعصبين زاعمين ان عليا لا يقولها لأنّ مناميها فى نظرهم ليست بصحيحة فى حق الشيوخ الذين تعرضت لهم الخطبة بعد ماملأت الأهواء النفسية نفوسهم بلا هوتيّة هؤلاء النفر المتحدث عنهم ولذلك تمايلوا الى أن قائلها شيعى رافضى من غلاة الشيعة هو الذى وضعها ونسبها لعلى أمير المؤمنين وهم قد اخطأوافى عدة نواحى وان كانت نزعاتهم العقائدية لا تصيخ حتى للاعتراف بالخطأ المكشوف وللتعصب اثره القهار .

(الناحية الأولى) صرّح جملة من اهل العلم من ابناء التسنن بان هذه الخطبة موجودة بنصوصها فى كتب سبق تأليفها ميلاد السيدين الرضى والمرتضى بسنين فارجع لما ذكرناه عن ابن ابى الحديد المعتزلى فى شرحه لهذه الخطبة فى مقدمات الجزء الأول من هذا الشرح وقد حاذاه فى ذلك الفيلسوف الماهر ابن ميثم البحرانى فى شرحه على النهج (ج١ص٢٥٢) فقال على ان هذه الخطبة خاصة قد اشتهرت بين العلماء قبل وجود الرضى روى عن مصدق بن شبيب النحوى انه قال لما قرأت هذه الخطبة على شيخى ابى محمد بن الخشاب ووصلت الى قول ابن عباس ماأسفت على شىء قطّ كأسفى على هذا الكلام قال لو كنت حاضرا لقلت لابن عباس وهل ترك ابن عمك فى نفسه شيئا لم يقله فى هذه

الخطبة فانه ماترك الأولين والآخرين قال مصدق وكانت فيه دعابة فقلت له يا سيدى فلعلّها منحولة عليه فقال لا واللّه انى اعرف انّها من كلامه كما اعرف انّك مصدق قال فقلت ان الناس ينسبونها الى الشريف الرضى فقال لا واللّه ومن اين للرضى هذا الكلام وهذا الاسلوب فقد رأينا كلامه فى نظمه ونثره لا يقرب من هذا الكلام ولا ينتظم فى سلكه على انى قد رأيت هذه الخطبة بخط العلماء الموثوقون بنقلهم من قبل أن يخلق ابو الرضى فضلا عنه :واقول :وقد وجدتها فى موضعين تاريخهما قبل مولد الرضى بمدة احدهما انها مضمّنة فى كتاب الانصاف لأبى جعفر ابن قبة تلميذ ابى القاسم احد شيوخ المعتزلة وكانت وفاته قبل مولد الرضى وثانيهما انى وجدتها فى نسخة عليها خط الوزير ابى الحسن على بن محمد بن الفرات وكان وزير المقتدر باللّه وذلك قبل مولد الرضى بنيّف وستين سنة والذى يغلب على ظنّى ان تلك النسخة كانت كتبت قبل وجود ابن الفرات بمدّة ـ اهـ ـ

(الناحية الثانية) ان هذا النفس الذى تقوم به مفردات الخطبة وتراكيبها نفس انسان مقروح قد شاهد كل ماقاله بأحداقه وأمضّ به فى صميم قلبه ولا يستطيع ايّ انسان ان يخلق لنفسه هذه الانفاس لان الاجنبىّ عن الحادثة مهما تحرّق لها كان باردا فى قرارة نفسه وهذا امر طبيعى لا يستطاع انكاره .

(الناحية الثالثة) كل ماعبّر عنه فى فصول الخطبة الآنفة حق من حيث الواقع التاريخى المجمع عليه فلا ينكر الواقع الراهن ان عليا كان ابن بجدتها فى كل شىء وقد اعترف له بذلك خصومه فضلا عن محبّيه وامّا قول المتعصبين من اهل السنة ان الرجال الثلاثة افضل منه فقول زائف لا قيمة له ينكره عليهم كل ذى شعور وادّل دليل على ذلك نفس مرويات القوم فى

فضله بماملأ عشرات المجلدات كما لا ينكر الواقع الراهن ان عليا فى هذه الأحداث انّما لم يحرك ساكنا وكان بقدرته ذلك احتراما لدين الأسلام وابقاء لشريعة محمّد لانه شهد بعينه ردّة المرتدين وتأهب الاعراب والمنافقين لذلك كما لا ينكر الواقع الراهن ان الأوّل استقال من الخلافة فى حياته وانه قال اقيلونى فلست بخيركم ومع ذلك نراه عقدها للثانى بأيصاء خاص منه لم يراجع اهل الحق فيه كما لا ينكر الواقع ان الرجل الثانى كان شديدا خشنا جرئ اللسان كثير العثار والاعتذار وقد قرأت ذلك آنفا وامّا الثالث فقد اطبق المؤرخون على كثير هناته وتصرفه ببيوت الأموال الأسلامية تصرفا جنونيا خارجا حتى عن حدود الأسراف وماذكره عليه السلام عن الناكثين والقاسطين والمارقين فأمر له واقعه العريض الطويل فاىّ اشكال فى هذه الخطبة يدعو الى الريب فى مضامينها .

قوله عليه السلام :أما واللّه لقد تقمصها فلان :وهو ابن ابى قحافة كما ورد ذلك صريحا فى بعض نسخ الخطبة اى انه تلبس بالخلافة كما يلبس القميص لابسه عن غير استحقاق بقرينة مابعده وهو قوله :وانه ليعلم ان محلّى منها محلّ القطب من الرحى مؤكدا بأن واللام ولاغرابة فى قوله هذا فان الرجل اعرف الناس بما كان ينطوى عليه علىّ من فضل جامع لأمّهات الفضائل لانه سايره من قريب اكثر من عشرين سنة ورأى محلّه من النبىّ وموقعه من الواقع الراهن ولكن الأنسان مهما ازداد فضلا ازداد حسّادا وقد يؤدى الحسد بصاحبه الى ان ينكر الشئ الضرورى ولا ريب ان عليا كان فى عصره منقطع النظير بين معاصريه وقد جمع من المؤهلات مالا يجوز معه ان يزاحمه على هذا المقام احد .

قوله ينحدر عنّى السيل ولا يرقى الىّ الطير :اى انّى ذو مقام مرتفع عال ولم يغل (ع) بذلك فى حق نفسه فهو الزاهد العابد العارف الناطق

البليغ العالم العامل المترسم لخطوات رسول الله الرائض لنفسه اقصى ما يمكن من الرياضة ومثل هذا الانسان عزيز النظير فى العالم منيع الجانب بعيد الشأو فانحدار السيل عنه وعدم رقى الطير اليه كناية عن سموّ مقامه ووجوب احترامه .

قوله فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحا :معناه انّى نفضت يدى من هذا الحق المسلّم لى واللازم القيام به علىّ اجراء للعدالة الواقعيّة فى مجامع البشرية حفظا على ظاهرة الأسلام أن تتقشع عن آفاق نـاس يومذاك بالصراع العنيف الذى يكون بينى وبين من نافسنى على حقى .

قوله وطفقت ارتئى بين ان اصول بيد جذّاء :اى مقطوعة لقلة الناصر فان اهل الفضيلة الذين يقدّرون مقام علىّ بمقدار ماعرفوا من قدره وما اوجب الأيمان عليهم ان يخوضوا من اجله البلايا والمنايا قليلون فى قبال الانتهازيّين الذين لا يهمهم الاّ تحصيل مطامعهم وتأمين منوياتهم وهم يرونها باليقين غير حاصلة لهم من طريق علىّ لما عرفوه بالخشونة فى ذات الله .

قوله او اصبر على طخية عمياء :اسلفنا ان الطخية هى الظلمة ووصفها بالعمى تأكيدا لسوادها وابهامها ومنظوره من صبره على الطخية العمياء انه لا يشكّ فى كون حكومة امثال هؤلاء الذين تعرض لهم حكومة ظالمة لان حكّامها الشرعيين يفقدون الجهاز اللازم لادارة امور الشريعة فيمن حكموا عليه بعنوان انهم خلفاء نبىّ الله فكم اثبت القوم أغلاطا شرعية مهمّة للنفر المتحدث عنهم ففنّد علىّ بعضها فى زمانهم وبقى الكثير منها سنة بين اتباعهم الى اليوم سواء فى العبادات ام فى المعاملات ولا ريب ان تحريف الشريعة ممّا يوجب ظلمة الواقع وانستار الحكم الشرعى فكم فى تفسير الكلالة عند هؤلاء وفى العول والتعصيب وكيفية توريث الجدّ وغيره وفى

المتعتين والطلاق ثلاثا وغسل الرجلين فى الوضوء مكان مسحهما وعشرات سوى ذلك من الهنات المرتجلة المبتدعة من تضييع حق لمستحق وتغيير فى احكام الشرع فى حال ان الخليفة الشرعى فضلا عن لزوم كونه متضلعا فى احكام الشريعة يجب ان يكون فى غاية من السداد والرشد والمعرفة والفضيلة حتى لا يفوته لزوم تخصيص العمومات بخصوصاتها والمطلقات بمقيّداتها والمجملات بمبيّناتها وجمع المتعارضات بما يوجب ائتلافها على الوجه الصحيح وبدون ذلك يضيع الشرع برمته وتحلّ محلّه فى الحكومات الشرعية الأرتجالات والبدع والضلالات كما حصل ذلك فعلا وتعلل هؤلاء الأسطوريين بأنهم اجتهدوا فأخطاؤا تعلل فاسد لان الاجتهاد فى اىّ شىء يفرض يجب ان يكون فى أطار ذلك الشىء لا بأبداء الرأى المجرّد والاّ عاد الاجتهاد ارتجالا فالمجتهد فى الحكم الشرعى يجب ان يكون واردا اتمّ الورود فى احكام الشريعة عارفا بالمقاييس الشرعية وبعد ذلك يبدى رأيه فى فهم الحديث الوارد فى المسألة ابداء قائما على ميزان لا بصرف التشهّى واماّ الأجتهاد فى قبال نصّ وعدم تحرّى الخصوصات فى مقابل العمومات والمقيدات امام المطلقات وما الى ذلك ممّا هو مدّون فى علم اصول الفقه فهو تحدّ للّه وابداع شريعة فى قبال شريعة الواقع ولا يتجلّى نقص هذه الضلالات تماما الاّ للبارع الفنّان الذى يجيد هذه الفنون ويرى الجهلة تعبث بها وتعيث بمقدار بعدها عن حوزتها .

فحقّ لعلىّ ان يقول او أصبر على طخية عمياء تستمّر باستمرار حكومة هؤلاء وهو لا يشكّ فى استمرارها لأن الباطل اذا تركز فى مبتدأ أمره أخذ يمشى مشيا براحة لتمكنه اولا بالحاكمية وعادة الناس عليه ثانيا بطول الزمان فكم شاهدنا فى ازماننا لقيطا فى اهل العلم اصرّ على صلافته فى صفّ نفسه فى مصافّ الافاضل وسعى لذلك اتمّ سعيه فراج بين العوام

رواج الفطحل المفضال وادّى به استمراره الى أن استخدم بماله وجاهه الأفاضل الذين لا يشكّون فى نقصه ونزول قدره فى الواقع ولكن تمكّنه من ناحية وضعفهم من ناحية ثانية أولدا منهم وزعة له وخولا لديه وخدمة بين يديه ومأمومين لأمامته الكاذبة :وأكد عليه السلام ذلك بقوله يهرم فيها الكبير ويشيب فيها الصغير ويكدح فيها مؤمن حتّى يلقى ربّه فان العواطف الجارحة تعجّل على كبر السنّ بالهرم وتغذّ بالصغير الى الشيب من شدّة التأثر وتوقع المؤمن بالواقع فى مشقة محرجة حتى يلاقى حمامه مكدود الخاطر مأسوف النفس جريح العاطفة مغموم القلب .

قوله فرأيت ان الصبر على هاتا احجى :اى رأيت صبرى على هذه الاذايا الجسام والبلايا العظام والظلم المتراكمة اقرب الى المنطق من أن اصول بيد جذّاء لان قيامى فى وجه هؤلاء لا يعدم النزاع المستمرّ بينى وبينهم فيقوى كيد كل من يريد الكيد بالأسلام من اعراب البوادى الذين ماأسلموا الاّ استسلاما لقوّة الأسلام ومسلمة الفتح الذين مااطاعوا الاّلهذه العلة نفسها والمنافقين الكثيرين الموجودين منذ زمن الرسول ومعنى ذلك الأطاحة بالاسلام نفسه حتى لا يبقى منه اسمه :امّا اننى اذا سكّت وسلّمت بطل كل ذلك وان اضيعت الحقيقة وانطمس الحق المراد للّه ولرسوله :والفرض غير المحتسبة قد لا يعز سنوحها فاذا سنحت امكننى مع مساعدة اللّه ترميم ماخرب واتمام مانقص .

وهذا المعنى هو الذى تبنّاه اهل البيت من عميدهم امير المؤمنين فقد رعوا بالتقية الى بيان الحقائق فى المناسبات المؤاتية حتّى استطاعوا أن يبثّوا علما كثيرا فى طوال الأيام فاذا تقشعت هذه الغيوم المتلبدة اخذت الحقائق تتطلع فى اليوم تلو اليوم :ومعارف الشيعة العظيمة الوزن فى هذه الأزمان التى ذابت فيها سطوات امثال احمد بن ابى دؤاد وابن

تيمية والذهبى والعسقلانى ونظرائهم انما هى نتيجة ماتجمع الشيء بعد الشيء من علوم الصادقين من اهل بيت الرسالة وظهر دفعة واحدة بكل نشاط عندما خفّت المؤاخذات الحكومية امامه واكتسب الناس بعض الحريّة فى العقيدة .

ولو أن هؤلاء الصادقين جاهروا اوقاتهم بالمقاومة لذهبوا ادراج الرياح ولم يبق منهم اسم ولا رسم وهذا هو سرّ وجوب التقية الصحيحة على المكلفين ائمة ومأمومين .

قوله فصبرت وفى العين قذى وفى الحلق شجا ارى تراثى نهبا : الانسان وان أقنع نفسه بالصبر على شدّة من الشدائد ومزعج من المزعجات الاّ ان ذلك لا يزيح عنه الهمّ المعتلج ولا يزيل الغمّ المتغلغل فتراه دائما قذىّ العين فاترها شجى الحلق ذا غصّة :وتراثه المنهوب هو غصب كافة حقوقه وحقوق مخصوصيه ولاغرابة من هؤلاء القوم الذين داهنوا العباس ابن عبد المطلب ليقطعوه عن جانب على حتى يضعف ان يفعلوا كل فعل يحرقل مساعى هذا الأنسان من عامة وجوهها ومن جملة ذلك غصبهم فدكا وغير فدك بما زوّروه من ان الأنبياء لا تورّث وقد تعرضنا لذلك فى فصل السقيفة الآنف وفى كتابنا الحياة الروحية ونتائج الفكر بتوسع فليرجع اليهما.

قوله حتى مضى الأوّل لسبيله فأدلى بها الى فلان بعده :ثم تمثّل بقول الأعشى :

شتّان ما يومى على كورها ويوم حيّان اخى جابر

ومعنى مضى لسبيله انه مضى لمصير سبيله الذى سلكه من اوّل أمره، ومصير المتوبثين الى بوار قطعا فانه ليس بين اللّه وبين احد من خلقه هوادة ومعنى ادلى بها الى فلان بعده انّه سلّمه الخلافة مباشرة من دون مشاورة ومخايرة فكأن خلافة اللّه من كدّ يمينه له أن يضعها حيث

شاء فى حال ان الشريعة تحول بين صاحب الكدّ وبين مصرف كـــدّه اذا كان سفيها فليت شعرى كيف يكون موقف الشريعة من الذى يهب مالا يملك وتمام شعر الاعشى :

أرمى بها البيداء اذ هجّرت وانت بين القرو والعاصـــر

فى مجدل شيّد بنيانـــــه يزلّ عنـــه ظفـــر الطائـــر

ويريد عليه السلام من تمثله هذا ان من الفرق الفاحش بينى وبينهم اننى قضيت ايّامى مع هذه الأحداث وأهلها كمن يقضيها على حدبـــة بعيـــره يجوب الفيافى الجرداء وهجير البيداء وانّهم قضوا ايّامهم فى عرض ذلك كما قضاها حيّان اخو جابر فى مجدل شيّد بنيانه يزلّ عنه ظفر الطائـــر : نعم لااعتراض على حكم اللّه سبحانه فان فى بلاءه اجهادا وشدّة والعاقبة للمتقين .

قوله فياعجبا بينا هو يستقيلها فى حياته اذ عقدها لآخر بعد وفاتـه لشدّ ماتشطرا ضرعيها :طبعا ممّا يدعو الى التعجب ان يقوم خليفـــة يشغل منصة محمد (ص) الدينية ويعتبر اوّل خليفة شرعى منادي يـــا فـــى اوساط مأموميه بقوله أقيلونى فلست بخيركم استثقالا للعبأ الذى تحمّل به خوفا من عواقبه ومسؤلياته ثم هو ذاك يعقدها لآخر غير مستشير ولا مستجيز من جماعة المسلمين عموما او من اهل الكفاآت والصلاحيات خصوصا اولئك الذين خاطبهم بقوله لست بخيركم فأين ليت شعرى ذاك التخوف من هذا الأنتهاز والاستعجال وكيف يلتقى ذك الاستثقال مع هذا التسرع وأحسن عبارة تقال فى استبداد هذا المستخلف ومن استخلفه بما لا يملكان منـــه نقيرا هو قوله عليه السلام لشدّ ماتشطّر اضرعيها شبّه الخلافة الأسلاميـــة بناقة حلوب تشطر حالبها ضرعيها فبعدما استنزف ضرعا وأخلاه عمد الـــى الضرع الثانى فأنهاه وحاصل التشبيه ان الرجلين عبّا بجميع مقاصد همـــا

من هذه الخلافة التى سيّبها أهلها واعطوها صفقة الى رجلين يعملان بها كيفما يريدان وكذلك كان الأمر فى الحقيقة :وامّا التقشف الظاهرى الذى كان يلوح عليهما فسوف نتعرض له .

قوله فصيّرها فى حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسها ويكثر العثار فيها والأعتذار منها فصاحبها كراكب الصعبة ان اشنق لها خرم وان اسلس لها تقحّم فمنى الناس لعمر اللّه بخبط وشماس وتلوّن واعتراض فصبرت على طول المدة وشدّة المحنة :لا ينكر التاريخ ان اخلاق الأول كانت مرنة بالنسبة الى اخلاق الثانى وان جملة من الأرتكابات الجافّة التى وسم بها الأوّل كانت من الجاء الثانى له وكل من يستعرض لوحات التاريخ فى كافة القضايا التى افترنت بحياة الأوّل يقف من ذلك على صورة واضحة ونحن قد بسطنا النكات الحسّاسة ممّا اومأنا اليه فى ج٢وج٣ من الحياة الروحية وج٢وج٣وج٤ من نتائج الفكر وهما كتابان مطبوعان متداولان .

كما اطبق المؤرخون على فظاظة الثانى وغلظته وان لسانه ويده ماكانا يتحرجان من البذاءة والتجرى فكان اهل العفاف يتحامونه حذرا من بوادره السيّئة حتى قيل فى حقه ان زيادا تشبّه بعمر فى شدّته فزاد عليه وان الحجاج تشبّه بزياد فزاد عليه وان يوسف بن عمر تشبّه بالحجاج فتعدّاه .

ولا شكّ ان هذه الشدة مستقذرة مستقبحة مذمومة وقد خاطب اللّه نبيّه بقوله ولو كنت فظّا غليظ القلب لانفضّوا من حولك كما مدحه بقوله وانّك لعلى خلق عظيم والشدّة فى اللّه التى تحمد من المحتاطين المتقين معناها ان الأنسان الصادق فى ايمانه لاتأخذه فى اللّه لومة لائم وانه لا ينجرف الى خلاف الحق بأىّ ملبّين من الملبّينات كان وليس السياسى المحنّك الاّ من اعطى حوصلة يسع بها اخلاق طبقات الناس بما يفارقون

مجلسه وهم راضون عنه وان كان فى الواقع لم يعطهم من منوياتهم الآمالا مالاضرر فيه على سياسته وحاكميته والأنسان الفظّ ثقيل المعشر لا يخلو من التيه والانانية والأعجاب بنفسه وهكذا كان عمر بن الخطاب بلا تعدّ عليه فى التعبير .

ومعنى الفصل ان الرجل الاوّل صيّر خلافة محمد بن عبد اللّه ذاك الاخلاقى العظيم الذى وسع بسعة حلمه وجليل دربته كافة منافقى عصره فكان يماشيهم بما يخفف من سورتهم عليه وتحاملهم على دينه وشدّتهم على دعوته الى حوزة خشناء وناحية جافّة وانسان شديد خشن المسّ جاف المعشر قليل الاناة يغلظ كلمه فى عواطف الناس بمقدار غلظته فى لسانه ويده كثير العثرات والاخطاء مع توجهه لخطأه او توجيهه اليه واعتذاره منه وليس الاعتذار المتكرر بتكرر الذنب ممّا يزيح العار عن صاحبه فانه ان قيل مامسىء من اعتذر فأنما يراد به البادرة الواحدة تصدر من صاحبها لا المتكثرة المتكررة وقد صدر عن الثانى من هذه الهنات الشىء الكثير جدّا ونحن قد ذكرنا طرفا من ذلك فى فصل السقيفة الآنف وبسطنا الواسع منه فى كتابينا الحياة الروحية ونتائج الفكر وقد اعترف كافّة المؤرخين من هواته انه كان كثير التناقض فربما يفتى فى المسألة الواحدة بفتاوى عديدة ينتقل فيها من واحدة الى اخرى بأسرع وقت ولاغرابة اذا كان مثل الصاحب لهذا الخليفة مثل راكب الناقة الصعبة ان أشنق لها خرم أنفها وان واتاها فى رغبتها تقحمت به فى المهاوى والمهلكات فصاحب هذا الانسان الشرس الضيق الحوصلة اذا التزم على نفسه تنبيهه فى كافة انحرافاته جرّبه ذلك طبعا الى العداء والخصومة وان سايره على علاّته وسكت عن انحرافاته فقد اورد الناس المأمومين به فى متاهات وضلالات وذلك لا يجوز قطعا لافى عالم الدين ولا فى عالم السياسة ولذلك

قال عليه السلام فمنى الناس لعمر اللّه بخبط وشماس وتلوّن واعتراض اى انّ الناس عالمهم و جاهلهم فى مدّة خلافة هذا الانسان ابتلوا بالمتناقضات من اقواله وافعاله التى يجريها بالقهر عليهم ولا حيلة لهم فى ذلك لضبط كفة الامور عليهم :ولا شكّ ان هضم هذه الخطة الخشناء مع طول زمانها ممّا يحتاج الى صبر وتحمّل واسعين وفى ذلك من المحنة وشدّتها على الحسّاس مالا يخفى أثره .

قوله حتى اذا مضى لسبيله جعلها فى جماعة زعم انّى أحدهم فياللّه وللشورى متى اعترض الريب فىّ مع الأوّل منهم حتى صرت اقرن الى هذه النظائر لكننى اسففت اذ أسفوا وطرت اذ طاروا فصغى رجل منهم لضغنه ومال الآخر لصهره مع هن وهن :وكما اسلفنا معنى قوله مضى لسبيله انه مضى لمصيره الذى لابدّ أن يصل اليه بنتائجه فانه من يعمل سوء يجز به هذا وكما تناقض الأوّل فى قوله اقيلونى فلست بخيركم وفعله حيث ادلى بها الى الثانى مباشرة من دون مخايرة ومشاورة للناس عموما اوخصوصا كذلك تناقض خليفته على منصته بين قوله لااتحمّلها حيّا وميّتا وفعله حيث جعلها فى ستة زعم انهم من اهل الجنة ناقلا ذلك عن رسول اللّه ومع ذلك لم يخل احدهم من عيب وسمه به كما لم يحرّر هذا الانتخاب من الهنات فقرّر انه ان استقرّ امر ثلاثة وابى عليهم الثلاثة الباقون فكونوا مع الثلاثة الذين فيهم عبد الرحمن بن عوف وطبعا ليس الهدف من ذلك الاّ اخراج علىّ بن ابى طالب بتلويح شبيه بالتصريح وتخصيصها بالثالث بنظير من ذلك خصوصا مع ضمّ ما يزعمه من تفرّس فيه الى ذلك حيث قال مخاطبا لعثمان كأنى بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبّها اياك فحملت بنى اميّة وبنى ابى معيط على رقاب الناس ـ الى آخر ماقال ـ فان فى هذه الكلمة نصّا عليه والفاتا لنظر الباقين فى التمايل اليه :وقد أخطأ فى

لون انتخابه هذا من عدّة نواحـى ·

(الناحية الأولى) انه ليس بانتخاب عام تلحظ فيـه آراء اكثريـة المسلميـن ·

(الناحية الثانية) انه ليس بانتخاب تدور رحاه على اهل الكفآت فان فى الصحابة من نظير طلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن وعثمان عشـرات كأبى ذر وعمّار والمقداد وغير اولئك ممنّ يطول بعدهم الموضوع فلـم لـم يشركهم فى هذا المؤتمر وقد روى لامير المؤمنين فى هذا المعنى قوله ·

فان كنت فى الشورى ملكت امورهـم
فكيف بهـذا والمشيرون غيّـب

وان كنت بالقربى حججت خصيمهم
فغيرك اولى بالنبـىّ وأقـرب

(الناحية الثالثة) انه لو انتخب عثمان مباشرة كما انتخبه الاول كذلك لقلّت جملة من المحاذير والأخطاء على انّ هدفه كان هو ذلك من بـادء الأمر ولكن اعوجاج السليقة هو الذى دعاه الى هذا الأكل من القفاء ان كنّا احسنّا الظن به وهيهات بدليل مانسوقه عن واقعة الشورى بصورة مكبرة عن عثمانى النزعة وهو الجاحظ ·

فقد ذكر ابن ابى الحديد (ج١ ص ٦٢ من شرحه على النهج) ان صورة هذه الواقعة هى ان عمر لمّا طعنه ابو لؤلؤة وعلم انه ميّت استشار فيمـن يوليه الأمر بعده فأشير عليه بابنه عبد اللّه ·

اقول نحن لانعلم ايّ عاقل اشار عليه بذلك فهل أصاب الأمة قحـط فى الرجال حتى اشير عليه بهذا الانسان أفليس عن هذا الضعيـف الذى بايع رجل الحجّاج بن يوسف لعبد الملك بن مروان وأبى ان يمسح يده بيد علىّ بن ابى طالب مندوحة فى غيره فليت شعرى الا تساوى يد علـىّ

رجل الحجّاج قال ــ فقال لاها اللّه اذا لا يليها رجلان من ولد الخطاب حسب عمر ماحمل وحسب عمر ما احتقب لاها اللّه لا اتحمّلها حيّا وميّتا .

اقول ــ وما المانع من أن يليها مأة من آل الخطاب اذا كانوا اصحاب كفاآت يعملون بصالح المسلمين : وعمر ان كان ادّى حق ما احتقبه وما تحمله فلا وقع لقوله حسب عمر ماحمل حسب عمر ما احتقب وان كان تحمّل ابلاغ رسالة ليس هو من أهلها فقد تورط وأورط غيره وحساب مثل هذا معلوم فى قوانين العدل هذا والذى يقول لا اتحملها حيا وميتا كيف ساغ له ان يستشير فيمن يوليه الأمر بعده .

قال ــ ثم قال ان رسول اللّه (ص) مات وهو راض عن هؤلاء الستة من قريش على وعثمان وطلحة والزبير وسعد وعبد الرحمن بن عوف .

اقول ان كان ملاك عمر فى افراد الشورى من مات رسول اللّه وهوراض عنه فأولئك كثيرون نطقت بذلك الآثار المروية عن رسول اللّه فى حقّهم كأبى ذر وعمّار والمقداد وجملة آخرين سواهم فلم لم يدخلهم فى هذه الشورى حتى تكون أحكم فى نتائجها اذن فما الذى اوجب تخصيص من ذكره دون غيره وما الذى أجاز له هذا التبعيض من غير مسوّغ .

قال ــ وقد رأيت أن اجعلها شورى بينهم ليختاروا لأنفسهم .

اقول انت يارجل قد تبرأت بلسانك منها فقلت لا اتحملها حيا وميتا فما دخالتك الآن فى ذلك مضافا الى أن هؤلاء الستة ليسوا وكلاء عن الأمّة حتى يكون اختيارهم لانفسهم حجة على الناس .

قال ــ ثم قال ان استخلف فقد استخلف من هو خير منّى يعنى ابا بكر وان اترك فقد ترك من هو خير منّى يعنى رسول اللّه : اقول مع صرف النظر عن بيعة الغدير وما سبقها ولحقها وشهود عمر لذلك كلّه فأن تأسيه برسول اللّه فى ترك الاستخلاف وجعل الناس احرارا لأنفسهم فى

اختيار من يولونه امورهم اقرب لأطاعة القرآن حيث يقول لكم فى رسول اللّه اسوة من تأسيه بأبى بكر فان أبا بكر وان كان خيرا من عمر لكنه لا يعدل رسول اللّه بالضرورة .

قال ـ ثم قال ادعوهم لى فدعوهم فدخلوا عليه وهو ملقى على فراشه يجود بنفسه فنظر اليهم وقال أكلكم يطمع فى الخلافة بعدى فوجموا فقال لهم ثانية فأجابه الزبير وقال ما الذى يبعدنا منها وليتها انت فقمت بها ولسنا دونك فى قريش ولا فى السابقة ولا فى القرابة .

اقول ان صحّ انهم وجموا فالوجوم يكون على أنحاء فمنه ما يكون عن استغراب ماحق ولا ريب انّ عليا يستغرب هذه الكلمة تساق الى مثله من انسان يراه اقلّ قدرا منه فى عامّة الصلاحيات ومنه ما يكون عن عجز شأن عبد الرحمن وعثمان واما جواب الزبير فله وقعه فان الذى يحتج يوم السقيفة بانه من اقرباء النبىّ واولياءه دافعا للخلافة عن خصمه الأنصارى وجلبها لنفسه جدير بأن يجاب بأقل من هذا الجواب: وقول الجاحظ عقيب كلمة الزبير: واللّه لولا علمه ان عمر يموت فى مجلسه ذلك لم يقدم على أن يفوه من هذا الكلام بكلمة ولا أن يتنفس منه بلفظ: وان ساقه مساقا يعطى عظمة عمر فى حياته الاّ انه الى ذمّه اقرب منه الى مدحه فان الخليفة الدينى لا يكون جبّارا على كل حال ومع كل احد بل من وظيفته أن يتأسى برسول اللّه الذى وسع المنافقين حلما فضلا عن المؤمنين هذه الصفة التى استوجبت مدحه بلسان القرآن الكريم حيث قال تعالى وانك لعلى خلق عظيم .

قال ـ فقال عمر أفلا اخبركم عن انفسكم قالوا قل فأنّا لو استعفيناك لم تعفنا .

اقول هنا يتجلّى بالرجل خبثه وحقده واعتزازه بنفسه اكثر ممّا يستحق

فان هذه الكلمة منه مشعرة بما يكون ورائها من شرّ نظير قول الشاعر :

ان التى ضربت بيتا مهاجرة بكوفة الجند غالت وُدّها غول

قال ــ فقال امّا انت يازبير فوعق لقس مؤمن الرضا كافر الغضب يوماانسان ويوما شيطان ولعلها لو افضت اليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مدّ من شعير أفرأيت ان افضت اليك فليت شعرى من يكون للناس يوم تكسون شيطانا ومن يكون يوم تغضب أما وما كان اللّه ليجمع لك امر هذه الأمّة وانت على هذه الصفة : .

اقول ان صحّ فى الزبير مانسبه اليه فقد اخرجه عن صلاحية الأستخلاف فكيف يراه احد أساطين الخلافة والصالحين لها .

قال ــ ثم اقبل على طلحة وكان له مبغضا منذ قال لأبى بكر يوم وفاته ماقال فى عمر : اقول نحن لانضايق عمر أن يتأثر من مقالة طلحة فى حقه ذلك اليوم فأن النفوس كلّها تتأثر من قول مالا يرضى فى حقّها وان كان القول حقا الآ ان ذلك لايجوز ان يكون مثار حقد فى المؤمن يطول بقاؤه هذه المدة الطويلة على ان طلحة لم يقل فى عمر يومذاك الآ انه خشن شديد قليل الأناة لا يستطيع معاشرة الأمة بالمعروف .

قال ــ فقال له اقول ام أسكت قال قل فانك لاتقول من الخير شيئا ــ اقول ضرورى من طلحة ان يقول له هذا القول بعد قول عمر له اقول ام اسكت فانه تهديد صريح وتعبير خشن لا يشفّ الآ عن قول سوء بعده .

قال ــ قال اما انى اعرفك منذ أصيبت اصبعك يوم احد والبا بالذى حدث لك .

اقول يحقّ لطلحة ان يكون والبا بالذى حدث له امام عمر فان طلحة ان اصيبت اصبعه فى احد مجاهدا عن رسول اللّه فالرجل لم يصب منه حتى ظفره لافى احد وحدها بل فى جميع المشاهد .

قال ــ ولقد مات رسول اللّه ساخطا عليك بالكلمة التى قلتها يوم أنزلت آية الحجاب: قال الجاحظ بعد الكلمة المذكورة ان طلحة لما أنزلت آية الحجاب قال بمحضر ممنّ نقل عنه الى رسول اللّه ما الذى يغنيه حجابهنّ اليوم وسيموت غدا فننكحهنّ قال الجاحظ لو قال لعمر قائل انت قلت ان رسول اللّه مات وهو راض عن هؤلاء الستة فكيف تقول الآن لطلحة انه مات ساخطا عليك للكلمة التى قلتها لكان رماه بمشاقصه ٠

اقول نعم يحق ان يكون رماه بمشاقصه واثبت عليه التناقض الصريح والتدافع الواضح فى اقواله حيث قال مات وهو راض عن هؤلاء الستة من قريش وهو الآن يقول ولقد مات رسول اللّه ساخطا عليك ياطلحة وانت يازبير يوما شيطان كافر الغضب ويوما انسان مؤمن الرضا وما كان اللّه ليجمع لك امر هذه الأمة وانت على هذه الصفة فان انطباق هذه المقالة من عمر على هؤلاء ممّا يسلب صلاحيتهم للأستخلاف على امر الأمّة وهو عندما دعاهم رآهم صالحين لها فأنّى يكون هذا من ذاك ٠

قال ــ ثم أقبل على سعد بن ابى وقّاص فقال انّما انت صاحب مقنب من هذه المقانب تقاتل به وصاحب قنص وقوس وأسهم وما زهرة والخلافة وامور الناس ٠

اقول ليست المقانب والاقواس والأسهم بعار على صاحبها اذا كان يؤدى حقّها فى تركيز المهمّات كما ان الزهرية وغيرها من العناصر ليست بذات رخالة فى الأمور الأيجابية اذا كان صاحبها من اهل الصلاحيات واذا كان المطلب فى نظر الرجل كما رآه فمن العبث دعوة سعد الى هذه الشورى وهو خارج منها للعلل التى فيه ٠

قال ــ ثم اقبل على عبد الرحمن بن عوف فقال وامّا انت ياعبد الرحمن فلو وزن نصف ايمان المسلمين بايمانك لرجح ايمانك به ولكن ليس يصلح

هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك وما زهرة وهذا الأمر .

اقول لا وقع لقوله وما زهرة وهذا الأمر كما اسلفناه لكن قوله ليس يصلح هذا الأمر لمن فيه ضعف كضعفك حق لاغبار عليه واذا كان كذلك كان من الغلط استصلاحه لهذا الأمر الذى هو ليس من أهله .

قال ــ ثم أقبل على علىّ فقال للّه انت لولا دعابة فيك اما واللّه لئن وليتهم لتحملنّهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء .

اقول ان الانسان الجافّ الشديد بحسب انطلاق الوجه شذوذا وما سوى العبوس هزلا وحقّ لابن الخطّاب اليابس المزاج ان يرى ابن أبى طالب فى مرونته صاحب دعابة وما علىّ هذا اللاهوتى العظيم الزاهد العابد الورع المتقى المحتاط البطل المغوار معلّم الانسانية ومربّى البشرية والدعابة التى هى منقصة فى الأنسان ذكره وانثاه ويكفى عليا قول عمر فيه هذا الانسان الذى لم يسلم من لسانه حتّى اصدقاؤه واحباؤه واهل هواه للّه انت أما واللّه لئن وليتهم لتحملنّهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء وهذه الكلمات لها وزنها الثقيل فى وجدان الصلاحيات لاداء رسالة السماء فضلا عن ادارة امور اهل الارض واذا كان علىّ فى نظر عمر كذلك فما الذى دعاه الى تشويش الامور وخلق الحوادث أما كان من الحق ان يكفر عن سيئآته السالفة ببّت رأيه فى هذا الانسان الصالح الذى اذا ولى امر الأمّة حملهم على الحق الواضح والمحجة البيضاء وهل بعد هذا الملاك للانسان الكامل ملاك يتصور :ولكنها الهنات .

قال ــ ثم اقبل على عثمان وقال هيها اليك كأنّى بك قد قلدتك قريش هذا الأمر لحبّها اياك فحملت بنى اميّة وبنى ابى معيط على رقاب الناس وآثرتهم بالفىء فسارت اليك عصابة من ذؤبان العرب فذبحوك على فراشك ذبحا :قال ابن ابى الحديد ذكر هذا الخبر كلّه شيخنا ابوعثمان

فى كتاب السفيانية وذكره جماعة غيره فى باب فراسة عمر ٠

اقول قول عمر كأنى بك قد قلدتك قريش هذا الأمر ليس بتفرس فى عثمان ولكن المقدمات التى اتخذها فى نضد مجارى الشورى تؤدى اليه كما ستقرأ لا لأن قريشا تحب عثمان بن عفان اكثر من حبّها لغيره واذا كان عمر يعرف عثمان بأنه يحمل بنى امية وبنى ابى معيط على رقاب الناس ويؤثرهم بالفيء فكيف استساغ ان يرتكب هذا الانحراف الواضح :والهناة التى نسبها لعثمان اهمّ من الوجهة الدينية والسياسية من كلّ هناة نسبها لغيره من اولئك الستة الذين تعرض لذكرهم ٠

قال ــ ثم قال ادعوا لى ابا طلحة الأنصارى فدعوه له فقال انظر ياابا طلحة اذا عدتم من حفرتى فكن فى خمسين رجلا من الانصار حاملى سيوفكم فخذ هؤلاء النفر بأمضاء الأمر وتعجيله واجمعهم فى بيت وقف باصحابك على باب البيت ليتشاوروا ويختاروا واحدا منهم فأن اتفق خمسة وابى واحد فاضرب عنقه وان اتفق اربعة وابى اثنان فاضرب اعناقهما وان اتفق ثلاثة وخالف ثلاثة فانظر الثلاثة التى فيها عبد الرحمن فارجع الى ماقد اتفقت عليه فان اصرّت الثلاثة الأخرى على خلافها فاضرب اعناقها وان مضت ثلاثة ايام ولم يتفقوا على امر فاضرب اعناق الستة ودع المسلمين يختاروا لأنفسهم ٠

اقول كل ماذكره الرجل فى هذا الفصل لامقيل له من الصحة فان اتفاق الأكثرية على واحد يصيّره خليفة بحكم قانون الاكثرية فما المجوزلقتل الواحد المتخلف او الأثنين المتخلفين نعم قد يجوّز ذلك لو حصل من طريق التخلف شغب وافساد وتعطيل لامور الناس بما يوجب خللا فى نظامهم وانهيارا لوضعهم ٠

ثم ماميز عبد الرحمن حتى تكون الثلاثة التى هو فيها ارجح كفة من

الثلاثة الاخرى واىّ منطق يساعد على ذلك ثم مامبّرر قتل الثلاثة المخالفة لجبهة عبد الرحمن اذا لم يحصل منها افساد لأمور الناس وتشويش لهدوئهم كما انه ماهو المبرّر لضرب اعناق الستّة اذا مضت الأيام المقررة ولم يحصل فيها انتخاب وارجعت امور المسلمين لأنفسهم ليختاروا من شاؤا :ان كلّ هذا يعد ثرثرة واثارة فتنة وقد حصل فى الخارج عيانا .

قال ــ فلما دفن عمر جمعهم ابو طلحة ووقف على باب البيت بالسيف فى خمسين من الانصار حاملى سيوفهم ثم تكلم القوم وتنازعوا فأول ماعمل طلحة انه اشهدهم على نفسه انه قد وهب حقه من الشورى لعثمان وذلك لعلمه ان الناس لا يعدلون به عليا وعثمان وان الخلافة لاتخلص له وهذا ن موجود ان فأراد تقوية امر عثمان واضعاف جانب على بهبة امر لاانتفاع له به ولاتمكّن له منه فقال الزبير فى معارضته وانا اشهدكم على نفسى انى وهبت حقّى من الشورى لعلّى وانما فعل ذلك لانه لما رأى عليا قد ضعف وانخذل بهبة طلحة حقّه لعثمان دخلته حمية النسب لانه ابن عمة امير المؤمنين وهى صفية بنت عبد المطلب وابو طالب خاله وانما مال طلحة الى عثمان لانحرافه عن على باعتبار انه تيمىّ وابن عم ابى بكر وقد كان حصل فى نفوس بنى هاشم من بنى تيم حنق شديد لأجل الخلافة وكذلك صار فى صدور بنى تيم على بنى هاشم وهذا امر مركوز فى طبيعة البشر خصوصا طينة العرب وطباعها والتجربة الى الآن تحقق ذلك .

اقول هذا طلحة الذى ساعد عثمان عاد بالأخرة وبالا عليه فلقد جدّ فى هلاكه وتفانى فيه وقد اطبق المؤرخون على ان مروان بن الحكم هو الذى رماه يوم الجمل باعتبار انه قاتل عثمان ومن اهمّ المجلبين عليه انظر لذلك حدّ الأقل ماكتبه ابن عبد البر وابن حجر العسقلانى ذاك فى الاستيعاب وهذا فى الأصابة فى ترجمتهما لطلحة ولا يقال مثل ذلك فى

الزبير بالنسبة الى على فان الزبير كما قال علىّ فيه مازال الزبير رجلا منّا حتى حرفه ابنه المشؤم عبد اللّه وكان ذلك قبل وصول نوبة الخلافة الى علىّ وكانت عداوة عبد اللّه بن الزبير لأهل البيت بألهام من خالته وهى من هى فى عداء علىّ والفاطميين جميعا .

قال فبقى من الستة اربعة فقال سعد بن ابى وقاص وانا قد وهبت حقى من الشورى لابن عمى عبد الرحمن وذلك لأنهما من بنى زهرة ولعلم سعد ان الأمر لا يتمّ له فلمّا لم يبق الاّ الثلاثة قال عبد الرحمن لعلىّ وعثمان ايكما يخرج نفسه من الخلافة ويكون اليه الاختيار فى الاثنين الباقيين فلم يتكلم منهما احد فقال عبد الرحمن اشهدكم اننى قد اخرجت نفسى من الخلافة على ان اختار احدكما فأمسكا فبدأ بعلى وقال له ابايعك على كتاب اللّه وسنة رسول اللّه وسيرة الشيخين ابى بكر وعمر فقال بل على كتاب اللّه وسنة رسوله واجتهاد رأيى فعدل عنه الى عثمان فعرض ذلك عليه فقال نعم فعاد الى علىّ فأعاد قوله فعل ذلك عبد الرحمن ثلاثا فلما رأى ان عليا غير راجع عمّا قاله وان عثمان ينعم له بالاجابة صفق على يد عثمان وقال السلام عليك يا امير المؤمنين فيقال ان عليا قال له واللّه مافعلتها الاّ لأنك رجوت منه ما رجا صاحبكما من صاحبه دقّ اللّه بينكما عطر فشم .

اقول هنا مقام الدين والورع والتقوى هنا مقام الحرّية والصراحة هنا مقام الأيمان الراسخ وتقديم الحق على الميل النفسى والهوى الشخصى ولو كان على بأقلّ من هذه المثابة التى بنى عليها لأنعم لعبد الرحمن بالاجابة ثم يكون بعد ذلك على اىّ لون اراد فكم أخذت العهود والمواثيق الكتبية على آخر تحقيق ممكن فكانت بعد أن تسنّم صاحبها عروش العظمة أبعد عن التحقق من كل شىء ولا نذهب بعيدا فهذا

عثمان الذى انعم لعبد الرحمن بالأجابة فعل الافاعيل التى لا يعرفها عهد الشيخين بالمرّة وكم ذكّره عبد الرحمن بذلك فسخر منه بل هجره وقاطعة وامر الناس ان لا يجالسوه فقد اورد الشارح المعتزلى فى شرحه على النهج (ج١ص ٦٥) فقال قال ابو هلال العسكرى فى كتاب الاوائل استجيبت دعوة علىّ (ع) فى عثمان وعبد الرحمن فما ماتا الاّ متهاجرين متعاديين ارسل عبد الرحمن الى عثمان يعاتبه وقال لرسوله قل له لقد وليّتك ماوليّتك من امر الناس وانّ لى لأمورا ماهى لك شهدت بدرا وما شهدتها وشهدت بيعة الرضوان وما شهدتها وفررت يوم احد وصبرت: ولمّا بنى عثمان قصره طمار الزوراء وصنع طعاما كثيرا ودعا الناس اليه كان فيهم عبد الرحمن فلما نظر الى البناء والطعام قال ياابن عفّان لقد صدّقنا عليك ماكنّا نكذّب فيك وانى استعيذ بالله من بيعتك فغضب عثمان وقال اخرجه عنى ياغلام فأخرجوه وامر الناس ان لا يجالسوه فلم يكن يأتيه احد الاّ ابن عباس كان يأتيه يتعلم منه القرآن والفرائض ومرض عبد الرحمن فعاده عثمان وكلّمه فلم يكلمه حتى مات ـ اهـ ـ .

وهكذا جرت الحوادث وتبانى هؤلاء على هضم المؤمنين المتقين ولا ريب ان موقف المؤمن حرج على كل حال فى اىّ زمان يفرض: ان اشتراط العمل بكتاب الله المنزل وسنة الرسول الذى ما ينطق عن الهوى فرض على الخليفة الشرعى وامّا سيرة الشيخين حتى لو كانا سالمين فى انفسهما من الهناة فليست بحجة على اىّ انسان الاّ من قلّدهما فى زمانهما وكانا اهلا للتقليد والحال ان السيرة المزبورة كان فيها من النقص الشرعى ماقرأت طرفا منه ونفس السيرتين لم تكونا متطابقتين فلم تكن افعال عمر موزونة بما فعله ابو بكر بواضح الضرورة ولم يكن الرجلان فى انفسهما اهلا للمرجعية الشرعية لنقصان اداة الأجتهاد فيهما فان الانسان الذى يكثر

عثاره واعتذاره عن بوادره ليس محلا للاجتهاد والورع فلا يكون اهلا للمرجعية وعلى فرض اهليته لذلك فانّما يكون حجة على العوام لاعلى الافاضل وعلىّ من لا يجوز له ان يقلّد لان التقليد فى الوظائف الشرعية حرام على من يملك قدرة استنباط الحكم من مدركه الشرعى وليس اشتراط العمل بسيرة الشيخين بغلط فى حقّ على فقط بل هو غلط حتّى فى حقّ عثمان اذا كان من اهل الصلاحيات لتسنّم هذه المنصة .

هذا ولاغرابة من علىّ اذا أقامه العجب وأقعده من جعل عمر مقام الخلافة فى جماعة امثال سعد وعبد الرحمن وعثمان وانه واحد منهم فان مقام علىّ ليجلّ عن أن يقرن بأبى بكر فضلا عن عمر فكيف صار قرينا لهؤلاء الذين قرأت عنهم ماعرفت من طريقه بعضا من هويّاتهم .

وكان قائلا يقول ياعلىّ اذا كنت ترن نفسك بما تعرف من جلالة قدرها فما الذى دعاك ان تحط من كيانها بنظمها فى سلك سعد وغير سعد ممّن لا يزنون القليل منك فهلاّ ربأت بها وانكمشت فى زاوية وان ضعت بهذا الانزواء كما ضاع الكثيرون ولكن الواقع فى خلاف ماذكره من هذا الأشكال لان اخلاء الميادين للناقصين ممّا يقتل الحق ويتلفه بالمرّة وما الناس فى اكثرهم الاّ جهلاء فأهمالهم مع الاوضاع التى يخلقها الانتهازيون ممّا يوجب اضاعتهم الى الأبد وفى ذلك مسؤلية ربّانية وجدانية على الانسان المحق الصريح وكلّ انهيار أصاب العالم فماهو الاّ نتيجة انكماش الافاضل واخلائهم الميادين للمردة من بنى آدم ولا يجوز للانسان الحساس ان يحسب الحساب كلّه لشرفه فان فى ذلك يأسا له بل يجب عليه ان يلقى دلوه فى الدلاء فعلّما تساعده المقادير فينجح واذا نجح اثّر اثره الكلّى وما هذه الحسنات التى نراها فى اوساط عالم المادة المظلم الاّ بقايا آثار الصالحين الذين توفقوا فى مجارى الحياة

فأفادوا أهلها بشيء من بضائعهم القيّمة وهذا السرّ هو الذى دعا عليا ان يسلك نفسه فى غير نظامها ويسفّ مع من أسفّ ويطير مع من طار: والرجل الذى مال لضغنه هو طلحة والذى مال لصهره هو عبد الرحمن فانه كان زوجا لامّ كلثوم بنت عقبة بن ابى معيط وهى اخت عثمان لأمه اروى بنت كريز والهنات التى ذكرها بقوله مع هن وهن هى ما اشرنا اليه فى غضون البحوث السالفة .

قوله عليه السلام الى أن قام ثالث القوم نافجا حضنيه بين نثيله ومعتلفه وقام معه بنو ابيه يخضمون مال اللّه خضمة الأبل نبتة الربيع الى أن انتكث فتله وأجهز عليه عمله وكبت به بطنته : ثالث القوم هو عثمان ابن عفّان الذى قرأنا شيئا عنه فى قصة الشورى وقد أحسن التعبير عنه امير البيان بما وصفه فانه اغرق فى الهنات هو وحاشيته وعبثوا فى مال اللّه وعباده ما شاؤا ان يعبثوا فانقلب الدور الذى كان اسلاميا بظاهره الى دور متفسخ ركيك لا وزن له ولا قيمة .

ذكر الشارح المعتزلى (فى شرحه على النهج ج١ ص٦٦) بعد قوله عليه السلام الى ان قام ثالث القوم : فقال وصحّت فيه فراسة عمر فانه اوطأ بنى امية رقاب الناس وولاّهم الولايات واقطعهم القطائع وافتتحت ارمينية فى أيّامه فأخذ الخمس كله فوهبه لمروان وطلب منه عبد اللّه بن خالد بن أسيد صلة فأعطاه اربعمائة الف درهم وأعاد الحكم بن ابى العاص بعد أن كان رسول اللّه (ص) قد سيّره ثم لم يردّه ابو بكر ولا عمر وأعطاه مائة الف درهم وتصدّق رسول اللّه بموضع سوق فى المدينة على المسلمين فأقطعه عثمان للحارث بن الحكم اخى مروان بن الحكم وأقطع مروان فدكا وقد كانت فاطمة عليها السلام طلبتها بعد وفاة ابيها (ص) تارة بالميراث وتارة بالنحلة فدفعت عنها وحمى المراعى حول المدينة كلها من مواشى

المسلمين كلهم الآ عن بنى امية وأعطى عبد اللّه بن سعد بن ابى سرح جميع ما أفاء اللّه عليه من فتح افريقية بالمغرب وهى من طرابلس الغرب الى طنجة من غير أن يشرك فيه احدا من المسلمين واعطى ابا سفيان بن حرب مأتى الف من بيت المال فى اليوم الذى أمر فيه لمروان بن الحكم بمأة الف من بيت المال وقد كان زوّجة ابنته امّ ابان فجاء زيد بن أرقم صاحب بيت المال بالمفاتيح فوضعها بين يدى عثمان وبكى فقال عثمان أتبكى ان وصلت رحمى قال لا ولكن ابكى لأنى اظنك اخذت هذا المال عوضا عمّا انفقته فى سبيل اللّه فى حياة رسول اللّه (ص) واللّه لو اعطيت مروان مأة درهم لكان كثيرا فقال الق المفاتيح يا ابن ارقم فانّا سنجد غيرك وأتاه ابو موسى بأموال من العراق جليلة فقسّمها كلّها فى بنى امية وأنكح الحارث بن الحكم ابنته عائشة فاعطاه مأة الف من بيت المال ايضا بعد صرفه زيد بن ارقم عن خزنه وانضمّ الى هذه الامور امور اخرى فقمها عليه المسلمون كتسيير ابى ذر الى الربذة وضرب عبد اللّه بن مسعود حتى كسرت اضلاعه وما أظهر من الحجاب والعدول عن طريقة عمر فى اقامة الحدود وردّ المظالم وكفّ الايدى العادية والانتصاب لسياسة الرعية وختم ذلك ماوجدوه من كتابه الى معاوية يأمره فيه بقتل قوم من المسلمين ـ اهـ

وقال ابو جعفر الطبرى فى سياق ما سبق كان عثمان مستضعفا طمع فيه الناس وأعان على نفسه بافعاله وباستيلاء بنى امية عليه وكان ابتداء الجرأة عليه ان ابلا من ابل الصدقة قدم بها عليه فوهبها لبعض ولد الحكم بن ابى العاص فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف فأخذها وقسمها بين الناس وعثمان فى داره فكان ذلك اوّل وهن دخل على خلافة عثمان وقيل بل كان اوّل وهن دخل عليه ان عثمان مرّ بجبلة بن عمرو الساعدى وهو فى نادى قومه وفى يده جامعة فسلّم فردّ القوم عليه فقال جبلة لم

تردّون على رجل فعل كذا وفعل كذا ثم قال لعثمان واللّه لأطرحنّ هذه الجامعة فى عنقك او لتتركن بطانتك هذه الخبيثة مروان وابن عامر وابن ابى سرح فمنهم من نزل القرآن بذمّه ومنهم من أباح رسول اللّه دمه فلمّا تكاثرت احداثه وتكاثر طمع الناس فيه كتب جمع من اهل المدينة من الصحابة وغيرهم الى من بالآفاق ان كنتم تريدون الجهاد فهلّموا الينا فأن دين محمد قد أفسده خليفتكم فاخلعوه .

وقد روى كل من روى السيرة من اصحاب الحديث على اختلاف طرقهم ان ابن مسعود كان يقول ليتنى وعثمان برمل عالج يحثو علىّ واحثو عليه حتى يموت الأعجز منى ومنه وقد روى عنه ايضا من طرق لا تحصى كثرة انه كان يقول ما يزن عثمان عند اللّه جناح ذبابة :وقد روى الواقدى وغيره ان ابن مسعود لمّا استقدم الى المدينة دخلها ليلة جمعة فلما علم عثمان بدخوله قال ايّها الناس انه قد طرقكم الليلة دويبة من تمش على طعامه يقئ ويسلح فقال ابن مسعود لست كذلك ولكنى صاحب رسول اللّه يوم بدر وصاحبه يوم بيعة الرضوان وصاحبه يوم الخندق وصاحبه يوم حنين قال وصاحت عائشة ياعثمان أتقول هذا لصاحب رسول اللّه فقال عثمان اسكتى ثم قال لعبد اللّه بن زمعة بن الاسود اخرجه اخراجا عنيفا فأخذه ابن زمعة فاحتمله حتى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعا من اضلاعه فقال ابن مسعود قتلنى ابن زمعة الكافر بأمر عثمان وقد روى محمد ابن اسحاق عن محمد بن كعب القرظى ان عثمان ضرب ابن مسعود اربعين سوطا فى دفنه ابا ذر .

وذكر ابن عبد البر فى ترجمة عمّار بن ياسر قال وللحلف والولاء اللذين بين بنى مخزوم وبين عمّار وابيه ياسر كان اجتماع بنى مخزوم الى عثمان حين نال من عمّار غلمان عثمان ما نالوا من الضرب حتى انفتق له فتق فى

بطنه وكسروا ضلعا من اضلاعه فاجتمعت بنو مخزوم وقالوا واللّه لئن مات لاقتلنا به احدا غير عثمان وعن عائشة قالت ما من اصحاب محمد (ص) أشاء ان اقول فيه الآ قلت الآ عمار بن ياسر فأنى سمعت رسول اللّه (ص) يقول ان عمّار بن ياسر حشى مابين اخمص قدميه الى شحمة اذنيه ايمانا ومن حديث خالد بن الوليد ان رسول اللّه قال من ابغض عمّارا ابغضه اللّه تعالى .

هذا وقد فعل عثمان بأبى ذر افعالا يتحاشى المؤمن ذكرها فى حق هذا المؤمن الغيور والمجاهد المغامر الى غير ذلك وقد ذكرنا كل ما اشرنا اليه فى (ج٢و٣من كتابنا الحياة الروحية) فليرجع اليه ولتطالع ثمة فصول اصيلة فى احداث عثمان وحالاته واحوال ولاته على ان كثرة الخوض فى هذه المطالب من اتلاف الوقت .

ان الظروف قد تشخص النسوان والخصيان فتجلسهم على عروش العظمة لكنهم ليسوا منها فى قليل ولاكثير وقد طلعت الحياة بألوان من ذلك كانت عبرة للمعتبر .

قوله فما راعنى الآ والناس كعرف الضبع الىّ ينثالون علىّ من كل جانب حتى لقد وطئ الحسنان وشقّ عطفاى مجتمعين حولى كربيضة الغنم .

لا شكّ ان عثمان لمّا قتل انفرج الوقت للأحرار المهذبين من الناس لأنهم كانوا يشاهدون وضعا سمجا وحياة مترهلة بالزعانف التى كانت تحكمهم والحكومة الفاسدة التى كانت تسيّرهم ولذلك استقذر الامام عليه السلام خلافة الاسلام على عظمتها فى حد نفسها لما لابسها من سخف تنبو عنه نفس المؤمن وتتجافى عن الدنو منه عاطفة الانسان السالم وقال لما أريد على البيعة بعد قتل عثمان :دعونى والتمسوا غيرى فأنا مستقبلون

امرا له وجوه وألوان لا تقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وان الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت واعلموا ان اجبتكم ركبت بكم ما أعلم ولم أصغ الى قول القائل وعتب العاتب وان تركتمونى فانا كأحدكم ولعلّى اسمعكم واطوعكم لمن ولّيتموه امركم وانا لكم وزيرا خير لكم منّى أميرا (نهج ابن ميثم ج٢ص ٣٨٥) .

وامّا طغام الناس ففى كل دور وتحت حاكمية ايّ انسان لا يعرفون من الحياة حلوا ولا مرّا لجفاف عواطفهم وتنزّل أفهامهم عن درك الصحيح من الفاسد ولذلك يكونون اداة اجراء لمنويات الفسدة والمردة من بنى آدم وهؤلاء هم الذين حالوا بين الأحرار وبين تحقيق أهدافهم العالية كما انهم هم الذين أصعدوا الساقطين على عروش الحاكميات برضخ القليل من الحطام او بالمواعيد الكاذبة وسرّ ذلك كلّه انهم لا يدركون للمنطق مفهوما ولا يقيمون للحرية وزنا والى الأبد سوف تكون الحياة كذلك لأن الاتصال بالحقيقة يحتاج الى عوامل مهمّة منها التوجه الى معرفتها وبعد ذلك توخّى الطرق الموصلة اليها ورياضة النفس على تحمّل المشاقّ فى طريقها وهذه كلّها مؤن ثقيلة ولا يجوز لنا ان نعتزّ بدنيانا الصناعية هذه فان الفهم الصناعى غير الفهم العلمى المعنوىّ فانك لتتصل بالميكانيكى الماهر فتجده اخا الحمّال فى مستوى معرفته بمعنويات وحيّثيات الحياة الحرّة وهذه دنيانا الصناعية الحاضرة على ماعبّت بالفنون المادية لا ترى للمعنويات فيها اقلّ اثر ولذلك تتغلب عليها حكومات انتهازية بصرف السفسطة ومعسول المواعيد وارتجال الأكاذيب وكل ذلك من اثر بعد افهامها عن مستوى الثقافة الصحيحة الراجعة لتربية الأرواح ومن هنا يعلم مدى ماتتأثر به عواطف الاحرار المهذبين من انبياء وأوصياء وعلماء ربّانيين ومحصلين فى مدرسة الروح فانها فى كل حركة وسكون لهؤلاء

الاحياء المالئين لسطوح الكرة الارضية البعيدين عن مستوى المعرفة الصحيحة تواجه ما يغيظ ارواحها ويحزّ بعواطفها ويؤثر فى نفوسها آثارا سيئة ولولا الصبر الذى تدرّعوا به وحسن التحمّل الذى راضوا انفسهم عليه لانكمشوا فى زوايا الخبايا وذابوا فى الآنات القصيرة من الزمان .

ان ثبات الأحرار فى ميادين الطغام من الناس واكثرهم كذلك من اعلا مقامات البطولة وأسمى ما يمكن من الشجاعة فان الصبر أمام ما تنبو العين عن رؤيته والسمع عن سماعه والروح المتحررة عن هضمه صبر عظيم ورياضة محرجة وتمرّن شاق ولهذا تقصر اعمار الحسّاسين وتطول بالطغام أعمارهم :ان الروح الحيّة كالوذيلة الكثيرة الأشتعال تتهافت فى ازمان قصيرة والعواطف المتحجرة البليدة كالوذيلة الخافتة يطول بتلاشيها الزمان وهو امر قد برهنت عليه الطبيعة والسيرة المتصافقة .

ومن هنا تعرف ان السرور الذى طفح على أسارير المتحررين من معاصرى على عليه السلام بوصول نوبة الخلافة اليه ماكان يقاس بمقياس لكثرته ووفرته ذلك لان أرواحهم قد اتصلت بمعشوقها الحقيقى وللاتصال بالمعشوق اثره البالغ وعن ذلك عبّر من قال :

ماجئتكم اسعى الى داركم ... الاّ وجدت الأرض تطوى لى
وما ثنيت العزم عن بابكم ... الاّ تعثرت بأذيالى

كما قال خزيمة ذو الشهادتين فى بيعة علىّ (ع) :

اذا نحن بايعنا عليا فحسبنا ... ابو حسن ممّا نخاف من الفتن
وفيه الذى فيهم من الخير كلّه ... ومافيهم بعض الذى فيه من حسن

وكما قال عبد الرحمن بن جعيل

لعمرى لقد بايعتم ذا حفيظة ... على الدين معروف العفاف موفقا
عليا وصىّ المصطفى وابن عمّه ... واوّل من صلّى اخا الدين والتقى

ذكر اليعقوبى (ج٢ص١٥٥ من تاريخه) عند تعرضه لبيعة علىّ فقال وقام قوم من الانصار فتكلّموا وكان اوّل من تكلم ثابت بن قيس بن شماس الانصارى وكان خطيب الانصار فقال واللّه ياامير المؤمنين لئن كانوا تقدموك فى الولاية فما تقدموك فى الدين ولئن كانوا سبقوك امس لقد لحقتهم اليوم ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك ولا يجهل مكانك يحتاجون اليك فيما لا يعلمون وما احتجت الى احد مع علمك .

ثم قام خزيمة بن ثابت الانصارى وهو ذو الشهادتين فقال ياأمير المؤمنين ماأصبنا لأمرنا هذا غيرك ولاكان المنقلب الاّ اليك ولئن صدقنا انفسنا فيك لأنت اقدم الناس ايمانا واعلم الناس باللّه واولى المؤمنين برسول اللّه لك مالهم وليس لهم مالك .

ثم قام صعصعة بن صوحان فقال واللّه ياامير المؤمنين لقد زينت الخلافة وما زانتك ورفعتها وما رفعتك ولهى اليك احوج منك اليها ـ الى غير ذلك ـ وقد استعرض الامام عليه السلام صورة هذا المعرض العظيم فى تقدم الناس الى بيعته وسرورهم بخلافته فقال :وبسطتم يدى فكففتها ومددتموها فقبضتها ثم تداككتم علىّ تداكّ الأبل الهيم على حياضها يوم وردها حتى انقطعت النعل وسقط الرداء ووطئ الضعيف وبلغ من سرور الناس ببيعتهم ايّاى ان ابتهج بها الصغير وهدج اليها الكبير وتحامل نحوها العليل وحسرت اليها الكعاب .

ولم يعرف التاريخ فى بيعة احد من الخلفاء ماعرف فى بيعة علىّ لأن محبوبيته كانت من صميم القلوب ولم تكن بيعته انتهازا ولا فلتة ولا قائمة بالرموز وان صادف زمانها تفككا فى العرى وانهيارا فى الوضع وانتكاسا فى المجارى العامّة وسقما فى المزاج الحيوى العام :وكم فى عوالم البشريّة منذ الزمان الأسبق من مساكين تحسب لنفسها فى المدعيات حسابا

وتعطى من نفسها فى المواقع الحساسة أسوأ الآثار وأخسّها فخذ مثلا انّا نرى عبد اللّه بن عمر يترفع عن وضع يده فى يد علىّ شيخ الأسلام والمسلمين وشيخ قريش كلها غير مدافع ويخضع للحجاج بن يوسف فيبايع رجله مكان يده ٠

روى ابو جعفر الاسكافى فى مناقضته للجاحظ (ج٣ص ٢٦٢ من الشرح الحديدى) ان ابن عمر امتنع عن بيعة علىّ وطرق على الحجاج بابه ليلا ليبايع لعبد الملك كيلا يبيت تلك الليلة بلا امام زعم لانه روى عن النبىّ (ص) انه قال من مات ولا امام له مات ميتة جاهلية وحتّى بلغ من احتقار الحجاج له ان اخرج رجله من الفراش فقال اصفق بيدك عليها ٠

وعن هذه الروحيات المتسفلة نطق علىّ عليه السلام لمّا بويع بالمدينة (ج١ص ٩٠ من النهج الحديدى) فقال: ذمتى بما اقول رهينة وانا به زعيم ان من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المثلات حجزته التقوى عن تقحم الشبهات الا وان بليتكم قد عادت كهيأتها يوم بعث اللّه نبيّكم (ص) والذى بعثه بالحق لتبلبلن بلبلة ولتغربلنّ غربلة ولتساطنّ سوط القدر حتى يعود اسفلكم أعلاكم وأعلاكم أسفلكم وليسبقنّ سابقون كانوا قصروا وليقصرن سبّاقون كانوا سبقوا واللّه ماكتمت وشمة وكذبت كذبة ولقد نبئت بهذا المقام وهذا اليوم الا وان الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها وخلعت لجمها فتقحمت بهم فى النار الا وان التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها وأعطوا ازمّتها فأوردتهم الجنة حق وباطل ولكل اهل فلئن أمر الباطل لقديما فعل ولئن قلّ الحقّ فلربّما ولعلّ ولقلّما ادبر شىء فأقبل ـ الى آخر ماقال سلام اللّه عليه ٠

وفى معنى قوله عليه السلام فما راعنى الاّ والناس كعرف الضبع الىّ: قوله فى فصل آخر ج١ص ٣٣٩ من النهج الحديدى: فتداكّوا علىّ تداك

الأبل الهيم يوم ورودها وقد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها حتى ظننت انهم قاتلى او بعضهم قاتل بعض لدىّ .

وقوله (ع) فى فصل سوى ذلك (نهج ابن ميثم ج٣ ص١٦٦) فأقبلتم الىّ اقبال العوذ المطافيل على اولادها تقولون البيعة البيعة قبضت يدى فبسطتموها ونازعتكم يدى فجذبتموها .

وروى الطبرى فى تاريخه (ج٥ ص١٥٢) بطريقه الى محمد بن الحنفية قال كنت مع ابى حين قتل عثمان فقام فدخل منزله فأتاه اصحاب رسول الله (ص) فقالوا ان هذا الرجل قتل ولا بدّ للناس من امام ولا نجد اليوم احدا احقّ بهذا الأمر منك فقال لا تفعلوا فانى اكون وزيرا خير من ان اكون اميرا فقالوا لا والله ما نحن بفاعلين حتّى نبايعك قال ففى المسجد فأن بيعتى لا تكون خفية ولا تكون الاّ عن رضا المسلمين فقال عبد الله بن عبّاس لقد كرهت أن يأتى المسجد مخافة أن يشغب عليه وابى هو الاّ المسجد فلمّا دخل دخل المهاجرون والأنصار فبايعوه ثم بايعه الناس الى غير ذلك مما ذكره الطبرى وغيره .

قوله (ع) فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت اخرى وقسط آخرون كانهم لم يسمعوا كلام الله حيث يقول: تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين: بلى والله لقد سمعوها ووعوها ولكنهم حليت الدنيا فى أعينهم وراقهم زبرجها .

يذكر ابن ابى الحديد عقيب الفصل الآنف عن علىّ (ع) فتداكّوا علىّ تداكّ الأبل الهيم ويقول الذى عليه اكثر الناس وجمهور ارباب السير ان طلحة والزبير بايعاه طائعين غير مكرهين ثم تغيّرت عزائمهما وفسدت نيّاتهما وغدرا به: ومن كلام له عليه السلام يعنى به الزبير فى حال اقتضت ذلك (ج١ ص٧٧ من النهج الحديدى) يزعم انه قد بايع بيده ولم يبايع

بقلبه فقد أقرّ بالبيعة وادّعى الوليجة فليأت عليها بأمر يعرف والاّ فليدخل فيما خرج منه :عقّب ابن ابى الحديد على ذلك فقال قال علىّ للزبير يوم بايعه انى لخائف ان تغدر بى وتنكث بيعتى قال لاتخافنّ فان ذلك لا يكون منّى ابدا فقال عليه السلام فلى اللّه عليك بذلك راع وكفيل قال نعم اللّه لك علىّ بذلك راع وكفيل ـ ثم قال ـ لمّا بويع علىّ كتب الى معاوية امّا بعد فان الناس قتلوا عثمان عن غير مشورة منّى وبايعونى عن مشورة منهم واجتماع فاذا اتاك كتابى فبايع لى وأوفد الىّ اشراف اهل الشام قبلك فلما قدم رسوله على معاوية وقرأ كتابه بعث رجلا من بنى عميس وكتب معه كتابا الى الزبير بن العوّام وفيه بسم اللّه الرحمن الرحيم لعبد اللّه الزبير أمير المؤمنين من معاوية بن أبى سفيان سلام عليك امّا بعد فأنى قد بايعت لك اهل الشام فأجابوا واستوسقوا كما يستوسق الحلب فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك اليهما ابن ابى طالب فانه لا شيء بعد هذين المصرين وقد بايعت لطلحة بن عبيد اللّه من بعدك فأظهرا الطلب بدم عثمان وادعوا الناس الى ذلك وليكن منكما الجدّ والتشمير أظفركما اللّه وخذل مناوئكما فلما وصل هذا الكتاب الى الزبير سرّ به وأعلم به طلحة وأقرأه اياه فلم يشكّا فى النصح لهما من قبل معاوية واجمعا عند ذلك على خلاف علىّ ـ اهـ ـ .

والحديث فى هذا الباب واسع لا يهمّنا اكثر ممّا ذكرنا وعلى انّ أمير المؤمنين لم يرض مثل هذه الخلافة لنفسه للاقترانات التى كانت فى ظرفها كما صرّح بذلك فيما اسلفناه فقد كانت خلافة حرّة بعيدة عن العسف فى تشكيلها حاوية لشرائط الانتخاب الصحيح فى جريها لم يقسر فيها اىّ انسان على بيعة ولو كان اذلّ الناس وهذا اللون لم تصادفه بيعة السقيفة ولاعهد ابى بكر الى عمر ولا وضع الشورى وانت قد قرأت كل هذه

الفصول وتيك فايقاع المقارنة بينها من السهل المتيسر والواضح الصريح .

ولو انّ ابن ابى وقّاص وابن عمر ومن لفّ لفّهما أتيحوا لغير علىّ لخبطهم للبيعة خبطا ماعنه محيص كما فعل القوم فى بيعة السقيفة وكما فعلت الشورى وقد حرّرنا خلاصة كل ذلك .

ولكنّ هؤلاء صادفوا رجلا صالحا يتحرج عن مواقع الأثم المحتمل ويتورع عن القليل والكثير فى ذات اللّه ويتكرم عن هذه الأوضاع الموبوءة ويرى فيها من الدناءة مالا يلتئم مع نفسيته الكبيرة وروحيته العالية :على انّ هؤلاء النفر لم يستمرّوا على هذه المناعة وادعاء التورع وجلالة الشأن بل سرعان ماضرعوا لابن ابى سفيان ولنغله يزيد وللحجاج ابن يوسف بالنيابة عن عبد الملك بن مروان :وما ادرى هل يرى هذا النفر ان هذه الثفالة من بنى أمية اشرف مقاما من علىّ واهدى دينا ام اجترفهم الخوف فذلّوا نعم لاجرم كان الأمر كذلك والاّ لاختلط دم اضراسهم بلعاب افواههم من لكمات هؤلاء الامراء الذين لا يعرفون سعدا ولاابن عمر الاّ كما يعرفون اقلّ انسان فى الجامعة .

وامّا الناكثون والقاسطون والمارقون فهم اصحاب الجمل واتباع معاوية والخوارج ونسوق الحديث فى ذلك عن رسول اللّه (ص) فانه أخبر بهذه الأحداث قبل وقوعها بعشرات السنين راجع لذلك :ج٤ص٣٠٦ من نهج ابن ميثم :ففى فصل من الخطبة القاصعة قوله (ع) الا وقد امرنى اللّه بقتال اهل البغى والنكث والفساد فى الأرض فامّا الناكثون فقد قاتلت وامّا القاسطون فقد جاهدت وامّا المارقة فقد دوخّت :وروى الحاكم فى المستدرك (ج٢ص١٣٨) والخطيب فى تاريخ بغداد (ج١ص١٣٣) عن ربعى بن حراش ــ واللفظ للخطيب ــ قال سمعت عليا يقول وهوبالمدائن جاء سهل بن عمرو الى النبىّ (ص) فقال انه قد خرج اليك ناس من ارقائنا

ليس بهم الدين ـ تعيذا ـ فا ردد هم علينا فقال له ابو بكر وعمر صدق يارسول اللّه فقال رسول اللّه لن تنتهوا يامعشر قريش حتى يبعث اللّه عليكم رجلا امتحن اللّه قلبه بالايمان يضرب اعناقكم وانتم مجفلون عنه اجفال النعم فقال ابو بكر انا هو يارسول اللّه قال لا قال له عمر انا هو يارسول اللّه قال لا ولكنه خاصف النعل قال وفى كف علىّ نعل يخصفها لرسول اللّه (ص) :قال الحاكم صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبى ٠

وروى الحاكم فى المستدرك(ج٢ص١٤٧)عن انس ان النبىّ قال سيكون فى امّتى اختلاف وفرقة وسيجئ قوم يعجبونكم وتعجبهم انفسهم الذين يقتلونهم اولى باللّه منهم يحسنون القيل ويسيؤن الفعل يدعون الى اللّه وليسوا من اللّه فى شئ فاذا لقيتموهم فأنيموهم قالوا يارسول اللّه انعتهم لنا قال آيتهم الحلق والتسبيت يعنى استيصال التقصير قال والتسبيت استيصال الشعر :هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ولم يتعقبه الذهبى ٠

وروى الحاكم فى المستدرك(ج٣ص١١٥)عن طارق بن شهاب قال رأيت عليا على رحل رثّ بالربذة وهو يقول للحسن والحسين مالكما تحنّان حنين الجارية واللّه لقد ضربت هذا الأمر ظهرا لبطن فما وجدت بدّا من قتال القوم او الكفر بما انزل على محمد (ص) ٠

وروى الحاكم فى المستدرك(ج٣ص١١٥)عن الزهرى عن حمزة بن عبد اللّه انه بينما هو جالس مع عبد اللّه بن عمر اذ جاءه رجل من اهل العراق فقال ياابا عبد الرحمن انى واللّه لقد حرصت أن اتسمت بسمتك واقتدى بك فى امر فرقة الناس واعتزل الشرّ ما استطعت وانى اقرأ آية من كتاب اللّه محكمة قد اخذت بقلبى فأخبرنى عنها أرأيت قول اللّه عزّوجلّ

وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى امر اللّه فان فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا ان اللّه يحب المقسطين اخبرنى عن هذه الآية فقال عبد اللّه مالك ولذلك انصرف عنى فانطلق حتى توارى عنّا سواده واقبل علينا عبد اللّه بن عمر فقال ماوجدت فى نفسى من شيء فى امر هذه الآية ماوجدت فى نفسى انى لم اقاتل هذه الفئة الباغية كما امرنى اللّه عزّوجلّ : هذا باب كبير قد رواه عن عبد اللّه بن عمر جماعة من كبار التابعين .

اقول قد اخطأ ابن عمر فى صرفه للرجل السائل كما اخطأ هو فى تكليف نفسه مع هؤلاء البغاة والذى دعاه الى طرد الرجل العراقى والسكوت عن الجواب هو خوفه من ردّه عليه بانك اذا كنت تقرّ بهذه الآية وتقرّ مفادها الصريح فعلام قعدت عن بيعة علىّ وشهود مواقفه .

وروى الحاكم فى المستدرك (ج٣ص١١٩) عن الحسن عن ابى بكرة قال عصمنى اللّه بشيء سمعته من رسول اللّه (ص) لما هلك كسرى قال من استخلفوا قالوا بنته قال فقال لن يفلح قوم ولّوا امرهم امرءة قال فلما قدمت عائشة ذكرت قول رسول اللّه فعصمنى اللّه به : صحيح على شرط الشيخين .

وروى ايضا (المصدر نفسه) عن ام سلمة قالت ذكر النبىّ (ص) خروج بعض امّهات المؤمنين فضحكت عائشة فقال انظرى ياحميراء ان لاتكونى انت ثم التفت الى علىّ فقال ان وليت من امرها شيئا فارفق بها .

وروى ايضا (المصدر نفسه) عن عمرة بنت عبد الرحمن قالت لمّا سار علىّ الى البصرة دخل على امّ سلمة زوج النبىّ يودعها فقالت سر فى حفظ اللّه وفى كنفه فواللّه انك لعلى الحق والحق معك ولولا انى اكره ان أعصى اللّه ورسوله فانه امرنا ان نقرّ فى بيوتنا لسرت معك ولكن واللّه لأرسلنّ

معك من هو افضل عندى واعزّ علىّ من نفسى ابنى ٠

وروى ايضا (المصدر نفسه) عن عائشة انها قالت ودت أنى كنت ثكلت عشرة مثل الحارث بن هشام واني لم أسر مسيرى مع ابن الزبير ــ هذه الأحاديث الثلاثة كلها صحيحة ٠

وروى الحاكم (ص ١٢٠ من المجلد المذكور) عن قيس بن ابى حازم قال جاء الزبير الى عمر بن الخطاب يستأذنه فى الغزو فقال عمر اجلس فى بيتك فقد غزوت مع رسول اللّه قال فردّد ذلك عليه فقال عمر فى الثالثة او التى تليها اقعد فى بيتك فواللّه انى لأجد بطرف المدينة منك ومن اصحابك ان تخرجوا فتفسدوا على اصحاب محمّد (ص) :صححه الحاكم والذهبى جميعا ٠

اقول امّا علىّ فقد صرّح له ولصاحبه عندما استأذناه للعمرة انّهما لا يريدان الاّ الغدر به ولكنه تذمّم من منعهما كيلا يقال ان عليا لم يضع رجله فى غرز الركاب حتى حجر على اصحابه كل حركة ٠

وروى الحاكم (ج٣ص ١٢٢ وص ١٢٣) عن ابى سعيد قال كنّا مع رسول اللّه فانقطعت نعله فتخلف علىّ يخصفها فمشى قليلا ثم قال ان منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله فاستشرف لها القوم وفيهم ابو بكر وعمر قال ابوبكر انا هو قال لا قال عمر انا هو قال لا ولكن خاصف النعل يعنى عليا فأتيناه فبشّرناه فلم يرفع به رأسه كأنه قد كان سمعه من رسول اللّه (ص) :هذا حديث صحيح على شرط الشيخين واقرّه الذهبى كما هو ٠

وروى الحاكم ايضا (ج٣ص ١٢٤) عن ابى ثابت مولى ابى ذر قال كنت مع علىّ يوم الجمل فلما رأيت عائشة واقفة دخلنى بعض ما يدخل الناس فكشف اللّه عنى ذلك عند صلاة الظهر فقاتلت مع أمير المؤمنين فلما فرغ

ذهبت الى المدينة فأتيت امّ سلمة فقلت انى والله ماجئت اسأل طعاما ولا شرابا ولكنى مولى لأبى ذر فقالت مرحبا فقصصت عليها قصتى فقالت اين كنت حين طارت القلوب مطائرها قلت الى حيث كشف الله ذلك عنّى عند زوال الشمس قالت احسنت سمعت رسول الله يقول علىّ مع القرآن والقرآن مع على لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض :صححه الحاكم والذهبىّ جميعا .

وروى الحاكم ايضا (ج٣ص١٢٦) عن عكرمة عن ابن عباس قال كان علىّ يقول فى حياة رسول الله (ص) ان الله يقول أفأن مات او قتل انقلبتم على اعقابكم والله لاننقلب على اعقابنا بعد اذ هدانا الله والله لئن مات اوقتل لأقاتلنّ على ماقاتل عليه حتى اموت والله انى لأخوه ووليّه وابن عمّه ووارث علمه فمن احقّ به منّى :اقرّ الذهبى كما هو .

وروى الحاكم (ج٣ص١٣٩) عن عتاب بن ثعلبة حدثنى ابو أيوب الأنصارى فى خلافة عمر بن الخطاب قال أمر رسول الله (ص) علىّ بن ابى طالب بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين :وروى (ص ١٤٠) عن الأصبغ ابن نباته عن ابى ايوب الانصارى قال سمعت النبىّ (ص) يقول لعلىّ ابن ابى طالب تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين بالطرقات والنهروانات والشعفات قال ابو ايوب قلت يارسول الله مع من نقاتل هؤلاء قال مع علىّ ابن ابى طالب .

وروى عن ابى ادريس الأودى عن علىّ قال قال ان ممّا عهد الىّ النبىّ (ص) ان الأمة ستغدر بى بعده :هذا حديث صحيح الأسناد وأقرّه الذهبى كما هو .

وراجع لهذه المضامين وامثالها منتخب كنز العمّال للمتقى الهندى (ج٥ص٣٣ و٣٤ و٣٦ و٣٧ و٣٨ و٤٥) والخصائص للنسائى وذخائر العقبى

(ص ١١٠ و ٧٦) والبداية والنهاية لابن كثير (ج٧ص ٣٠٤) وما بعدها وغير ذلك من كتب الحديث .

وذكر المسعودي في تاريخه مروج الذهب (ج٢ص ٣٦١) فقال وكان ممنّ شهد صفين مع علىّ من اصحاب بدر سبعة وثمانون رجلا منهم سبعة عشر من المهاجرين وسبعون من الأنصار وشهد معه ممنّ بايع تحت الشجرة وهي بيعة الرضوان من المهاجرين والانصار من اصحاب رسول الله (ص) تسعمائة وكان جميع من شهد معه من الصحابة الفين وثمانمأة ـ اهـ ـ .

وقال اليعقوبي في تاريخه (ج٢ص ١٦٤) وكان مع علىّ يوم صفّين من أهل بدر سبعون رجلا وممنّ بايع تحت الشجرة سبعمائة رجل ومن سائر المهاجرين والانصار اربعمائة رجل .

وقال ابن حجر في الأصابة (ج٢ص ٣٨١) عند تعرضه لترجمة عبد الرحمن بن ابزى الخزاعي قال ابن السكن استعمله النبىّ (ص) حتى يقول واسند من طريق جعفر بن ابى المغيرة عن عبد الله بن عبد الرحمن بن ابزى قال شهدنا مع علىّ ممنّ بايع بيعة الرضوان تحت الشجرة ثمانمأة نفس بصفين فقتل منّا ثلاث مأة وستون نفسا .

وروى ابن عبد البر (ج٢ص ٣٣٧) من الاستيعاب: في ترجمته لابن عمر بطرق عديدة عن حبيب بن ابى ثابت عن عبد الله بن عمر قال ماآسى على شيء الاّ انى لم اقاتل مع على الفئة الباغية: وروى عن ابى بكر بن الجهم قال سمعت ابن عمر يقول ماآسى على شيء الاّ تركى قتال الفئة الباغية مع علىّ .

وقال (ج٢ص ٤٧٢ من الاستيعاب) عند ترجمته لعمّار بن ياسر: روى الأعمش عن ابى عبد الرحمن السلمى قال شهدنا مع على صفين فرأيت

عمّار بن ياسر لا يأخذ فى ناحية ولا واد من اودية صفين الاّ رأيت اصحاب محمّد (ص) يتبعونه كأنه علم لهم وسمعت عمّارا يقول يومئذ لهاشم بن عتبة ياهاشم تقدّم الجنة تحت البارقة اليوم القى الأحبة محمدا وحزبه واللّه لو هزمونا حتّى يبلغوا بنا سعفات هجر لعلمنا انّا على الحق وانهم على الباطل ثم قال .

نحن ضربناكم على تنزيله والیوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله
او يرجع الحق الى سبيله

قال فلم ار اصحاب محمّد (ص) قتلوا فى موطن ماقتلوا يومئذ وقال ابو مسعود وطائفة لحذيفة حين احتضر وقد ذكر الفتنة اذا اختلف الناس بمن تأمرنا قال عليكم بابن سمية فأنه لن يفارق الحق حتى يموت او قال فانه يدور مع الحق حيث دار .

فائدة قال ابن عبد البر (ج٤ص ١١٧ من الاستيعاب) عند ما ترجم لأبى الطفيل عامر بن واثلة وكان فاضلا عاقلا حاضر الجواب فصيحا متشيعا فى علىّ ويفضله قدم ابو الطفيل يوما على معاوية فقال له كيف وجدك على خليلك ابى الحسن قال كوجد امّ موسى على موسى واشكو الى اللّه التقصير وقال له معاوية كنت فيمن حصر عثمان قال لا ولكن كنت فيمن حضره قال فما منعك من نصره قال انت فما منعك من نصره اذ تربصت به ريب المنون وكنت مع اهل الشام وكلهم تابع لك فيما تريد فقال له معاوية او ماترى طلبى لدمه نصرة له قال بل ولكنك كما قال اخو جعف :

لا الفينّك بعد الموت تندبنى وفى حياتى مازودتنى زادا

هذا :وقال ابن ابى الحديد (ج٢ص ٧٧ من شرحه على الذهج) قال كل من صنّف فى السير والأخبار ان عائشة كانت من اشدّ الناس على عثمان

حتى انها اخرجت ثوبا من ثياب رسول اللّه (ص) فنصبته فى منزلها وكانت تقول للداخلين اليها هذا ثوب رسول اللّه لم يبل وعثمان قد أبلى سنته : قالوا اول من سمّى عثمان نعثلا عائشة والنعثل الكثير شعر اللحية والجسد وكانت تقول اقتلوا نعثلا قتل اللّه نعثلا .

وروى المدائنى فى كتاب الجمل قال لمّا قتل عثمان كانت عائشة بمكة وبلغها قتله وهى بشراف فلم تشك فى انّ طلحة هو صاحب الأمر وقالت بعدا لنعثل وسحقا ايه ذا الاصبع ايه ابا شبل ايه يا ابن عم لكأنى انظر الى اصبعه وهو يبايع له حتّوا ودعدعوها :قال وقد روى من طرق مختلفة ان عائشة لمّا بلغها قتل عثمان وهى بمكة قالت أبعده اللّه ذلك بما قدمت يداه وما اللّه بظلام للعبيد :قال وقد روى قيس بن ابى حازم انه حج فى العام الذى قتل عثمان وكان مع عائشة لمّا بلغها قتله فتحمل الى المدينة قال فسمعتها تقول فى بعض الطريق ايه ذا الاصبع واذا ذكرت عثمان قالت أبعده اللّه حتى اتاها خبر بيعة علىّ فقالت لوددت انّ هذه وقعت على هذه ثم أمرت بردّ ركائبها الى مكة فردت معها ورأيتها فى سيرها الى مكة تخاطب نفسها كأنها تخاطب احدا قتلوا ابن عفان مظلوما فقلت لها ياامّ المؤمنين ألم اسمعك آنفا تقولين أبعده اللّه وقد رأيتك قبل اشدّ الناس عليه واقبحهم فيه قولا فقالت لقد كان ذلك ولكنى نظرت فى امره فرأيتهم استتابوه حتّى اذا تركوه كالفضة البيضاء اتوه صائما محرما فى شهر حرام فقتلوه .

وقال ابو مخنف فى سياق ما سبق حسب حكاية الشارح المعتزلى عنه وروى من طرق اخرى انها قالت لمّا بلغها قتله أبعده اللّه قتله ذنبه وأقاده اللّه بعمله يامعشر قريش لا يسومنكم قتل عثمان كما سام احمر ثمود قومه ان أحقّ الناس بهذا الأمر ذو الاصبع فلما جاءت الاخبار ببيعة علىّ

(ع) قالت تعسوا تعسوا لا يردّون الأمر فى تيم ابدا .

وجاء فى هذا الباب عن امير المؤمنين عليه السلام قوله انى اخبركم عن امر عثمان حتى يكون سمعه كعيانه ان الناس طعنوا عليه فكنت رجلا من المهاجرين اكثر استعتابه واقلّ عتابه وكان طلحة والزبير اهون سيرهما فيه الوجيف وأرفق حدائهما العنيف وكان من عائشة فيه فلتة غضب فأتيح له قوم فقتلوه .

وقال ابن ابى الحديد فى سياق ما سبق لما عزمت عائشة على الخروج الى البصرة طلبوا لها بعيرا آيدا يحمل هودجها فجائهم يعلى ابن امية ببعيره المسمّى عسكرا وكان عظيم الخلق شديدا فلما رأته اعجبها وانشأ الجمّال يحدّثها بقوته وشدته ويقول فى اثناء كلامه (عسكر) فلمّا سمعت هذه اللفظة استرجعت وقالت ردّوه لاحاجة لى فيه وذكرت حيث سألت ان رسول اللّه (ص) ذكر لها هذا الأسم ونهاها عن ركوبه وامرت ان يطلب لها غيره فلم يوجد لها ما يشبهه فغيّر لها بجلال غير جلاله وقيل لها قد أصبنا لك اعظم منه خلقا واشدّ قوّة وأتيت به فرضيت قال ابو مخنف وارسلت الى حفصة تسألها الخروج والمسير معها فبلغ ذلك عبد اللّه بن عمر فأتى اخته فعزم عليها فأقامت وحطّت الرحال بعد ما همّت .

وقال ابو مخنف فى سياق ما سبق لما انتهت عائشة فى مسيرها الى الحوأب وهو ماء لبنى عامر بن صعصعة نبحتها الكلاب حتى نفرت صعاب أبلها فقال قائل من اصحابها الا ترون ما اكثر كلاب الحوأب وما اشدّ نباحها فأمسكت زمام بعيرها وقالت وانها لكلاب الحوأب ردّونى ردّونى فانى سمعت رسول اللّه (ص) يقول وذكرت الخبر فقال لها قائل مهلا يرحمك اللّه فقد جزنا ماء الحوأب فقالت فهل من شاهد فلفقوا لها خمسين اعرابيا جعلوا لهم جعلا فحلفوا لها ان هذا ليس بماء الحوأب

فسارت لوجهها .

وقال الشارح المعتزلي (ج٢ص ٤٠٤ من شرحه على النهج) وكان طلحة من اشدّ الناس تحريضا عليه (اى على عثمان) وكان الزبير دونه فى ذلك روى ان عثمان قال ويلى على ابن الحضرميّة يعنى طلحة اعطيته كذا وكذا بهارا ذهبا وهو يروم دمى ويحرض على نفسى اللّهم لا تمتعه به ولقّه عواقب بغيه: وروى الناس الذين صنّفوا فى واقعة الدار ان طلحة كان يوم قتل عثمان مقنعا بثوب قد استتر به عن اعين الناس يرمى الدار بالسهام ورووا أيضا انه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة الى دار لبعض الانصار فأصعدهم الى سطحها وتسوروا منها على دار عثمان فقتلوه ورووا ايضا ان الزبير كان يقول اقتلوه فقد بدلّ دينكم فقالوا ان ابنك يحامى عنه بالباب فقال ما اكره ان يقتل عثمان ولو بدئ بأبنى ان عثمان لجيفة على الصراط غدا

وقال مروان بن الحكم يوم الجمل والله لا اترك ثارى وانا اراه ولأقتلنّ طلحة بعثمان فانه قتله ثم رماه بسهم فأصابه فنزف الدم حتى مات: قال وروى الكلبى قال كان العرق الذى اصابه السهم اذا امسكه طلحة بيده استمسك واذا رفع يده عنده سال فقال طلحة هذا سهم ارسله اللّه تعالى وكان امر اللّه قدرا مقدورا ما رأيت كاليوم دم قرشى أضيع منّى قال وكان الحسن البصرى اذا سمع هذا وحكى له يقول ذق عقق .

وجاء فى نهج البلاغة (ابن ميثم ج٣ص ٣٣١) فى ذكر اصحاب الجمل وفى طليعتهم طلحة والزبير فخرجوا يجرّون حرمة رسول اللّه (ص) كما تجرّ الأمة عند شرائها متوجهين بها الى البصرة فحبسا نسائهما فى بيوتهما وأبرزا حبيس رسول اللّه (ص) لهما ولغيرهما فى جيش مامنهم رجل الاّ وقد أعطانى الطاعة وسمح لى بالبيعة طائعا غير مكره فقدموا على عاملى

بها وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من اهلها فقتلوا طائفة صبرا وطائفة غدرا فواللّه لو لم يصيبوا من المسلمين الاّ رجلا واحدا معتمدين لقتله بلا جرم جرّه لحلّ لى قتل ذلك الجيش كله اذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد دع ماانّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّة التى دخلوا بها عليهم .

والحديث عن تأليب عائشة وطلحة والزبير على عثمان وقتله بل والمنع عن دفنه اكثر من كل كثير ولا داعى للأطالة بعد اثبات هذه النماذج: هذا وممّا لا شك فيه ان ابا سفيان بن حرب وولده معاوية من المشركين الذين تألفهم النبىّ على الاسلام وبقيا للآخر على هذه الروح انظر حدّ الأقل (ج١٣ ص١٢٧ من الاغانى) قال ابو عمرو الشيبانى اعطى رسول اللّه جماعة من اشراف العرب عطايا يتألف بها قلوبهم وقومهم على الاسلام فاعطى كل رجل من هؤلاء النفر وهم ابو سفيان بن حرب وابنه معاوية وحكيم بن حزام والحارث بن هشام وسهيل بن عمرو وحويطب بن عبد العزّى وصفوان ابن امية والعلاء بن حارثة الثقفى حليف بنى زهرة وعيينة بن حصن والأقرع بن حابس مأة مأة من الأبل .

وانظر حدّ الاقل (الاغانى ج٦ ص ٢٠٠) عن عبد اللّه بن الزبير قال لما كان يوم اليرموك خلفنى ابى فأخذت فرسا له وخرجت فرأيت جماعة فيهم ابو سفيان بن حرب فوقفت معهم فكانت الروم اذا هزمت المسلمين قال ابو سفيان ايه بنى الأصفر فاذا كشفهم المسلمون قال ابو سفيان :

وبنو الأصفر الكرام ملوك الروم لم يبق منهم مذكور

فلمّا فتح على المسلمين حدثت ابى فقال قاتله اللّه يأبى الاّ نفاقا اولسنا خيرا له من بنى الأصفر ثم كان يأخذ بيدى فيطوف على اصحاب رسول اللّه يقول حدثهم فأحدثهم فيعجبون من نفاقه :وذكر بسنده قال دخل

ابو سفيان على عثمان بعد ان كفّ بصره فقال هل علينا عين فقال له عثمان لا قال ياعثمان ان الأمر امر عالمية والملك ملك جاهلية فاجعل اوتاد الأرض بنى أمية وذكر ايضا بسنده قال جاء ابو سفيان الى على بن ابى طالب فقال ياابا الحسن مابال هذا الأمر فى اضعف قريش واقلّها فواللّه لو شئت لأملأنها عليهم خيلا ورجلا فقال له علىّ ياابا سفيان طالما عاديت اللّه ورسوله والمسلمين فما ضرّهم ذلك شيئا ٠

وذكر الشارح المعتزلى (الشرح الحديدى ج١ ص٣٦٣) عن ابى عبد اللّه البصرى المتكلم انه روى عن نصر بن عاصم الليثى عن ابيه قال اتيت مسجد رسول اللّه (ص) والناس يقولون نعوذ باللّه ومن غضب اللّه وغضب رسوله فقلت ماهذا قالوا معاوية قام الساعة فأخذ بيد ابى سفيان فخرجا من المسجد فقال رسول اللّه (ص) لعن اللّه التابع والمتبوع رب يوم لأمّتى من معاوية ذى الأستاه قالوا يعنى الكبير العجز ٠

اقول وقد عمّى كثير من شيوخ الحديث هذا الحديث وألغزوه تنزولا على هوى أنفسهم فى آل ابى سفيان مع ان الحديث نفسه يدلّ على نفسه بالتحريف والتحوير وقد ذكره ابن حجر فى الأصابة بلونه المحرّف فقال فى حرف النون (ج٢ ص٢٣٧ ومابعدها) غاصم بن عمرو بن خالد الليثى ابو نصر ذكره ابن ابى خيثمة وغيره فى الصحابة وروى البغوى من طريق نصر بن عاصم الليثى عن ابيه قال قال رسول اللّه (ص) ويل لهذه الأمّة من فلان ذى الاستاه قال البغوى ولا ادرى له صحبة ام لا قلت قد اخرجه الطبرانى من الوجه الذى اخرجه منه البغوى فزاد فى اوّله مايدلّ على صحبته وهو قوله دخلت المسجد مسجد المدينة واصحاب رسول اللّه (ص) يقولون نعوذ باللّه من غضب اللّه وغضب رسوله قلت ممّ ذاك قالوا كان يخطب آنفا فقام رجل فأخذ بيد ابنه ثم خرجا فقال رسول اللّه لعن اللّه القائد

والمقود به ويل لهذه الأمّة من فلان ذى الأستاه .

ولا شكّ ان النبىّ لم يقل فلان ذو الأستاه بل سمّاه قطعا لأن الحاضرين كانوا يعرفونه هو واباه فلا مجال للفظة فلان حينذاك ومعاوية معروف بكبر العجز موصوف به فتحريف الحديث كان من المتأخرين قطعا كما هو واضح لالبس فيه :وفى هذا الباب كثير من الحديث صرفنا النظر عنه لان المواضيع التى سقنا فيها جملة من الحديث من تأليب عائشة وطلحة و الزبير على عثمان ومن نصّ النبىّ على قتال علىّ للناكثين والقاسطين والمارقين وان الناكثين هم طلحة والزبير واتباعهم والقاسطين هم معاوية وحزبه والمارقين هم الخوارج ومن كون معاوية لاقيمة لدينه بل ليس اهلا لأن يعدّ فى عداد المتدينين بدين الاسلام من واضحات التاريخ والمسلّمات بين الناس وشذوذ من شذّ من هؤلاء الاسطوريين فى مخالفة الضرورات التاريخية لاقيمة له وان افسد قلوب العوام ازمانا طويلة وللآن بقايا اثره لها وجود فى الطغام من المنسوبين للاسلام .

ولعلّ سطحيا من الباحثين يقول نحن مهما اسأنا الظن بالقوم ووسمناهم بالنقص فى العلم والفضيلة والابداع فى الدين وارتجال الاحكام فاننا لانستطيع ان ننكر سعة الاسلام فى زمانهم واتساع محيط المسلمين فى ايّامهم وهو عمل مثبت لا يرتاب فيه انسان ونحن نعرف من السياسيين من كلّه جريمة ولكنه عند ما يتوفق فى عمل جبّار نرى التاريخ يصفّه فى مصافّ رجالاته وابطاله فلنفرض القوم بهذه المثابة فلا موجب اذن للطعن فيهم والتنكر لهم .

قلنا فى الجواب ان رحى البحث تدور على أقطاب موضوعية لابدّ من الفات النظر اليها فامّا ــ اولا ــ فان البحث فى الحاكم الأسلامى غير البحث فى مطلق الانسان الفعّال لان ركيزة الدين السماوى تقتضى

بطبيعة شعارها ان يكون القائم بها من لامنفذ فيه لأقلّ حزازة ولذلك قد يعدّ ارتكاب المباح فى الشريعة من بعض الذوات موهنا بل مسقطا عن درجة الاعتبار وعلى هذا المبنى قيل حسنات الأبرار سيئآت المقربين فأنّ المنطق لا يستنكر على العادّيين جلوسهم فى المقاهى ويستنكر ذلك بأتمّ وجوه الأستنكار اذا حصل من مرجع دينى بل يسقطه عن المرجعية ويلحقه بالسوقيين من الناس وهذه الركيزة ضرورية الملاحظة فى عالم الأديان السماوية التى تمثّل عدل اللّه ومثاليته وملاحظة هذه الركيزة ممّا يسقط القوم بما احتووا عليه من الهنات الشرعية عن درجة السلطان الشرعى العادل اذن فهم ليسوا من أبطال هذا الميدان وتبرير اعمالهم الأنحرافية بالسفسطة واغماض النظر لا يحصّل الملاك اللازم فيهم فان مرحلة حسن الظن غير مرحلة تحقق الملاك لأثبات موضوع اصيل تترتب عليه احكامه الأصيلة المربوطة بالموضوع الواقعى نفسه .

وقد اسلفنا ان واجدية الملاك اللازم بمفردها ليست كافية فى تحقق السلطنة الشرعية مالم يكن فى البين نصّ ممنّ له الحكومة على العباد بالحق المطلق وهو اللّه تعالى والنصّ فى القوم مفقود بالمرّة كتخلف الملاك فيهم وموجود فى على ولو بالاقتناص من عشرات الآثار الصحيحة الورود عن النبىّ الذى لا ينطق عن الهوى ان هو الاّ وحى يوحى علّمه شديد القوى فضلا عن تحقق الملاك فيه فقد اعترف له بالفضل المطلق والخير العام والكفآت العظيمة حتّى ألدّ اعدائه اذ مابهم انكار الواضحات .

واما ثانيا ـ فان عليا كان اقدر من هؤلاء على ادارة الزعامة الدينية من عدة وجوه ـ الأوّل ـ علمه الوافر وقد قال عليه السلام ان اولى الناس بالانبياء اعلمهم بما جاؤا به (نهج ابن ميثم ج٥ ص٢٨٨) الثانى : سداد آرائه وبها استضاء المشايخ فى جملة من مجاريهم السياسية فمن ذلك ان

عمر بن الخطاب شاوره فى الخروج الى غزو الروم بنفسه فأجابه بقوله :وقد توكل اللّه لأهل هذا الدين باعزاز الحوزة وستر العورة والذى نصرهموهم قليل لا ينتصرون ومنعهم وهم قليل لا يمتنعون حيّ لا يموت انك متى تسر الى هذا العدوّ بنفسك فتلقهم فتنكب لا تكن للمسلمين كانفة دون اقصى بلادهم ليس بعدك مرجع يرجعون اليه فابعث اليهم رجلا محربا واحفز معه اهل البلاء والنصيحة فان أظهر اللّه فذلك ماتحبّ وان تكن الأخرى كنت ردء للناس ومثابة للمسلمين(نهج ابن ميثم ج٣ص١٦١) ومنه ايضا قوله لعمر بن الخطاب وقد استشاره فى غزو الفرس بنفسه :ان هذا الأمر لم يكن نصره ولاخذلانه بكثرة ولاقلّة وهو دين اللّه الذى أظهره وجنده الذى اعدّه وأمدّه حتى بلغ مابلغ حيثما طلع ونحن على موعود من اللّه واللّه منجز وعده وناصر جنده ومكان القيّم بالأمر مكان النظام من الخرز يجمعه ويضمّه فاذا انقطع النظام تفرّق الخرز وذهب ثم لم يجتمع بحذافيره ابدا والعرب اليوم وان كانوا قليلا فهم كثيرون بالاسلام عزيزون بالاجتماع فكن قطبا واستدر الرحى بالعرب وأصلهم دونك نار الحرب فانك ان شخصت من هذه الأرض انتقضت عليك العرب من اطرافها وأقطارها حتى يكون ماتدع وراءك من العورات أهمّ اليك ممّا بين يديك :ان الاعاجم ان ينظروا اليك غدا يقولوا هذا اصل العرب فاذا قطعتموه استرحتم فيكون ذلك اشدّ لكلبهم عليك وطمعهم فيك فأمّا ماذكرت من مسير القوم الى قتال المسلمين فان اللّه سبحانه هو أكره لمسيرهم منك وهو اقدر على تغييره مايكره وامّا ماذكرت من عددهم فانّا لم نكن نقاتل فيما مضى بالكثرة وانّما كنّا نقاتل بالنصر والمعونة (نهج ابن ميثم ج٣ص١٩٦) وجاء فى نهج البلاغة (ج٥ابن ميثمص٣٨١) انّه ذكر عند عمر بن الخطاب فى ايامه حلى الكعبة وكثرته فقال قوم لو اخذته فجهزت به جيوش المسلمين كان اعظم

للأجر وما تصنع الكعبة بالحلىّ فهمّ عمر بذلك وسأل امير المؤمنين عليه السلام فقال (ع) ان القرآن انزل على النبىّ (ص) والأموال اربعة اموال المسلمين فقسّمها بين الورثة فى الفرائض والفىء فقسّمه على مستحقيه والخمس فوضعه اللّه حيث وضعه والصدقات فجعلها اللّه حيث جعلها وكان حلىّ الكعبة فيها يومئذ فتركه اللّه على حاله ولم يتركه نسيانا ولم يخف عليه مكانا فأقرّه حيث اقرّه اللّه ورسوله فقال له عمر لولاك لافتضحنا وترك الحلىّ بحاله ـ الرابع ـ بعده عن هواه فى القليل والكثير فلو انه اتيح له تسنّم عروش الزعامة بعد النبىّ بلا فاصلة واستمرّت به الحياة الى نهاية الفاصلة التى عاشها لكانت الأوضاع الاسلامية بكمّها وكيفها غيرما جرت عليه قطعا ولكانت الحصيلة منها علما وعملا حصيلة عظيمة لا تقاس بمقياس وكل من حرم الأجتماع البشرى من هذه السعادات التى لا تعدّ ولا تحصى مباشرة او تسبيبا يعدّ من اعظم جناة الدهر بلا ريب .

وامّا ثالثا ـ فليست الفتوحات التى صارت من نصيب المسلمين فى عهد القوم من اثر شهامتهم فى ذلك بل قد برهن التاريخ على ان جملة من الخلفاء نكّلوا بقوّادهم حسدا لهم فيما حصلوه من سمعة وتقدم فقد اطاح بنو امية بأحسن قوّادهم الذين دوخوا البلاد بالفتوحات كموسى بن نصير وقتيبة بن مسلم وآل المهلب وغيرهم كما فعل بنو العباس نظير ذلك فى ابى مسلم الخراسانى ونظرائه ولولا شهامة هؤلاء الابطال فى انفسهم وتحمسهم فى تحقيق ماألقى على عواتقهم من مسؤليات لما كان لهؤلاء الخلفاء عين ولا اثر ومن سوء الحظ ان نتائج اعمال غيرهم باعتبار ملابستها لأزمان خلافتهم تنسب اليهم فيقال فتح الوليد وسليمان الاندلس وتربع المنصور العباسى على اعظم عرش اسلامى وواقع المطلب على خلاف ذلك قطعا وما مثال هؤلاء ومثال قوّادهم الابطال الاّ كما قال الشاعر :

واذا تكون كريهة ادعى لها واذا يحاس الحيس يدعى جندب

فالحرارة الاسلامية التى كانت فى المسلمين الواقعيين والثواب المرصود للغزو الذى بلغهم عن نبيّهم ومواساة نبيّهم فى ذلك حيث قضى عمره بعد الهجرة غازيا لصالح الاسلام هى التى جعلت المسلمين يتقدمون الى الجهاد عن طيب خواطرهم ويرابطون المعركة بشهامة دينية ولم نر للمتزعمين فعّالية مباشرة فى كافة تلك الفتوح خلاف ماكان عليه رسول اللّه وخلاف ماكان عليه علىّ بن ابى طالب والذى ساعدهم على ذلك مساعدة قوية هو انفراج الزمان لهم برضوخ الأكابر من الصحابة لأمرتهم خدمة للأسلام لالخاصة هؤلاء فى انفسهم ودونك الحديث التالى وهو خلاصة الفصل الثامن الذى حررناه فى ج٤ من كتابنا نتائج الفكر حول حوادث السقيفة .

حيث قلنا بطبيعة الحال يسأل السائل فيقول ان من هو أدون من علىّ مقاما فى الشهامة والقوة والشجاعة والغيرة على حيثيته وناموسه لايصيخ لمثل ماارتكب من علىّ بالهجوم على داره وفيها زوجته وأطفاله واحباؤه واخراج من فيها بالعنف والزور والذلة واخراجه هو كذلك يساق به سوقا عنيفا ويجرّ الى البيعة ملببا يسعى به ركضا وها نحن نرى من شهامة سائر العرب انه يفنى نفسه وكل افراد اسرته فى الدفاع عن حقوق جاره الأجنبى اذا ضامه الغير خسفا وذّلا فضلا عن حقوق نفسه والدفاع عن حرمه واحترام كيانه ولا شبهة ان الشرع يساعده على ذلك فان الدفاع عن النفس والحريم والحيثية جائز بل واجب خصوصا وعلىّ قاطع بان هجوم هؤلاء النفر ومن كان من هواتهم على داره انّما كان لأجل تنفيذ مرامهم الشخصى وهو تحصيل الرياسة والجلوس على منصة الزعامة وهو هدف عدوانى محض :فما الجواب اذن .

نعم الجواب الوحيد هو علمه عليه السلام باليقين المحتم انّه اذا نهض فنهض معه اهل بيته والخلّص من اهل محبته انقسم الناس بينه وبين حزب السقيفة قسمين وعند ذلك يركض النفاق مراكضه ويستغلّ الفرصة كل من يريد دين الاسلام بسوء وهم اكثر من الكثير بدليل ان النبيّ (ص) في اواخر حياته انتكث عليه كثير ممّا أبرمه وارتدّ عن دينه جملة من القبائل والعشائر واصولا لا دين عند العوام سواء كانوا في بادية ام في حضر واخذ ذلك يسري في الناس سراية مدهشة ومات النبيّ والقضايا على حالها بل تزداد التهابا بموته حتى اثبت المؤرخون انه لم يبق من لم يرتد او يتوقف الاّ اهل الحرمين على مافيهم من منافقين قديمي النفاق ومسلمين جدد في العقيدة ككافة مسلمي الفتح وهذه الحوادث كلّها منظورة ومسموعة وملموسة لعليّ بجهار وصراحة فهو قاطع اتمّ القطع ان الاسلام الذي ماقام الاّ بقيامه وما تشيد الاّ بسيفه وما مشى مغذّا الى الامام الاّ بتركزه في ميادين حروبه المشهورة اذا لم يتابع القوم على منشودهم بل على العكس جمع اشدّه لمبارزتهم ومقاومتهم يكون تمام انهياره على يده ومحقه تماما على مخالفته وتصلبه في امتناعه فأرخص نفسه اخيرا لما ارخصها له اولا وهذا الذي بيّناه شيء محسوس والاّ فما قيمة الرجل وهو بمفرده داخل البيت يتلّ عليا تلاّ ويقيمه قائما ويدفع به الى خارج البيت فيأخذه خالد ركضا الى المسجد ولو اراد من هو اقلّ من عليّ قوّة وبأسا وحميّة وحيثية مصارعته ومماطلته لتمكّن بطور قاطع أفلا يستطيع عليّ وهو قالع باب خيبر الذي عجز عدّة من الأفراد عن تحريكه وقلبه من وجه الى وجه والمتترس في هذه الحرب نفسها بباب كان عند حصن من حصونها لم يستطيع ثمانية نفر ــ بعد أن ألقاه من يده ــ أن يقلبوه وفالق الهامات الضخمة والقاسم لأبدان الابطال بأوّل ضربة والذي

كان يعينه مبارزه على نفسه هيبة له وخوفا منه والذى بلغ من قوته وبأسه أن كان مضرب المثل فى الأيد والشجاعة والقوّة والمناعة وكان الشجعان لا يعدّون الفرار منه عيبا ولا نقصا ـ أفلا يستطيع مثل هذا ـ وهو محاصر فى بيته ان يفتك برجل او اثنين او ثلاثة او عدّة رجال ولو كانوا حاملى سيوف ومسلحين ـ هذا مالا يعقل .

كيف وعلىّ أحرز فى وقعة بدر نصف القتلى وفى احد نظير ذلك وفى كافّة الوقائع كان المجلّى بين فرسانها وفى حروبه التى وقعت فى خلافته كان يخوض فى اوساط عشرات الألوف المجهزة فينكل بالجيش كله تنكيلا ماعرف له التاريخ من نظير اذن فأصاخة علىّ للرجل ومطاوعته له فى الأنساق امامه ورضائه بهذا الهوان وهو العزيز فى كل قابلياته من اهمّ الكواشف عن رسوخ دينه ومزيد تورعه وعظيم حبه للاسلام ولبقاء اسم محمد عاليا متعاليا وله عليه السلام فى ذلك كلمات ومقالات تذكرها تعزيزا للمقام .

قال الرضى (ج ١ ص ٧١ من النهج الحديدى) ومن كلام له عليه السلام لما قبض رسول اللّه (ص) وخاطبه العباس وابو سفيان بن حرب فى ان يبايعا له بالخلافة .

ايّها الناس شقّوا امواج الفتن بسفن النجاة وعرّجوا عن طريق المنافرة وضعوا تيجان المفاخرة أفلح من نهض بجناح او استسلم فأراح هذا ماء آجن ولقمة يغصّ بها آكلها ومجتنى الثمرة لغير وقت ايناعها كالزارع بغير ارضه فأن أقل يقولوا حرص على الملك وان أسكت يقولوا جزع من الموت هيهات بعد اللتيّا والتى واللّه لابن ابى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى امّه بل اندمجت على مكنون علم لو بحت به لاضطربتم اضطراب الأرشية فى الطوىّ البعيدة .

عقّب ذلك الشارح المعتزلى فقال لمّا قبض رسول اللّه واشتغل علىّ

بغسله ودفنه وبويع ابو بكر خلا الزبير وابو سفيان وجماعة من المهاجرين بالعباس وعلى لأجالة الرأى وتكلموا بكلام يقتضى الأستنهاض فقال العباس قد سمعنا قولكم فلا لقلة نستعين بكم ولا لظنة نترك آرائكم فامهلونا نراجع الفكر فان يكن لنا من الأثم مخرج يضّر بنا وبهم الحق صرير الجد جد ونبسط الى المجد اكفّا لانقبضها او نبلغ المدى وان تكن الأخرى فلا لقلة فى العدد ولا لوهن فى الأيد والله لولا ان الأسلام قيّد الفتك لتدكدكت جنادل صخر يسمع اصطكاكها من المحل العلىّ فحلّ علىّ عليه السلام حبوته وقال الصبر حلم والتقوى دين والحجة محمّد والطريق الصراط ايها الناس شقّوا امواج الفتن ـ الخطبة الآنفة ـ ثم نهض فدخل الى منزله وافترق القوم.

وذكر الرضىّ ايضا (ج٤ص١٦ من النهج الحديدى) فقال ومن كتاب له (ع) الى اهل مصر مع مالك الأشتر لمّا ولاّه امارتها امّا بعد فان اللّه سبحانه بعث محمدا (ص) نذيرا للعالمين ومهيمنا على المرسلين فلما مضى (ص) تنازع المسلمون الأمر من بعده فواللّه ماكان يلقى فى روعى ولا يخطر ببالى ان العرب تزعج هذا الأمر من بعده (ص) عن اهل بيته ولا انّهم منحوّه عنّى من بعده فما راعنى الاّ انثيال الناس على فلان يبايعونه فأمسكت بيدى حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الاسلام يدعون الى محق دين محمّد (ص) فخشيت ان لم انصر الأسلام واهله ان ارى فيه ثلما او هدما تكون المصيبة به علىّ اعظم من فوت ولا يتكم التى انّما هى متاع ايّام قلائل يزول منها ماكان كما يزول السراب او كما يتقشع السحاب فنهضت فى تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق واطمئنّ الدين وتنهنه

ويجب ان يلتفت الى انّ معنى قوله (ع) فما راعنى الاّ انثيال الناس على فلان يبايعونه هو مسارعة الأوس وبشير وهواته من الخزرج الى مبايعة

من بايعوا تخلصا من سعد بن عبادة والاّ فقد قرأت ان زافة السقيفة لمّا خرجت تشق الطرقات كانت تأخذ بالعابر والمستطرق وتمدّ يده وتمسحها على يد ابى بكر بالقهر والعنف كما قرأت كيف كان لون هجومها على بيت علىّ وفاطمة وكيف أن سعد بن عبادة لم يتخلص من القوم حتى خلقوا له جنيّا قتله وهو بالشام وما الى ذلك مما سبق ملخصه فى كتابنا هذا ومفضله فى ج٢و٣من الحياة الروحية وج٤من نتائج الفكر ٠

وقال الرضى ايضا (ج٢ص ٦٠ من النهج الحديدى) من كلام له عليه السلام لمّا عزموا على بيعة عثمان لقد علمتم انى احقّ بها من غيرى ووالله لأسلمنّ ما سلمت امور المسلمين ولم يكن فيها جور الاّ علىّ خاصة التماسا لأجر ذلك وفضله وزهدا فيما تنافستموه من زخرفه وزبرجه ٠

وروى ابن عبد البر فى الاستيعاب (ج١ص ٤٩٠) عند تعرضه لترجمة رفاعة بن رافع الزرقى الأنصارى من طريق عمر بن شبة عن المدائنى عن ابى مخنف عن جابر عن الشعبى قال لما خرج طلحة والزبير كتبت ام الفضل بنت الحارث الى علىّ بخروجهم فقال علىّ العجب لطلحة والزبير ان الله عزّوجلّ لمّا قبض رسول الله (ص) قلنا نحن اهله وأولياؤه لا ينازعنا سلطانه احد فأبى علينا قومنا فوّلوا غيرنا وايم الله لولا مخافة الفرقة وان يعود الكفر ويبور الدين لغيّرنا فصبرنا ٠

وقال ابن ابى الحديد (ج٣ص ٣٨) وقد روى عنه عليه السلام ان فاطمة (ع) حرّضته يوما على النهوض والوثوب فسمع صوت المؤذن اشهد ان محمدا رسول الله فقال لها أيسرّك زوال هذا النداء من الأرض قالت لا قال فانه ما اقول لك ٠

وذكر ابن ابى الحديد ايضا (ج٢ص ٧ من شرحه على النهج) فقال وروى الزبير بن بكّار قال لمّا بايع بشير بن سعد ابا بكر وازدحم الناس

على ابى بكر فبايعوه مرّ ابو سفيان بن حرب بالبيت الذى فيه علىّ بن ابى طالب فوقف وانشد :

بنى هاشم لاتطمع الناس فيكم
ولا سيّما تيم بن مرّة اوعدى
فما الأمر الاّ فيكم واليكم
وليس لها الاّ ابو حسن على
أبا حسن فاشدد بها كفّ حازم
فانك بالأمر الذى يرتجى ملى
واىّ امرئ يرمى قصيا ورأيها
منيع الحمى والناس من غالب قصى

فقال علىّ لأبى سفيان انك تريد امرا لسنا من اصحابه وقد عهد الىّ رسول اللّه (ص) عهدا فانا عليه فتركه ابو سفيان :

قال (ص ٨ من المجلد المذكور) وروى الزبير بن بكّار قال روى محمد ابن اسحاق ان ابا بكر لما بويع افتخرت تيم بن مرّة قال وكان عامة المهاجرين وجلّ الانصار لا يشكّون ان عليا هو صاحب الأمر بعد رسول اللّه(ص) فقال الفضل بن العباس يامعشر قريش وخصوصا يابنى تيم انكم انما اخذتم الخلافة بالنبوّة ونحن اهلها دونكم ولو طلبنا هذا الأمرالذى نحن اهله لكانت كراهية الناس لنا اعظم من كراهيتهم لغيرنا حسدا منهم لنا وحقدا علينا وانّا لنعلم ان عند صاحبنا عهدا هو ينتهى اليه وقال بعض ولد ابى لهب بن عبد المطلب شعرا :

ماكنت أحسب ان الأمر منصرف
عن هاشم ثم منها عن ابى حسن
أليس اوّل من صلّى لقبلتكم

وأعلم الناس بالقرآن و السنن

واقرب الناس عهدا بالنبيّ ومن

جبريل عون له فى الغسل والكفن

من فيه مافيهم لا يمترون به

وليس فى القوم مافيه من الحسن

ماذا الذى ردّ هم عنه فنعلمه

ها ان ذا غبن من أعظم الغبن

قال الزبير فبعث اليه علىّ فنهاه وامره ان لا يعود وقال سلامة الدين احبّ الينا من غيرها .

ولا ريب ان هذا الطابع الدينى الذى كان فى علىّ هو الذى عبّر عنه ابو سفيان وغيره بالاستضعاف حينما بلغه ان الرجل هو الذى احرز الخلافة دون علىّ ودون كافة بنى هاشم اهل النبيّ وذويه فقال فما فعل المستضعفان علىّ والعباس: ومن طريقه قال من قال ان عليا له فضله وصلاحياته الدينية ولكن لا يجوز عدّه فى السياسيين وان معاوية أسوس منه وادهى ولذلك غلبه وتمكن من امره :وبد يهى ان غير علىّ لو كان بطل هذه الميادين لكان سهمه منها سهما منظور اليه :ولكن السياسة التى يريدها الناس ويدورون حواليها منذ القديم البعيد والى آخر لحظة من بقاء البشر فى هذا الكون هى السياسة التى يلعنها منطقهم وتفندها عقولهم و يزرى عليها شعورهم ان هؤلاء الناس هم الذين يكبرون اللصّ الماهر وقاطع الطريق القاهر والشعوذى الذى يحتال على غيره فيبتزه ماله او ناموسه او اىّ شىء آخر من أشياءه والمدلس الذى من طريق دجله يتصل بغايات عالية فيعد فى عداد الرواة المكثرين او العبّاد المتهجدين او مراجع الدين والأنتهازىّ الذى لا يعرف فى مواقع سنوح

الفرصة ابا ولا امّا ولا حلالا ولا حراما ولا دينا ولا ايّ محذور كان والسياسى الذى يغدر بمن وعده ويفتك بمن أعطاه الامان ويكذب فى قوله ويتهجم فى فعله ويرخص الغالى من اوضاع الناس عامة فى سبيل أحقر مقصود يختصّ به ولا يبالى فى طريق احراز مصالحه الشخصية بأن يطيح بالكون والكائنات جميعا :فايّ الناس لا يكبر جنگيز وهلاكو او الحجاج او يوسف بن عمر او موسولينى او لينين وستالين وهو مع ذلك يعلم انّهم أطاحوا بالبشرية اطاحات يقشعرّ لها جلد القاسى من الناس .

وهذا الأكبار العملى من قاطبة افراد البشر لامثال اولئك المفسدين المخربين هو الذى جرّأ الناس على ارتكاب الجرائم ومقارفة المآثم من ابعد عهود التاريخ الى آخر عهد يكون للانسان فى محيط هذه الأكوان لانهم يرون الناس يقولون بألسنتهم مايخالفونه بجوارحهم فهم يلعنون المتهجم همسا اوعلنا ويحترمونه احترام الملوك ويعدّون كافة اصحاب العروش ظلمة ومع ذلك يتقرب اليهم حتّى العالم الدينى ويؤلف الكتب العلمية بأسمائهم ويطريهم بما لا يطرى به الانبياء فضلا عن المقدسين الصالحين وكل هذه الهنات المنطقية العلمية التى لا يتنازع اثنان من العقلاء فى ذمّها هى مورد عمل للجميع لا يمتاز فيها عالم عن جاهل ولا عاقل عن سفيه وهذا هو من اهمّ البواعث لارتكاب الباطل من كافة افراد الناس :وامّا مسألة المعاد على اللّه وانه يحاسب على الكبير والصغير والخطير والحقير وان الاديان والعقول متصافقة على ذمّ الانحراف فتلك من المسائل اللفظية والبحوث الكلامية التى موردها باحات المدارس وصحون المساجد وأسلات الأقلام وصفحات الكتب لااكثر وامّا مراحل العمل فلا تعرف معادا ولا حسابا ولا استنكارا لعقل عاقل ولا مخالفة لدين كل ذلك بدليل الوقوع الخارجى الذى هو امارة واقعية الأشياء فى العيان

المكشوف: وقد ألفت الأمام عليه السلام انظار الناس الى هذه النكتة بقوله (نهج ابن ميثم ج٣ص ٤٦٩) واللّه ما معاوية بأدهى منّى ولكنه يغدر ويفجر ولولا كراهية الغدر لكنت من ادهى الناس ولكن كل غدرة فجرة ولكل فجرة كفرة ولكل غادر لواء يعرف به يوم القيامة واللّه ماأستغفل بالمكيدة ولا استغمز بالشديدة: وأبان لهم انّه ليس كما يظنون به من البساطة التى يعجز صاحبها عن ادارة شؤن الناس والقيام بواجب اقامة النظام بل كل مافيه هو السلامة من العيوب والهناة والبعد عن الجرائم والموهنات وهذا الملاك لابدّ من حصوله فى كل انسان لكنّ انجراف الناس مع الانحراف هو الذى خنق وجود هذا الملاك فلاترى انسانا بحقّ الاّ فى اعداد محدودة على طول سلاسل الاجيال .

وعلى ماأسلفناه فلابدع اذا عظم من عظم من القوم فقد عظم ابراهيم واسحاق الموصليان وعظمت امّ كلثوم وامثالها وعظم قطّاع الطرق امثال شبيب الخارجى وصفقت لهم الجماهير ودوت لهم الآفاق بالهتاف .

اذن فالروح التى تبطنها علىّ ليست من قماش هذه الأرواح ولذلك لم تتوفق فى دنياها بأقل ممّا توفق له الأذناب ومع ذلك كله فالذنب ذنب الناس وهو أطهر الطاهرين لانه ماشى عقله وتابع دينه وأطاع ضميره وعمل بما علم به والناس كلهم الاّ من عصمه اللّه تركوا عقولهم وراءاهوائهم وتابعوا ميولهم دون ضمائرهم واطاعوا سخافاتهم دون عقلياتهم ولم يعملوا بالقليل مما علموا به وهذا المطلب من المحسوسات التى رآها كل انسان بعينه ولمسها بيديه فى عرصة العيان غير القابلة للتشكيك .

ولا يعلم الاّ اللّه كم من نزيه عفيف قبع بالخمول وكم من شريف منيف احتوت عليه الخبايا وكم من طاهر الضمير صادق الايمان سحبت عليه العناكب نسيجها وكم من محق واضح الحق ثابت الحقيقة طرد عن حقّه

وهضمت حقيقته وكم تحت اطباق السماوات وفوق محانى البسيط من مهضوم مظلوم لم يحظ حتى بأظهار هضمه واعلان مظلوميته ذلك كله لان السنة الناطقين واقلام الكاتبين مؤرخين كانوا ام انتقاديين واعظين كانوا ام معلمين تدور فى الأعم الأغلب على الاجرة ترضخ لها او المصالح الوقتية التى تهيجها من السكون الى الحركة ومن السكوت الى التكلم ولم نر فى البين ناطقا نطق لله او كاتبا كتب للضمير الا شذاذا ميسورين ليس بهم مقاومة تيك الزافة التى ملأت كتبها ومقالاتها آفاق الأرض واجواء السماء والكثير ممّا نقف عليه فى بطون كتب التاريخ او أسفار الحديث اود واوين الشعر او المجلات والجرائد مرموز مشوب ليس للحق فيه الآ مدخل ضعيف ولذلك كان استخلاص الحقائق من بين اطباق مافى الوجود عسرا صعبا لا يقوى على القيام به الآ الأوحدى من الناس فى فهمه ودربته ويقظة ضميره واخلاصه للحق .

ومن هنا يجب ان نعلم ان الجملة الوافرة من الحديث كذب وتزوير خلقته المصالح والشؤن الشخصية وان الكثير ممّن ترجم فى المدونات من سقط المتاع وانما اشخصته الرموز وان الوفير من الشعر مدحا وهجاء قيل لأهداف مدلسة وان فصيلة من الذين وصفوا بالسمات العالية هم من طبقة العوام وان جماعة من الذين وسموا بالتهجد والتعبد والزهد والتقوى مدلسون دجّالون وهلّم دواليك ممّا يعسر عدّه ويبعد حدّه فى هذا الكون المظلم على كثرة شموسه وأقماره ولله سبحانه فى خلقه وكافة كائناته شؤن ولا يعلم الغيب الآ هو .

ثم ان فى جملة من افراد البشر صفاء وفى جملة منهم بساطة والصفاء والبساطة من مقولتين فان البساطة معناها قلة فى الفطنة وبطؤ فى انتقال الفهم الى المقاصد والصفاء معناه هو الأنطواء على الخير وفعله حتى لو

كان صاحبه من اسرع الناس انتقالا الى المقصد واكثرهم فطنة الى المعنى المرصود .

وعلى كان بعيد الغور فى فهم المطالب سريع التوجه الى نكاتها وما يراد بها وقد دلّنا مسيره فى حياته على ذلك لكنه كان من الصفاء بمكان بعيد وكذلك كل مثالى وحيث تعرّض عليه السلام لقوله فلما نهضت بالأمر نكثت طائفة ومرقت اخرى وقسط آخرون اتبعه بقوله كأنّهم لم يسمعوا كلام اللّه حيث يقول تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علّوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين وهذا الكلام لولا ماوراءه من قوله بلى واللّه لقد سمعوها ووعوها ولكنّهم حليت الدنيا فى أعينهم وراقهم زبرجها لدلّ على البساطة فى قائله فان معاوية وحزبه وهم القاسطون يسخرون فى بواطنهم من الآخرة ومضافاتها ولا نستبعد ذلك فى امثالهم اولئك الذين فعلوا الافاعيل بابن عفان وجاؤا يتظاهرون بالثأر له من علىّ البرئ من عثمان براءة الذئب من دم يوسف وقد صرّح عليه السلام بذلك فى كتاب له الى معاوية (ج٤ص ٣٥٢) من نهج ابن ميثم :حيث قال ولعمرى يامعاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدنى ابرأ الناس من دم عثمان ولتعلمّن انّى كنت فى عزلة عنه :ويتضاربون على اقامة الصلاة بالناس وينتهزون مواقع الدرهم والدينار على وفرة وجودها عندهما الى غير ذلك من الهنات التى بسطنا القول فيها (فى ج٢و٣من كتابنا الحياة الروحية) وألمحنا اليها آنفا :وامّا المارقون وهم الخوارج فلهم بحث مستقل نتعرض له عند ما يتعرض عليه السلام لذلك فى فصل مقبل .

قوله عليه السلام أما والذى فلق الحبة وبرأ النسمة لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر وما أخذ اللّه على العلماء أن لا يقارّوا على كظة ظالم ولا سغب مظلوم لألقيت حبلها على غاربها ولسقيت آخرها بكأس

اوّلها ولألفيتم دنياكم هذه ازهد عندى من عفطة عنز ٠

للّه ابوك يابن ابى طالب ماانطقك بالحقائق واوسع اشداقك بالصراحة واعلمك بالدين ووظائف المتدينين :نعم انما سكت علىّ فى معمعة السقيفة وانكمش فى زاوية السكون فى حادثة الشورى لانه فقد الانصار الذين يهيمنون على الوضع بسرعة قبل ان ينتهز الدخلاء مواقع الفتنة فيكون الجوّ من نصيبهم ومعنى ذلك تحطيم الاسلام قطعا وبعث الشرك من مرقده الذى أنامه فيه محمد وعلى والغيارى من المسلمين الذين ارخصوا كل غال منهم فى هذا المعترك :امّا بعد أن تداكّ الناس عليه تداكّ الأبل الهيم ولو فى زمان متفكك ووضع مترهل فمن وظيفته القيام بواجب الدين وحراسة المؤمنين ومهما كلّفه الوضع من خسارة فان الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واقامة معالم العدل واجبات على كل حال غايته ان وجوبها بتناسب الأحوال ٠

وامّا طلب الراحة والسلامة ومقالة مالنا والدخول بين السلاطين كما هو منطق الاكثرين من الناس ففيه من الموبقات مالا يعدّ ولا يحصى وهل تأخر الحق وتقدم الباطل الاّ من هذا التجرد عن المسؤليات الربّانية الوجدانية ولا ريب ان عليا انّما تقدم الى هذه الخلافة المزقة الأشلاء والوضع المترهل المتفكك والأجتماع المتفسخ المسترذل ليرى العالم انه يعوم فى أخطاء ويسبح فى ظلالات ويسرح فى ارض وعثاء ويمرح فى تيهاء ظلماء وان الكثير من معلوماته جهل والوفير من اعماله غلط وان منصة الزعامات فيه كانت عروش استبداد فارغة من اهلها الواقعيين خالية من حكّامها الربانيّين وقد فعل كل ذلك على قصر فى المدّة ووفور من المشكلات وعدم مؤاتاة فى الظروف ولكن ربّ حضور ساعة بين يدى استاذ لامع يعدل حضور الف سنة فى حوزة شيخ خرف ومعلم متطفل وخرافىّ ضالّ ٠

وخذ اليك مثلا ان هذا التحرر الذى حصّل عليه ارباب الفضيلة والاقلام بعد مرور مئآت القرون على الاستبداد والاختناق كم ابدى من حقيقة علمية وكشف عن دجل مستور وأبرز شخصية خافتة وأعلن بنظرية واقعية ونطق بالحق وان اتسم بغير سمته فأىّ رابطة فى المشرب بين النصرانى وبين علىّ حتى يقوم كتّاب النصارى بتحقيق هويّة علىّ فى حلقات حافلة بالمطالب العالية وحتى يسرد شعراؤهم الملاحم الكبار فى اطرائه والثناء عليه وهذا كله ممّا يعود الفضل فيه للتحرر على ان حرية اللسان والقلم فى هذا الزمان محدودة بحدود سياسية لاتقلّ فى ضغطها احيانا عن عصور ماقبل الحرب العالمية الأولى ولكن مع ذلك قد تعطى من نفسها فترات ذات اثر فعّال فى الأرخاء على الالسنة والأقلام .

الا لعن الله ادوار الاختناق والاساطير التى خلقت وتخلق المتعفنين من الناس .

ولا شكّ فى صدق علىّ حيث قال لألقيت حبلها على غاربها فانه لم يكن من دنيا المادة فى قليل ولاكثير وقد برهنت على ذلك دقائق عمره فضلا عن شهوره وأعوامه الا رحمك الله ياأبا الحسن فما اقلّ نظيرك فى دنيا البشرية على طولها .

* (الخـــوارج) *

الله ماأعظم العقل البشرى فى الخير وما انكى نتائجه السيئة اذا استعمل فى الشر وما أكثر فوائد العاقل الخيّر فى الاجتماع وما أسوأ موقع شرّه بين الناس وما احطّ كفة الطغام فى الدين والدنيا .

امّا العقل البشرى فى الخير فذلك مايدعو صاحبه الى قول الصدق والتجنب عن الكذب وفعل وجوه البرّ والاحسان وانواع الخدمات الأنسانية

التى تسعد بها الحياة العامّة وسوق هذه العبارات لكثرة تكررها على السمع لاوقع له مادامت الفاظا لكنّها اذا شخصت الى العيان عملا جاهرا أقامت الانسان الناظر لآثارها وأقعدته اكبارا لهذا الخيّر الذى مشى على ضوء عقله وانتج من نفسه عملا ايجابيا مثمرا :ومن هنا يجب ان يعلم ان الالفاظ الحاكية عمّا فيه نفع كلفظ الصدق والرفق والايمان والاحسان وما الى ذلك انّما تنسلك مع حبّات القلوب اذا جسمت مقاصدها فى عرصة العيان وما دامت الفاظا تحكى عن صرف مفاهيم ذهنية لم يكن لها الاّ معنى عبورى فاتر فى الاذهان والخواطر ذلك لان الذهن مملوء بالمفاهيم والخواطر الطيّبة وخارطة العيان محشوة باضدادها والعيان هو اللازم المباشر للانسان والمفهوم ليس الاّ خيالا عابرا كالطيف فالمفاهيم اشبه شيء بالمواعيد البعيدة التحقق وتطبيقها الخارجى كالمال المنقود فى يد الانسان يصرّفه انّى شاء وفى اىّ مصرف اراد ولذلك عدّ الوعظ الفارغ هراء وهواء والمشفوع بالعمل منه مؤثرا ومثمرا .

وامّا استعمال العقل البشرى فى الشرّ فهو مفهوما ومصداقا ممّا تنبو عنه النفس وتشمئز منه الروح لان الانفس الحسّاسة تتوقع من الحياة جريانا ملائما ووضعا متزنا حتى تستطيع قطع آنات العمر براحة ولو نسبية ومن هنا كان الخداع مبغوضا والمكر سيئا والكذب ممقوتا والتعدّى مكروها وقس على ذلك كل مالا يلائم الانسان المتلبس به :هذا هو مجرى استعمال العقل فى الخير والشرّ واستنتاج النتائج النافعة او المضرّة منه .

وامّا الطغام فهم اولئك الاناسىّ الذين لم يتوجهوا الى حكّ عقولهم واصلاحها حتى يتمتعوا بخيراتها ويأمنوا بوائق من يريد بهم سوء باتخاذهم اداة مسخرة لتنجيز مقاصده وهذا الرعيل من البشر دائما معذب مكدود مع عدم توجهه لكدّه وتعذّبه وابدا يكون الى جانب الاشرار

دون الاخيار لان الانسان الخيّر يدعوه الى رياضات شاقّة على نفسه البعيدة عن التعقل موعدا اياه انّ تحمّل وعثاء هذا السفر مما ينتج له عواقب محمودة ومستقبلا نيّرا وامّا الشرور من الناس فيطلق سراحه من اوّل وهلة قائلا له ان الأنسان من لازم حياته ان لا يتقيد بقيد اصلا واذا طاوع المجارى العامّة فى خيرها وشرّها عاش براحة وهذا منطق ينتظم مع نفسه لان النفوس تهوى الأرسال على كل حال .

وهناك فريق من البشر يلتحق بهؤلاء حكما وان خرج عنهم موضوعا وهم الذين يهوون الاتصال بالواقع ولكن لا يسلكون له طريقه الموصل ويستعجلون فى تفهمه فيقعون فى جهل مركب ولا يعلم الاّ اللّه كم فى الجهل المركب من اضرار وانحرافات وبوائق :وكل الأغلاط العلمية والعملية الناشئة من طريق هؤلاء المائلة لفضاء العلم والعمل العالميين من نتيجة سوء التطرق الى الواقع والاستعجال فى التفهم وحسن الظنّ بالنفس وهذه الروح مبثوثة فى اكثر من دخل مدرسة العلم ومن تلمذ على اهلها من العوام :فما المحدثون القشريون والمتفقهون المستعجلون والمتفلسفون السطحيون والمتدينون العاميون الاّ من شتات هذا الفريق المركب فى جهله .

وقد اشار امير المؤمنين عليه السلام فى احدى خطبه الى ذلك حيث قال (ج٢ص ٣٠٥ من النهج الميثمى) فياعجبى ومالى لاأعجب من خطأ هذه الفرق على اختلاف حججها فى دينها لا يقتصّون اثر نبىّ ولايقتدون بعمل وصىّ ولا يؤمنون بغيب ولا يعفّون عن عيب يعملون فى الشبهات ويسيرون فى الشهوات المعروف عندهم ماعرفوا والمنكر عندهم ما انكروا مفزعهم فى المعضلات الى انفسهم وتعويلهم فى المهمّات على آرائهم كأن كل امرء منهم امام نفسه قد أخذ منها فيما يرى بعرى ثقات وأسباب

محكمات .

وما أصوب هذا الكلام وأبلغه من الواقع فان اهل الدين الواحد لا يفترقون الاّ على اساس ما اشرنا اليه من سوء التطرق الى الواقع والأستعجال فى فهم القضايا النظرية وحسن الظن بالنفس والأعتماد على ثقافتها والاّ فالدين الذى جاء به داعيته دين واحد لا مجموعة امور متعاندة وما كثّر هذا الدين الواحد الاّ اعمال الاذواق المتعددة فيه من اناس ليسوا من البرهان والواقع فى قليل ولا كثير فالمعروف مثلا عند كل واحد من هؤلاء المتطفلين ماكان بنظره معروفا والمنكر ماكان فى ذائقته منكرا يفزع فى الامور المشكلة الى نفسه القائم بها هذا الأشكال ويعوّل فى المهمّات على رأيه من دون أن يراجع غيره ليتعاون معه حدّ الأقل على كشفها وحلّها كأن كلّ امرئ منهم امام نفسه فليس هو بحاجة الى مصدر يرجع اليه ومرجع يعتمد عليه قد اخذ منها فيما يرى ويحسب لها بعرى ثقات لا تقصم واسباب محكمات لا تنهن ولا تنقض وكل بلاء فى عالم الأديان والعلوم والأعمال الناتجة عن ذلك منشؤه الوحيد هو هذا الغلط العجيب .

يعتبر الأنسان نفسه متدينا بدين جاء به غيره ومتعبدا بنزعة دعاه اليها من سواه لكنه لا يقوم بشرائط التبعية لهذا الدين ولتلك النزعة ومن شرائطها الأخذ عن المصدر ان كان وعن وصيّه القائم بتوضيح المبهمات وتفصيل المجملات ان لم يكن لا أن يحكّم نظر نفسه ويأليته كان من اهل النظر والمقاييس المبرهن عليها المحققة بالدقة ويفزع فيما اشكل عليه الى ذاته الجاهلة به ويعوّل فى المهمّات البعيدة عن افق فكره على رأيه ويعتبر شخصه المحتاج الى معاونة غيره رافعا لحاجته وموئلا لرفع حيرته أليس هذا هو التناقض بنفسه والتدافع بعينه والتمانع بحقيقته .

وعلى اساس نفوذ الجهل المركب فى الاكثر الأوفر من المنتسبين لمدرسة الأديان والعلوم عزّ تناول الحقيقة ومناولتها للناس حذرا من تهجم هؤلاء المتفرعنين على طالبى الحقائق الراهنة فكم هاب متضلع فى الحديث ابراز نظره فى هناته من المحدثين اولئك الذين لا يستطيعون تمييز الحشف من الرطب والمدخول من الصحيح وكم خاف مجتهد متوسع من تخطأة العوام فيما هم عليه من مختلفات اوهامهم الدارجة فيما بينهم وكم حذر فيلسوف ماهر من صولة المتفلسفين عليه فى تفنيد بعض انظارهم وقس على هؤلاء غيرهم من مهرة الفنون والمتطفلين عليها .

ولا اغرب من امام معترف بأمامته عند المأموم به ومع ذلك لا يستطيع ان ينكر ماعليه المأموم به من خطأ ومن المقولة ماكان عليه علىّ عليه السلام مع اتباعه الذين يريقون دمائهم بين يديه وبلا فاصلة يعتبرونه كواحد من الكفرة باللّه الملحدين فى دينه ونحن قد شاهدنا فى عصرنا كما شاهد غيرنا فى عصورهم ان الفقهاء العظام فى مقابل المنتسبين للدين من العوام لااختيار ولا رأى لهم بالمرة ذلك لان فريق المتدينين هم هؤلاء وهم اهل الاحترام للعالم والأكرام له وتقديم الاموال بين يديه والصلاة خلفه وعمّار ديوانه وحاشيته واركانه فلم يبق فى هذه الميادين الاّ الذين يختلط اكثرهم بأهل العلم ويأتون بعد ذلك حاكمين عليهم لا يستطيع العالم فى قبالهم ايّة حركة واىّ سكون ومتى لم يرضوا عليه اسقطوه عن درجة الاعتبار ومن هنا لم يتصدر عالم بين هؤلاء الجهّال الاّ وهو فى ضيق من نفسه ان كان واقعيا وامّا الاحرار من الافاضل فهم على هامش هذا الاجتماع ومن هنا تعرف ميزانية عقول هؤلاء الزعانف المنتسبين للدين المؤيدين له ومن جملتهم الخوارج الذين قصموا ظهر علىّ وأضاعوا دمائهم ودماء اخوانهم من المؤمنين فى واقعة صفّين .

ومجمل الأسباب التى اوجبت هذا الأنهيار هو انّ امارات الغلبة ليلة الهرير كانت لائحة على اهل الشام فلما عاينوا الهلاك استشار معاوية عمرو بن العاص فى كيفية الخلاص فقال عمرو ان رجالك لا تقوم لرجاله ولست مثله انه يقاتلك على امر وانت تقاتله على غيره وانت تريد البقاء وهو يريد الفناء واهل العراق يخافون منك ان ظفرت بهم واهل الشام لا يخافون عليا ان ظفر بهم ولكن ألق الى القوم امرا ان قبلوه اختلفوا وان ردوه اختلفوا ادعهم الى كتاب اللّه حكما بينك وبينهم فانك بالغ به حاجتك فانى لم ازل اوّخر هذا الأمر لوقت حاجتك اليه فعرف معاوية ذلك فلما اصبحوا رفعوا المصاحف على اطراف الرماح وكان عددها خمسماءة مصحف ورفعوا مصحف المسجد الأعظم على ثلاثة رماح مشدودة يمسكها عشرة رهط ونادوا بأجمعهم اللّه اللّه معشر العرب فى النساء والبنات اللّه اللّه فى دينكم هذا كتاب اللّه بيننا وبينكم فقال علىّ عليه السلام اللّهم انك تعلم انهم ما الكتاب يريدون فاحكم بيننا وبينهم انك انت الحكم الحقّ المبين وحينئذ اختلف اصحابه فقالت طائفة ــ القتال القتال ــ وقال اكثرهم المحاكمة الى الكتاب ولا يحلّ لنا الحرب وقد دعينا الى حكم الكتاب وتنادوا من كل جانب الموادعة فقال عليه السلام فى جوابهم ايّها الناس انّى احقّ من اجاب الى كتاب اللّه ولكن معاوية وعمرو ابن العاص وابن ابى معيط ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن انى اعرف بهم منكم صحبتهم صغارا ورجالا فكانوا شرّ صغار وشرّ رجال ويحكم انها كلمة حقّ يراد بها باطل انهم ما رفعوها لأنهم يعرفونها او يعملون بها ولكنها الخديعة والمكيدة والوهن أعيرونى سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحقّ مقطعه ولم يبق الاّ ان ينقطع دابر القوم الظالمين فجاءه عشرون الفا من اصحابه ونادوه باسمه دون امرة المؤمنين أجب القوم الى كتاب اللّه

اذ دعيت اليه والاّ قتلناك كما قتلنا عثمان فقال عليه السلام ويحكم انا اوّل من اجاب الى كتاب اللّه واوّل من دعا اليه فكيف لا اقبله وانّما قاتلتهم ليد ينوا بحكم القرآن ولكنّى قد أعلمتكم انّهم قد كادوكم وليس العمل بالقرآن يريدون ــ فقالوا ــ ابعث الى الأشتر يأتيك وقد كان الأشتر صبيحة ليلة الهرير قد اشرف على عسكر معاوية ليدخله ولاح له الظفر فبعث اليه علىّ فرجع على كره منه ووقع بينه وبين من اجاب الى الحكومة من اصحاب علىّ مسابّ ومجادلات على ما اختاروا من ترك الحرب وتنادوا من كل جانب رضى امير المؤمنين بالتحكيم وكتبوا عهدا على الرضا به .

انظر الى هؤلاء المجانين كيف اضاعوا على انفسهم موادّ لا تعد لها الدنيا قيمة لها :.

(١) انهم اضاعوا دماء ما يقرب من ستين الف نسمة فيهم من اجلّة المهاجرين والانصار والاخيار الأبرار العدد الوفير وكلّها اريقت فى هذه الحرب .

(٢) انهم اضاعوا زحمات ١٨ شهرا صرفوها فى هذه الحرب فذهبت من طريق هؤلاء مجّانا بلا عوض .

(٣) انهم أكسبوا النصر لعدوّهم بلا ريب لان اعطاء معاوية هذه الفرص الغالية المشرفة على اخذ النتيجة نصر قطعى له .

وليت شعرى ماذا فهموا من الحكومة الى القرآن فاىّ شىء فى القرآن يحلّ مشكلتهم مع معاوية ابن ابى سفيان :وكما اضاع هؤلاء الجهلاء المجانين هذه الحرب العظيمة التى أبادت الأخيار فى مضامرها وانتجت خلافة معاوية وانهيار علىّ بل انهيار كل فاضل مقدس اضاعوا انفسهم بذلك ايضا فأخذ معاوية يتتبعهم الواحد بعد الواحد حتى افناهم عن بكرة ابيهم تارة بمباشرته واخرى بتسبيبه فى عصره وفى عصور

الباقين من بنى امية :وقبل ذلك اضاع الثانى نظيرها عندما دعا النبىّ فى مرض موته بدواة وقلم ليكتب للناس ما يحصّنهم عن الضلال الأبدىّ بقوله انّ النبىّ ليهجر حسبنا كتاب اللّه وما ادرى كيف يكون كتاب اللّه وحده بحسب المسلمين فى حال ان الكتاب بما فيه من محكمات والسنة النبوية بما فيها من تفاصيل لم يقوما بواجب الأمة فيما تحتاج اليه فى عباداتها ومعاملاتها ولذلك التجأ فقهاء العامة الى اعمال الرأى والقياس والأستحسان والمصالح المرسلة وما الى ذلك ممّا هو ظاهر مكشوف .

ان كتاب اللّه نموذج فى العلوم والمعارف والأحكام وليس بحسب اىّ انسان كان بواضح الضرورة وامّا بطونه السبعة او السبعون الواردة فى حديث اهل البيت فتلك بطون لا يعرفها الاّ الأوصياء وهى مع ذلك ليست من ظواهر الكتاب ولا من مدالیل ألفاظه الاّ بالرموز والتلويحات ومن هنا لمّا بعث علىّ عليه السلام عبد اللّه بن عباس للاحتجاج على الخوارج قال له لاتخاصمهم بالقرآن فان القرآن حمّال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن حاججهم بالسنة فانهم لن يجدوا عنها محيصا (نهج ابن ميثم ج٥ ص٢٣٤) ومثاله قول النبىّ فى حق علىّ حربك حربى :فان هذا الحديث صريح فى حرمة محاربة علىّ والخروج عليه كما تحرم محاربة النبىّ (ص) والأصطفاف فى مقابله .

وليس اعتراض هؤلاء المجانين الجهلة والطغام السفلة على علىّ باوّل غلط ارتكبوه وجهل مارسوه فقد ثبت فى صحيح الأخبار ان رسول اللّه (ص) بينا هو يقسم قسما جاءه رجل من بنى تميم يقال له ذوالخويصرة فقال اعدل يامحمّد فقال (ص) قد عدلت فقال له ثانية اعدل يامحمّد فانك لم تعدل فقال ويلك من يعدل اذا لم أعدل فقام عمر وقال يارسول اللّه ائذن لى فى ضرب عنقه فقال دعه فسيخرج من ضئضىء هذا قوم يمرقون

من الدين كما يمرق السهم من الرمية يخرجون على خير فرقة من الناس تحتقرون صلاتكم عند صلاتهم وصومكم عند صومهم يقرؤن القرآن لا يجاوز تراقيهم فيهم رجل اسود مخدج اليد احدى يديه كأنها ثدى امرأة او بضعة يقتله اولى الفريقين بالحقّ :وفى مسند احمد عن مسروق قال قالت لى عائشة انك من ولدى واحبّهم الىّ فهل عندك علم من المخدج فقلت نعم قتله علىّ بن ابى طالب على نهر يقال له النهروان فقالت أئتنى على ذلك ببيّنة فأقمت على ذلك رجالا شهدوا عندها بذلك ثم قلت لها سألتك بصاحب القبر ما الذى سمعت منه فيهم فقالت سمعته يقول انّهم شرّ الخلق يقتلهم خير الخلق والخليقة واقربهم عند اللّه وسيلة (نهج ابن ميثم ج ٢ ص ٩٠) .

والأغرب من كلّ هذا وذاك ان هؤلاء الطغام لمّا قهروا عليا (ع) على التحكيم واظهروا عنه الرضا به بعد ان حذّرهم ووعظهم فلم يلتفتوا كتبوا كتاب التحكيم واخذه الأشعث بن قيس فطاف به على اصحاب معاوية فرضوا به وطاف به على اصحاب علىّ فرضوا به حتّى مرّ برايات عنزة وكان مع علىّ منهم بصفين اربعة آلاف فارس فلمّا قرأ الكتاب عليهم قال فتيان منهم لاحكم الاّ للّه ثم حملا على اصحاب معاوية فقتلا فيهما اوّل من حكّم ثم مرّ على مراد ثم على رايات بنى راسب ثم على بنى تميم فكل فرقة قرأه عليهم قالوا لاحكم الاّ للّه لانرضى ولا نحكّم الرجال فى دين اللّه فرجع الأشعث فأخبر عليا عليه السلام بذلك فاستصغر امرهم وظنّ انهم قليلون فلما بلغهم امر الحكمين ماراعه الاّ والناس يتنادون من كل جانب لاحكم الاّ للّه الحكم للّه ياعلى لالك وقد كنّا أخطأنا حين رضينا بالحكمين فرجعنا الى اللّه وتبنا فارجع انت وتب الى اللّه كما تبنا والاّ برئنا منك فأبى عليه السلام الرجوع وقال ويحكم أبعد العهد نرجع فما نصنع بقوله تعالى(اوفوا

بعهد الله اذا عاهدتم) وابت الخوارج الاّ تضليل التحكيم والطعن فيه فبرؤا من علىّ وبرئ منهم ٠

ونحن كما لانفهم معنى الحكومة الى القرآن فى قضية حرب علىّ لمعاوية لانفهم معنى قول هؤلاء الزعانف لاحكم الاّ لله فما ندرى هل ان هؤلاء يتوقعون ان يخاطبهم الله صريحا بالحق فى هذه المعركة فلاوحى بعد نبىّ على ان امثال هؤلاء لا يقبلون قول النبىّ مخبرا عن الله كما لم يقبلوا قول علىّ الذى يعتبرونه خليفة رسول الله بحق وعلى ذلك بايعوه وقتلوا انفسهم بين يديه او انّهم يعتبرون حكم الله هو ماحكم به المحكّم الذى ارتضى به الخصمان فعلام نراهم نفوه وأبوه ٠

والحق ان العاقل يواجه من هؤلاء اناسا فى منتهى الخطورة لعجزه عن تحليل مايفهمونه واقناعهم بما يفهم واذا كانوا لا يعترفون لأحد بحكم الاّ لله فقد حكم الله فى المعاهدة بلزوم الوفاء بها فانه لاأظهر من مفاد قوله تعالى اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم وهذا المعنى هو الذى ألزم رسول الله فى صلح الحديبية وبه أخطأ من لم يرض عن الرسول وهم كثيرون فان قال قائل فقد عرض علىّ الحكومة الى القرآن على اصحاب الجمل من طلحة والزبير واتباعهم فما تقول فى تلك الحكومة فانه ليس فى نصوص القرآن مايحلّ المشكلة بين علىّ وبين طلحة وصاحبه واتباعه قلنا يحلّها قول الله الآنف اوفوا بعهد الله اذا عاهدتم فان طلحة والزبير بايعا عليّا قطعا بأجماع المؤرخين وان ادعيا بعد ذلك انّهما بايعاه مكرهين ولا شاهد لهما على هذه الكراهة بل هى دعوى مزوّرة بدليل ان جملة من الناس أبو بيعة علىّ كسعد بن ابى وقاص وابن عمر واسامة بن زيد وافراد آخرين فلم يجبرهم علىّ على البيعة بل أمر أصحابه بعدم التعرض لهم والقضية مضبوطة فى التاريخ أتمّ ضبط ٠

وقد ذكر علىّ عليه السلام حال الزبير وطلحة واتباعهما بقوله فى الزبير يزعم انه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه فقد اقرّ بالبيعة وادّعى الوليجة فليأت عليها بأمر يعرف والاّ فليدخل فيما خرج منه (نهج ابن ميثم ج ١ ص ٢٨٣) وقوله فى طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما والأستعانة فى الأمور بهما :لقد نقمتما يسيرا وارجأتما كثيرا الا تخبرانى اىّ شىء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه واىّ قسم استأثرت عليكما به ام اىّ حقّ رفعه الىّ احد من المسلمين ضعفت عنه ام جهلته ام أخطأت بابه والله ماكانت لى فى الخلافة رغبة ولا فى الولاية اربة ولكنكم دعوتمونى اليها وحملتمونى عليها فلمّا افضت الىّ نظرت الى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتبعته وما استنّ النبىّ (ص) فاقتديته فلم احتج فى ذلك الى رأيكما ولا رأى غيركما ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما واخوانى المسلمين ولو كان ذلك لم أرغب عنكما ولا عن غيركما وامّا ماذكرتما من امر الأسوة ذلك امر لم احكم انا فيه برأيى ولا وليته هوى منى بل وجدت انا وانتما ماجاء به رسول الله (ص) قد فرغ منه فلم احتج اليكما فيما قد فرغ الله من قسمه وامضى فيه حكمه فليس لكما والله عندى ولا لغيركما فى هذا عتبى اخذ الله بقلوبنا وقلوبكم الى الحق وألهمنا واياكم الصبر ــ ثم قال عليه السلام ــ رحم الله امرء رأى حقا فأعان عليه او رأى جورا فردّه وكان عونا بالحقّ على صاحبه (نهج ابن ميثم ج٤ ص ٩) .

وقال عليه السلام ايضا فى ذكر السائرين الى البصرة لحربه(ع) فقدموا على عمّالى وخزّان بيت مال المسلمين الذى فى يدى وعلى اهل مصر كلّهم فى طاعتى وعلى بيعتى فشتّتوا كلمتهم وأفسدوا علىّ جماعتهم ووثبوا على شيعتى فقتلوا طائفة منهم غدرا وطائفة منهم عضّوا على اسيافهم فضاربوا بها حتى لقوا الله صادقين (نهج ابن ميثم ج٤ ص ٥٠) .

ومن كلام له عليه السلام فى معنى طلحة والزبير :فأقبلتم الىّ اقبال العوذ المطافيل على اولادها تقولون البيعة البيعة قبضت يدى فبسطتموها ونازعتكم يدى فجذبتموها اللّهم انّهما قطعانى وظلمانى ونكثا بيعتى والبّا الناس علىّ (ج٣ص٦٦ انهج ابن ميثم) ٠

ومن خطبة له عليه السلام ذكر فيها طلحة والزبير واتباعهم :فخرجوا يجرّون حرمة رسول اللّه (ص) كما تجرّ الأمة عند شرائها متوجهين بها الى البصرة فحبسا نسائهما فى بيوتهما وابرزا حبيس رسول اللّه(ص) لهما ولغيرهما فى جيش مامنهم رجل الاّ وقد اعطانى الطاعة وسمح لى بالبيعة طائعا غير مكره فقدموا على عاملى بها وخزّان بيت مال المسلمين وغيرهم من اهلها فقتلوا طائفة صبرا وطائفة غدرا فواللّه لو لم يصيبوا من المسلمين الاّ رجلا واحدا معتمدين قتله بلا جرم جرّه لحلّ لى قتل ذلك الجيش كلّه اذ حضروه فلم ينكروا ولم يدفعوا عنه بلسان ولا بيد دع ما انّهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدة التى دخلوا بها عليهم (ج٣ص٣٣١ نهج ابن ميثم) ٠

ومن كتاب له عليه السلام الى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعى :امّا بعد فقد علمتما وان كتمتما أنّى لم ارد الناس حتى ارادونى ولم أبايعهم حتى بايعونى وانكّما ممنّ أرادنى وبايعنى وان العامّة لم تبايعنى لسلطان غالب ولا لعرض حاضر فان كنتما بايعتمانى طائعين فارجعا وتوبا الى اللّه من قريب وان كنتما بايعتمانى كارهين فقد جعلتما لى عليكما السبيل بأظهاركما الطاعة واسراركما المعصية ولعمرى ماكنتما بأحقّ المهاجرين بالتقية والكتمان وانّ دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلا فيه كان اوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به ٠

(نهج ابن ميثم ج٥ ص١٨٧)

هذا والأعجب من كل مامرّ من هؤلاء الأوباش قولهم لامير المؤمنين بعد ما تبيّن لهم خطأهم انّا كنّا اخطأنا حين رضينا بالحكمين فرجعنا الى اللّه وتبنا فارجع انت وتب الى اللّه كما تبنا والاّ برئنا منك :نعم لا شكّ انهم اخطأوا خطئا لا يعد له خطأ فقد اتلفوا باختلافهم على زعيمهم دنيا من الماديّات والمعنويات والحيثيات كما اشرنا الى ذلك آنفا لكن لا نفهم معنى رجوعهم الى اللّه وتوبتهم من ذنبهم فأن الطريق الى اللّه منحصر بهم فى امامهم والأصاخة لطاعته والأئتمار بما يأمرهم به وهم لم يفعلوا ذلك وكيف صحّ لهم ان يقولوا لعلىّ تب الى اللّه وهم ألجأوه الى متابعتهم فيما رأوه من الحكومة فهل هناك موضع للتوبة حتى يقال للملجأ تب الى اللّه .

ولا يعلم الاّ اللّه كم حزّ موقف التحكيم فى نفس امير المؤمنين عليه السلام ولا غرابة فقد أخسره كافّة زحماته وجهوده والخلّص من اصحابه واتى على خلافته بالتمزيق وعلى عدوه بالنصر واحراز الموقف ونيل ماكان يتمنّاه فقد خلقت قضية التحكيم حرب النهروان وشتتت بلاد علىّ كلّها عليه فأخذ البلد ينتقض عليه اثر البلد وينحرف عنه العامل اثر العامل وحتّى ادّى به الوضع ان يتجاسر عليه وحوش العوام من تحت منبره وأن يسير لأسكان بعض الحوادث بروحه المجردة لاغيرها :وفى هذا المورد قال عليه السلام لما بلغه اغارة معاوية على الأنبار فخرج بنفسه ماشيا حتّى اتى النخيلة فأدركه الناس وقالوا ياأمير المؤمنين نحن نكفيكهم فقال ماتكفوننى انفسكم فكيف تكفوننى غيركم ان كانت الرعايا قبلى لتشكو حيف رعاتها فأننى اليوم لأشكو حيف رعيتى كأننى المقود وهم القادة اوالموزوع وهم الوزعة :فلما قال عليه السلام هذا القول تقدم اليه رجلان من اصحابه فقال احدهما انى لا أملك الاّ نفسى واخى فمر بأمرك ياأمير المؤمنين فقال

عليه السلام واين تقعان ممّا اريد (نهج ابن ميثم ج٥ص٣٧٦) .

وما أصدقه قائلا حيث قال ان كانت الرعايا قبلى لتشكو حيف رعاتها فانني اليوم لأشكو حيف رعيتى :فهذا الرجل الثالث على كثير هناته من تلاعبه ببيوت اموال المسلمين وحيثيات اكابر المؤمنين واستعماله للفسقة السكّرين الذين يصلّون بالناس سكارى ويقيئون الخمر بمحراب المسجد ويعربدون وهم فى حالة السلاة أصاخت لحكومته الناس طوال اثنتى عشرة سنة وعلىّ هو من هو فى طهارته ونزاهته واتلاف اوقاته فى مصالح هؤلاء الجفاة لانراه يقرّ به قرار من رعاياه هؤلاء .

ومن الغرائب ان هذا العلامة المفضال الذى اعترف له الّد خصومه فى الواقع بأعلا مقامات الفضيلة حيث قال لولا علىّ لهلك عمر ولولاك لأفتضحنا ولا بقيت لمعضلة ليس لها ابو الحسن كان يناقشه الحساب على مايقول ويفعل حتى عوام الناس ووحوش بنى آدم ولم نرهم فاهوا امام من قبله لا بقليل ولا بكثير وكل هذا وذاك داعيه اتساق الامور وتشويشها فالمشايخ قبله لما أتسقت امورهم مشت كل اقوالهم وافعالهم مشى الماءفى مطرّده وهذا الانسان لمّا توزعت عليه اموره منذ يوم الجمل خفّ قوله وفعله فى انظار الناس واسماعهم .

هذا ولولا انه من ابطال الدهر فى كل شئ من اشيائه لتهافت على سفوحه من اول يوم قام فيه بالخلافة وهو عليه السلام كان ينتظر كل ذلك من زمانه لان المؤمن ينظر بنور اللّه ومن جملة ماادلى به قوله لمّا أريد على البيعة بعد قتل عثمان :دعونى والتمسوا غيرى فأنّا مستقبلون امرا له وجوه وألوان لاتقوم له القلوب ولا تثبت عليه العقول وانّ الآفاق قد اغامت والمحجة قد تنكّرت واعلموا ان اجبتكم ركبت بكم ماأعلم ولم أصغ الى قول القائل وعتب العاتب وان تركتمونى فأنا كأحدكم ولعلىّ اسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه

امركم وانا لكم وزيرا خير لكم منّى اميرا (نهج ابن ميثم ج٢ص ٣٨٥) .

ومن آثار خسارته الحرب فى صفين باختلاف الزعانف من اصحابه عليه انتقاض بلاده بلدا اثر بلد وعمّاله عاملا بعد عامل وجسارة الهمج الرعاع على مقام قدسه :فمن ذلك ماكتبه لعبد اللّه بن عباس بعد مقتل محمد بن ابى بكر :امّا بعد فانّ مصر قد افتتحت ومحمد بن ابى بكر رحمه اللّه قد استشهد فعند اللّه نحتسبه ولدا ناصحا ـ الى ان يقول ـ فواللّه لولا طمعى عند لقائى عدوّى فى الشهادة وتوطينى نفسى على المنيّة لأحببت ان لاابقى مع هؤلاء يوما واحدا ولا التقى بهم ابدا (نهج ابن ميثم ج٥ ص٧٦) .

ومن كتاب له الى اهل مصر مع مالك الأشتر لمّا ولاّه امارتها :وانى الى لقاء اللّه لمشتاق وحسن ثوابه لمنتظر راج ولكنّنى آسى أن يلى امر هذه الأمة سفهاؤها وفجّارها فيتخذوا مال اللّه دولا وعباده خولا والصالحين حربا والفاسقين حزبا فانّ منهم الذى قد شرب فيكم الحرام وجلد حدا فى الأسلام وانّ منهم من لم يسلم حتى رضخت له على الأسلام الرضائخ فلولا ذلك ماكثرت تأليبكم وتأنيبكم وجمعكم وتحريضكم ولتركتكم اذ أبيتم ونيتم الا ترون الى اطرافكم قد انتقصت والى امصاركم قد افتتحت والى ممالككم تزوى والى بلادكم تغزى (نهج ابن ميثم ج٥ ص٢٠١و٢٠٢) .

ومن كتاب له الى سهل بن حنيف الانصارى وهو عامله على المدينة فى معنى قوم من أهلها لحقوا بمعاوية :امّا بعد فقد بلغنى ان رجالا ممنّ قبلك يتسللون الى معاوية فلا تأسف على مايفوتك من عددهم ويذهب عنك من مددهم فكفى لهم غيّا ولك منهم شافيا فرارهم من الهدى والحق وايضاعهم الى العمى والجهل :الى آخر ماذكره عليه السلام (نهج ابن ميثم ج٥ص ٢٢٥) .

ومن كتاب له الى المنذر بن الجارود العبدى وقد خان فى بعض ماولاّه من أعماله :امّا بعد فان صلاح ابيك غرّنى منك وظننت انك تتبع هديه وتسلك سبيله فاذا انت فيما رقىّ الىّ عنك لا تدع لهواك انقيادا ولا تبقى لآخرتك عتادا تعمر دنياك بخراب آخرتك وتصل عشيرتك بقطيعة دينك ولئن كان ما بلغنى عنك حقا لجمل اهلك وشسع نعلك خير منك — الى آخر ماكتب — نهج ابن ميثم ج٥ ص٢٢٧ .

ومن خطبة له وقد تواترت عليه الاخبار باستيلاء اصحاب معاوية على البلاد وقدم عليه عامله على اليمن وهما عبيد اللّه بن عباس وسعيد بن نمران لمّا غلب عليهما بسر بن ابى أرطاة فقام عليه السلام على المنبر ضجرا بتثاقل اصحابه عن الجهاد ومخالفتهم له فى الرأى فقال ماهى الاّ الكوفة اقبضها وأبسطها ان لم تكونى الاّ انت تهبّ اعاصيرك فقبّحك اللّه وتمثّل بقول الشاعر :

لعمر ابيك الخير يا عمرو انّنى
على وضر من ذا الاناء قليل

ثم قال عليه السلام أنبئت بسرا قد اطلّع اليمن وانى واللّه لأظنّ ان هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم امامكم فى الحق وطاعتهم امامهم فى الباطل وبأدائهم الأمانة الى صاحبهم وخيانتكم وبصلاحهم فى بلادهم وفسادكم فلو ائتمنت احدكم على قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته اللّهم انى قد مللتهم وسئمتهم وسئمونى فأبدلنى بهم خيرا منهم وأبدلهم بى شرّا منّى اللّهم مث قلوبهم كما يماث الملح فى الماء أما واللّه لودت انّ لى بكم الف فارس من بنى فرس بن غنم .

هنالك لو دعوت اتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم

(نهج ابن ميثم ج٢ص١٧) .

ومن خطبة له عليه السلام :الا وانّى قد دعوتكم الى قتال هؤلاء القوم ليلا ونهارا وسرّا واعلانا وقلت لكم اغزوهم قبل أن يغزوكم فواللّه ماغزى قوم فى عقر دارهم الاّ ذلّوا فتواكلتم وتخاذلتم حتّى شنّت الغارات عليكم وملكت عليكم الاوطان وهذا اخو غامد وقد وردت خيله الأنبار وقد قتل حسّان بن حسّان البكرى وأزال خيلكم عن مسالحها ولقد بلغنى ان الرجل منهم كان يدخل على المرءة المسلمة والاخرى المعاهدة فينتزع حجلها وقلبهـــا وقلائدها ورعاثها ماتمنع منه الاّ بالاسترجاع والاسترحام ثم انصرفوا وافرين مانال رجلا منهم كلّم ولا أريق لهم دم فلو أن امرءً مسلما مات من بعد هـا أسفا ماكان به ملوما ــ الى آخر ماقال (نهج ابن ميثم ج٢ص٢٩) .

هذا وقد اسلفنا ان مسألة التحكيم فتّت فى عضد امير المؤمنين كثيـرا لعلمه بنتائجها السيئة التى يواجهها هو ونفعها الذى استفاده معاوية وبمقدار مايستفيد هذا الرجل يتضرر ذاك الرجل والحساب واضح جـدّا على انّ هذه المسألة لم تقف عند حدّها بل اخذت تغذّ فيها المناقشات وتكثر فيها المجادلات ولا غرابة فكل انسان اذا انخذل او أصيب مـــن طريق شيء كان ذلك الشيء ورد لسانه لان العجز عن الوصول الى المقصد يترك الانسان شبيه موسوس اذا فقد انسانا يحادثه اخذ يكثر الحديـث مع نفسه وحاشا شهامة علىّ عن ذلك ولكن اصحابه بكثرة الاعتراض عليـــه يلجئونه الى الجواب وله فى ذلك اجوبة متنوعة .

فمنها قوله :الحمد للّه وان اتى بالخطب الفادح والحدث الجليـــل وأشهد ان لا اله الاّ اللّه وحده لاشريك له ليس معه الاه غيره وان محمدا عبده ورسوله (ص) امّا بعد فان معصية الناصح الشفيق العالم المجـــرب تورث الحيرة وتعقب الندامة وقد كنت امرتكم فى هذه الحكومة أمرى ونخلت

لكم مخزون رأيي لوكان يطاع لقصير امر فأبيتم اباء المخالفين الجناة والمنابذين العصاة حتى ارتاب الناصح بنصحه وضنّ الزند بقدحه فكنت وإيّاكم كما قال اخو هوزان :

أمرتكم أمري بمنعرج اللوى

فلم تستبينوا النصح الاّ ضحى الغد

نهج ابن ميثم ج٢ ص٨٤ .

وهنا نكات :

(١) ان قوله الحمد للّه وان أتى الدهر بالخطب الفادح الى آخر ذكره للرسول (ص) مما يعطيك عن هذا الرجل ايمانا قويا باللّه وتفويضا عظيما لقضاءه وقدره وصبرا لاتقوم له الجبال بدليل اننا نرى اقلّ الحوادث تعبث بروح الانسان وتموّجه من حالة الى حالة فقد يعود بعد الأيمان ملحدا حادّا وبعد التحلّم مهتوك السرّ والعلانية لكنّ هذا الانسان على ماأصيب في حقوقه وحيثياته وكراماته منذ فوت رسول اللّه الى آخر لحظة من حياته نراه مكثرا لذكر اللّه معظما لجانبه مطيعا له اتمّ الطاعة معترفا بحكمة كل ماصدر عنه مفوضا له في الرزايا والبلايا وهذا المعنى لا يحصل من ايّ انسان اقترنت به ملابسات علىّ في حياته والاقترانات الجافّة التي سايرته في آنات عمره .

(٢) ان النصيحة لها مراتب فقد ينصح الانسان طرفه نصحا عبوريا بداعي اداء خدمة انسانية واخرى ينصحه لانه يهمّه امره حبّا له او خوفا عليه وكلا هذين الناصحين قد يكونان سطحيين في معرفتهما لا اتصال لهما بواقع الحقائق ولا امتزاج لهما بالعلم الصادق واخرى يكونان من اهل الفضيلة الذين لا ينخدعون بالسفسطة والآراء السطحية والعالم قد يكون يعرف المفاهيم ويجيد تحليلها على المقاييس التي درسها الاّ انه

قد لا يكون من اهل التطبيق والدربة والتمرين واخرى يكون مطبقا حاذقا ومدرّبا احسن تدريب ولا ريب ان أحسن النصيحة ماكان واجدا لدواعى الشفقة وقائما بالعلم الناضج قد خلّصته التجارب من كل شوب وشكّ واذا حصلت هذه النصيحة فشفعت بالطاعة كانت اعظم ثروة يوفق لها المنصوح واذا اقترنت بالمعصية اعطت محروميات عظيمة غير قابلة للتدارك بالمرة .

(٣) انّ عليا بما انطوى عليه من ايمان باللّه وحبّ للصالح الأنسانى العام كما هى شارة كل مثالىّ وروحية كل عبد صالح وعلم جم وتجارب قاطعة لا بتخالج فى نفس ايّ انسان انه ناصح للأمّة عامة شفيق بالناس جميعا ونصائحه المشفوعة بالشفقة قائمة بعلم صادق وتجارب قاطعة ساطعة : هذا من الوجهة العامّة فكيف اذا كانت لأخصّاء واصدقاء اعزّاء لا شكّ حينذاك تكون اشدّ واقوى كما لا شك ان معصية مثل هذه النصيحة تورث حسرة وتعقب ندامة فى الناصح والمنصوح كليهما .

امّا حيرة الناصح وندامته فلأنه يعود يضرب اخماسا بأسداس فى نفسه ويقول مع غلاء هذه النصائح فى نفسها ومراعاة تمام الأخلاص فى ادائها كيف لا ارى لها اثرا فى المنصوح وما الذى حازه عن قبولها وانحاز به الى ردّها وممّا لا شكّ فيه ان بذل الخدمة من صميم القلب لصالح الطرف اذا ووجه بالرّد والجفاء يدعو الى الندامة وامّا حيرة المنصوح وندامته مع مخالفته للنصيحة فمن الوضوح بمكان لان تفويت الفرصة والتلبس بضد ماكان يلتمس الانسان يوجب حيرته فى المخرج من هذه الورطة وندامته على مافاته .

(٤) ولا شكّ ان عليّا عليه السلام بذل تمام وسعه فى افهام القوم ان المنظور بهذه الحكومة هو ردّهم الى الوراء نصرة لمعاوية وتقديما لمرامه فأبى القوم عليه اباء مخالف لناصحه الشفيق العالم المجرّب جان على نفسه

وعلى غيره منابذ لأمامه الذى اراق دمه بين يديه عاص لـه .

(٥) وقوله عليه السلام حتى ارتاب الناصح بنصحه وضنّ الزند بقدحه ضرب مثل ساقه فان الناصح العالم اذا ابدى نصحه ووجه بالخلاف قد يعود متهما لرأيه وينكمش فى زاوية السكوت فلا يبدى رأيا ولا يجود من نفسه بنصيحة : ثم عقّب ذلك بقوله فكنت فى نصحى لكم ومخالفتكم ايّاى حتّى اتضح لكم خطأكم واعطائكم الفرصة من ايديكم حيث لا ينفع الندم كما قال اخو هوزان :

أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى

فلم تستبينوا النصح الاّ ضحى الغد

ولكن لم تستفيدوا من استبانة النصح منّى والخطأ منكم الاّ الوقوع فيما لا ترضون والسقوط على ما لا تهوون .

ومنها قوله عليه السلام ايضا لمّا سمع قولهم لاحكم الاّ لله : كلمة حق يراد بها الباطل نعم انه لاحكم الاّ لله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة الاّ لله وانه لابدّ للناس من امير برّ او فاجر يعمل فى امرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلّغ الله فيها الأجل ويجمع به الفئ ويقاتل به العدوّ وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوىّ حتى يستريح برّ ويستراح من فاجر (نهج ابن ميثم ج٢ ص ١٠١) .

وفى هذا الفصل نكات ايضا :

(١) ان الذين دعوا الى الحكومة وهم معاوية وحزبه قالوا كلمة هى حقّ فى ذاتها ولكنهم ارادوا بها باطلا امّا كونها حقّا فى ذاتها فأن الاحكام التى يناط بها البشر فى حقير وخطير هى من حقّ الله اذ لاحاكمية حقيقة على العباد الاّ للمعبود غايته انّ هذا الحكم الواقعى للموضوع تارة يتصل بالمكلّف فيتنجّز عليه واخرى لا تنوشه الأمارات والأصول

والعقول الاّ بلسانها هى فتكون عذرا له وهى التى يقال لها الاحكام الظاهرية .

واما كونها أريد بها الباطل فان الذين دعوا اليها انما ارادوا بذلك التنفيس عن انفسهم من مضايقة مقابلهم فحسب ولو كان معاوية من اهل هذا المنطق لدعا الى هذه الحكومة بمجرد ان أراده علىّ الى البيعة :هذا وقد أسلفنا ان الدعوة الى القرآن فى امثال هذه القضايا غلط لامجال له اذلا لسان للقرآن فى خصوص علىّ ومعاوية واذا رجعت القضايا للمفاهيم العامّة بقيت على اشكالها لان المفهوم العام ليس به حلّ لمشكل اصلا لتجاذب اطراف الخصومة هذا اذا كان فى البين من ذلك شئ نعم يحكم علىّ معاوية بواحد من امور ثلاثة (الأوّل) ان المنطق الذى ادلى به القوم فى السقيفة هو اولى به منهم لانه اقرب الى رسول اللّه منهم ومن غيرهم وأسبق الى الأسلام واذبّ الناس عنه فاذا كان منطق القوم حقا كان هذا الحق ثابتا له امام معاوية وغيره (الثانى) انه اجمع للمحاسن وأفضل من معاوية بآلاف المرات باعتراف الجميع فهو احقّ منه بادعاء الخلافة ومن وظيفة معاوية الانقياد له (الثالث) ان كل من بايعه من المهاجرين والأنصار وغيرهم بايعه عن اختيار تام ولم تصادف بيعة كبيعته فى هذا الاختيار والرضا فكان من وظيفة معاوية وغيره الانقياد لمن بايعه الناس بالخلافة كما رأى هؤلاء ان وظيفتهم الانقياد للمشايخ الثلاث بأقلّ ممّا حصل لعلىّ :هذا كله اذا اغمضنا النظر عمّا ورد فى علىّ من آثار عن النبىّ (ص) قاطعة فى خلافته .

(٢) اعترف الأمام عليه السلام بانّه لاحكم الاّ للّه لأنّ هذه الكلمة فى اصلها الأولىّ حقّ وبانبساطها كذلك حق وهذا الحق يرجع للفقيه الجامع الشرائط لأن حكمه حتى لو لم يصادف الواقع فهو منجّز التوظيف

على المكلف حتى يكون عذرا له والفقيه الجامع الشرائط هو علىّ من هؤلاء الناس بالضرورة هذا وانّ عليّا عليه السلام تعقّب مقالة انه لاحكم الاّ للّه بقوله ولكن هؤلاء يقولون لا امرة الاّ للّه :والمشار اليهم بهؤلاء وهم الخوارج لم يقولوا هذا القول انه لاامرة الاّ للّه لكنّ الأمام عليه السلام استنتج ذلك بالملازمة بان الحكم اذا كان للّه فحسب كانت الأمرة القائمة بذلك للّه ايضا لانه لامجال للحكم من دون حاكم به والحاكم هو الأمير والحكومة هى الأمرة وذلك حق ايضا فى اصل المنطق الاّ ان اللّه سبحانه لا يباشر عباده بتوظيف الأحكام ولا بأجرائها عليهم من دون توسيط رسل يعبّرون عنه ويقومون بتحقيق ماعبّروه فحاكمية اللّه وامرته فى عالم التشريع لاتكون بدون واسطة والواسطة امّا رسول او وصىّ عنه او من نزّلوه منزلة انفسهما وهو الحاكم الشرعى الجامع لشرائط التنزيل الاّ ان الناس لمّا مالوا عن امرة اللّه ورسوله واوصيائه وراحوا ينضوون تحت راية كل رئيس حصّل الرياسة لنفسه بشتّى الطرق لم يتحقق لمفاد لا امرة الاّ للّه مصداق ولذلك توجه اليهم الأمام :فقال وانه لابدّ للناس من امير برّ او فاجر: بالتوضيح التالى ·

(٣) ان الاجتماع البشرى باعتبار تنزّى الميول فيه على العقول وغلبة الاهواء النفسية على الاعتبارات العقلية لا يستطيع ان يحتفظ بوجوده يوما واحدا للتغالب الناشىء فيه عن الميول والأهواء ولذلك هو دائما بحاجة الى حكومة تضبطه وتنظّم مجاريه ولا شكّ ان الحكومة التى تستطيع ان تقف امام التغالب هى الحكومات العادلة لاكلّ حكومة نعم ان الحكومات التى هى دون الحكومات الشرعيّة وان كانت بطبيعتها لاتستطيع ان تقف امام الجور من الانتهازيين لوجود غير النزيهين فى طبقاتها الاّ انّها تسدّ بعض الحاجة وتقف امام بعض من العرامة وتقوم ببعض التنظيم ووجود

هذا الحكم الناقص خير من عدمه قطعا بل لابدّ منه جزما والاّ انهارت اشياء الأجتماع بقليله وكثيره وهذا المعنى هو الدافع لقوله عليه السلام وانّه لابدّ للناس من امير برّ او فاجر البرّ تتركز من طريقه العدالة الاجتماعية كلّها والفاجر اذا لم يكن مهتوكا من جميع وجوهه لاتخلو حكومته من بعض النظام والأمن والأمان وهذا الأمير المجمل ان كان برّا عمل فى حكومته المؤمن وان كان فاجرا استمتع فيها الكافر والحكومات على اطلاقها الاّ المخرّبة منها فقط لاتعدم جمع الفيء وتصريفه فى الدوائر القائمة بالنظام والجيوش التى يقاتل بها العدو وتأمن بها السبل ويؤخذ من طريقها للضعيف من القوىّ الى غير ذلك من شؤن الحكومات وبالنتيجة كون لاحكم الاّ للّه حقّ وانّ الامرة للّه حق كذلك الاّ انهما يحتاجان الى التزام المكلفين بهما واجرائهم لهما وذلك غير حاصل فما تقولونه صرف الفاظ لامحقّق لها وأهم دعامة المحقق لذلك اتكاؤه على كثراتكم وانتم اوزاع متشتتون وعصاة منابذون وجناة مخربون .

ومنها قوله عليه السلام :فى شأن الحكمين وذمّ اهل الشام :جفاة طغام عبيد اقزام جمّعوا من كلّ اوب وتلقطوا من كل شوب ممّن ينبغى أن يفقّه ويؤدب ويعلّم ويدرّب ويولّى عليه ويؤخذ على يديه ليسوا من المهاجرين والانصار ولا من الذين تبوأو الدار ألا وان القوم اختاروا لأنفسهم اقرب القوم ممّا يحبّون وانكم اخترتم لأنفسكم اقرب القوم ممّا تكرهون وانّما عهدكم بعبد اللّه بن قيس بالأمس يقول انّها فتنة فقطعوا اوتاركم وشيموا سيوفكم فان كان صادقا فقد اخطأ بمسيره غير مستكره وان كان كاذبا فقد لزمته التهمة فادفعوا فى صدر عمرو بن العاص بعبد اللّه بن عبّاس وخذوا مهل الأيام وحوطوا قواصى الأسلام الا ترون الى بلادكم تغزى والى صفاتكم ترمى (نهج ابن ميثم ج٤ص٣٢٨) .

الجفاة جمع جافى وهو الذى من سوء طباعه وتوحش أخلاقه يميل الى الجفاء اكثر من المسالمة والى الأعراض اكثر من الأقبال والطغام هم اراذل الناس وسقطهم وليس المنظور بالعبيد من كانوا مملوكين للأغيار بل المنظور سقوط وزنهم فى انظار الناس وسراية حسّ السقوط والأمتهان الى انفسهم فلا يربأون بها عن الرذائل والدنايا والأقزام جمع قزم بفتح الزاء وهو الدنىء من الناس والمراد بقوله من كل اوب من كل ناحية وجهة والالتقاط هو اللّم والشوب الخلط والتدريب هو التمرين ويولّى عليه يكون تحت قيمومة غيره لقصوره عن ادارة نفسه تبوأ الدار اتخذها مباءة اى مرجعا ومعادا ومقرّا ومسكنا .

وتستبين مقاصد الفصل فى نكات :

(١) انه لا شكّ فى كون اعاريب الشام لبعدهم عن الثقافة الأسلامية وقلة اختلاطهم بالمهذبين من المسلمين بالنسبة الى اهل الكوفة من الجهلة والرديف المفضول بل المنحطّ كما وصفهم امير المؤمنين بكونهم جفاة لان الجاهل البعيد عن الثقافة فيه جفاء وجفاف فى اخلاقه وتوحش فى معشره وسقوط فى حركاته وسكناته وكل من كان كذلك كان رذلا لان الجهل ينحطّ بصاحبه والتنوّر يتعالى به والأنسان الساقط انما يوصف بالعبودية لان العبد باعتبار وقوعه فى اذناب مواليه مجلسا ومأكلا وفى كل خلّة من خلال الأجتماع لا يعتبر لنفسه قيمة ولا يربأ بها عن الخسائس ومن كان كذلك كان قزما اى دنيئا رذلا ولا شكّ ان اعاريب الشام لم يكونوا فى تيك العصور الا اخلاطا قد جمّعوا من كل مكان كما تجمع الشرائم لأجل الاستفادة منها فى الجيوش ولقطاء من عناصر شتّى ممنّ لم يجر عليهم تفقه وتأدب وتعلّم وتدرّب فهم فى حاجة دائما الى ان يكونوا تحت حماية غيرهم لأجل تأديبهم ويؤخذ على ايديهم لسفههم كما انهم ليسوا من

فصيلة المهاجرين والأنصار الذين تخرجوا على مدرسة النبيّ الأعظم خلال سنين طويلة ولا من الذين توطنوا مدينة الرسول فاستفادوا من اخـــلاق أهلها الذين عاشروا طبقات الافاضل والمثقفين .

(٢) ان السياسيين لا تقوم رياستهم ولا تستوى لهم سيادتهم ولا يعيشون براحة الاّ مع الجفاة الطغام الأقزام المتجمعين من كلّ اوب الملتقطين من الأخلاط وبالعكس يكثر حذرهم وتقلّ راحتهم مع المتيقظين المتنوّرين ذلك لأنّ الانسان الجاهل الدنيء الرذل يقنع بالسفسطة من الكلام وبالميسور من المال والطعام وبالقليل من التوجه اليـــه .

الى الآن يتزلف السياسيون الى العوام اكثر ممّا يتزلفون الى المهذبين لان المهذّب لا يخلو من الحرية شيئا ماحدّ الأقل وهذا التحرر الذى فيه لا يلائم ذوق الحاكمين الذين يريدون السيطرة بكل نوع يحصل ويهـــوون الراحة من الانهيار والانقلاب عليهم وانتقاد سياستهم ولا يرضى المهذب المذكور ممنّ يريد استلحاقه بالقليل من المال والجاه وامّا العوام فيكفـــى فى جلبهم صرف الوعد الكاذب فى واقعه والخرج القليل من المال : وكـــل حكومة كان اهل بلادها اوغادا وطغاما وجهّالا وعواما كانت اطول مسيـــرا مع الزمان وأهدأ خاطرا وأبعد عن القلاقل وما جعل المستعمرين علـــى صغر ممالكهم الأصيلة مستحوذين على قارات واسعة من الأراضى وملايين غزيرة من الافراد الاّ جهل البلاد المستعمرة لهم وعامية اهلها ولذلـــك لمّا كثر التنور فى الناس قلّ الأستعمار نسبة فى كيفه وكمّه .

وهذا المعنى هو الذى ركّز معاوية فى حربه قبال علىّ عليه الســـلام فان اهل الشام بمرحلة من الجهل والعامية وذلك مايدعو الى الأنقيـــاد والتسليم واهل العراق بمرحلة من الشيطنة والتصرف وهو ماجعلهم دائما فى قلق مع الولاة : فالذمّ الذى وجّهه علىّ لأهل الشام وان كان فى محلّه

الاّ انّه فى نفع قبيله ومن هنا تمنّى علىّ عليه السلام ان يصارفه معاوية فيعطيه واحدا من اهل الشام فى مقابل عشرة من اهل العراق مصارفة الدينار بالدرهم :وليس ما اسلفناه مختصا بالدول والسياسات بل كلّ زعامة انّما تتركز من طريق العوام ليس غير .

(٣) ثم اوضح عليه السلام لأهل العراق فى موضوع الحكمين عندما اختار معاوية وحزبه عمرو بن العاص حكما من ناحيتهم واختار الكثيرون من جماعة امير المؤمنين ابا موسى الأشعرى وهو لم يرض به انّ اهل الشام اختاروا لأنفسهم اقرب القوم ممّا يحبّون وهو تقدم جانبهم على جانب اهل العراق وانتصار معاوية على علىّ ذلك لأنّ عمرو بن العاص الذى ابتكر قضية رفع المصاحف انما اراد بذلك كسر جبهة علىّ فاذا كان هو حكما فأجدر به ان يحاول بكل صورة تقديم صاحبه وابطال قضية على بالمرّة وانكم ياأهل العراق على العكس من اهل الشام اخترتم لانفسكم اقرب ماتكرهون وهو انخذالكم وتحكيمكم لمعاوية وحزبه ثم برهن عليه السلام على ان ابا موسى أخطر منتخب لأهل العراق على نجاحهم فى هذا التحكيم بقوله وانّما عهدكم بعبد اللّه بن قيس (وهو ابو موسى الأشعرى) بالأمس (ويريد به يوم الجمل عندما دعا على اهل الكوفة الى الخروج اليه) يقول انها فتنة (اى الحرب بين على من جانب وطلحة والزبير وعائشة من جانب آخر) فقطّعوا اوتار اقواسكم حتّى لاتصلح للرمى بها واغمدوا سيوفكم وانجحروا فى بيوتكم فان كان ابو موسى صادقا فى ان حربى فى الجمل وفى صفين من الفتنة فقد اخطأ بمسيره معى غير مستكره وان كان كاذبا فى قوله انها فتنة وكان داعيه الى ذلك تخذيل الناس عنّى فقد لزمته تهمتى له فى هذه الحكومة واذا كان الأمر كذلك فادفعوا فى صدر عمرو بن العاص بعبد اللّه بن عباس لتمام بصره وبصيرته فى مقابل ذاك

المتنمر المحتال :حقا لقد ألزم ابن ابى طالب قومه من اول رفع المصاحف الى نهاية التحكيم بأقوى الحجج الدوامغ ولكن لا رأى لمن لا يطاع فيا للأسف القاتل .

هذا وكيف تنفع العظات امثال هؤلاء الناس الذين بنوا امرهم مع اميرهم على اللجاج والعصيان بمثل قوله وخذوا مهل الأيام اى انفراجها الموقت وفرصها السانحة مع عدم تضييعها وحوطوا قواصى الأسلام وحناياه بحد بكم عليه وانتصاركم له الا ترون الى بلادكم تغزى من معاوية وحزبه وكل علج عنيف مثله والى صفاتكم وهى قوّتكم ترمى وتؤثر فيها الرمية :نعوذ بالله من مضلّات الفتن ونسأله العفو والعافية فى الدنيا والآخرة .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

* (فهرست الجزء الخامس من البحوث) *

الصفحة	العنوان
١	البشر و حقّ الحاكمية
١٨	السقيفة
١٩	الخلافة الشرعية
٢٠	موقف الرسول من الخلافة
٢٣	هل للنفاق ظاهرة يومذاك
٢٦	هل فى المسلمين ضعفاء دين
٢٧	الانقلاب حاصل
٢٨	من كان فى السقيفة
٢٩	الانتهاز وجيش اسامة
٣٠	حديث الصحيفة
٣٥	السقيفة والحديث معها
٣٦	نيل الخلافة كان اعتقادا ام احتمالا
٣٧	ماهو منطق السقيفة
٤١	لمن كان الهوى النوعى
٤٤	عاقبة سعد
٥١	الاطاحة بأهل الكرامات
٥٦	تموجات السقيفة
٧٢	مصير التاريخ مععلىّ
٧٩	الشقشقية
١٤٢	الخوارج

الصفحة	العنوان
١٥٢	اصحاب الجمل
١٥٤	الخوارج واصحاب الجمل
١٥٨	انهيار الامور
١٦٤	الناكثون والقاسطون و المارقون ومانتج عنهم

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی